

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190472

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

نهاية الأرب

في

فنون الأرب

تأليف

شهاب الدين محمد بن علي بن النور

السفر الثالث

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

دار الكتب المصرية

نهاية تراجم

في

فنون الادب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الثالث

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

فهرست

السّفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب
للسوبرى

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعه من الصحابة
رعى الله عنهم ، والمنشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب وأخبار الكهنة ،
والزجر ، والفأل ، والطيرة ، والفراصة والذكاء ، والكتايات ،
والتعريض ، والأحاجى ، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صحيحة

- في الأمثال ١
ما تمثل به من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ٢
ومن كلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه ٤
ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٥
ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه ٦
ومن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٦
ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ٦

صفحة

ومن أمثال العرب المرتبة على حروف المعجم ٦	٦
حرف الهمزة ٧	٧
حرف الباء ١٩	١٩
حرف التاء ٢١	٢١
حرف الثاء ٢٣	٢٣
حرف الجيم ٢٣	٢٣
حرف الحاء ٢٦	٢٦
حرف الخاء ٢٨	٢٨
حرف الدال ٣٠	٣٠
حرف الذال ٣٠	٣٠
حرف الراء ٣١	٣١
حرف الزاي ٣٣	٣٣
حرف السين ٣٤	٣٤
حرف الشين ٣٥	٣٥
حرف الصاد ٣٦	٣٦
حرف الضاد ٣٨	٣٨
حرف الطاء ٣٨	٣٨
حرف الظاء ٣٩	٣٩
حرف العين ٣٩	٣٩
حرف الغين ٤٢	٤٢
حرف الفاء ٤٣	٤٣

صحيفة

٤٤	حرف القاف
٤٦	حرف الكاف
٤٨	حرف اللام
٥٠	حرف الميم
٥٤	حرف النون
٥٥	حرف الهاء
٥٦	حرف الواو
٥٧	ما جاء فيما أوله (لا)
٦٠	حرف الياء
٦١	ومما يتمثل به من أشعار الجاهلية
٦١	امرؤ القيس بن حجر
٦١	زهير بن أبي سلمى
٦٢	الناقة الذبياني
٦٣	طرفة بن العبد
٦٣	أوس بن حجر
٦٤	بشر بن أبي خازم
٦٤	المتلمس
٦٤	الافوه الأودى
٦٥	تميم بن أبي مقبل
٦٥	حميد بن ثور
٦٥	عدى بن زيد

صحيفة

- ٦٦ الأسود بن يعفر ...
- ٦٦ علقمة بن عبدة ...
- ٦٦ عمرو بن كلثوم ...
- ٦٦ الحارث بن حلزة ...
- ٦٧ حاتم الطائي ...
- ٦٧ المرقش الأصغر ...
- ٦٧ النمر بن تولب ...
- ٦٧ مهلهل بن ربيعة ...
- ٦٨ طفيل الغنوى ...
- ٦٨ عروة بن الورد ...
- ٦٨ الاعمش (ميمون بن قيس) ..
- ٦٨ لقيط بن معبد ...
- ٦٩ تأبط شرا ...
- ٦٩ المثقّب العبدى ...
- ٦٩ الممزق العبدى ...
- ٦٩ أفنون التغلي ...
- ٦٩ الأضبط بن قريع ...
- ٦٩ سويد بن أبي كاهل ...
- ٧٠ ومما يمثّل به من أشعار المخضرمين ...
- ٧٠ ليبد بن ربيعة ...
- ٧٠ كعب بن زهير ...

صفحة

٧١	النايفة الجعدى
٧١	أمية بن أبى الصلت الثقفى
٧١	حسان بن ثابت
٧١	الخطيئة
٧٢	متم بن نورة
٧٢	أبو ذؤيب الهذلى
٧٢	الخنساء
٧٣	عمرو بن معد يكرب
٧٣	معن بن أوس
٧٣	زياد بن زيد
٧٣	أيمن بن خريم
٧٤	ومما يمتثل به من أشعار المتقدمين فى صدر الاسلام
٧٤	القطامى
٧٤	الطرماح
٧٤	الكهيت بن زيد الأسدى
٧٤	المساور بن هند
٧٥	عدى بن الرقاع
٧٥	الفرزدق
٧٦	جرير
٧٦	الأخطل
٧٧	الصلتان العبدى

صحيفة

٧٧	كثير عزة
٧٨	جميل
٧٨	عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
٧٨	ومما يمثل به من أشعار المحدثين
٧٨	إبراهيم بن هرمة
٧٩	بشار بن برد
٨٠	أبو العتاهية
٨١	سلم بن عمرو الخاسر
٨٢	صالح بن عبد القدوس
٨٣	ابن ميادة
٨٣	أبو نواس
٨٤	أبو عينة المهلبى
٨٤	عبد الله بن أبي عتبة
٨٤	العباس بن الأحنف
٨٥	مسلم بن الوليد
٨٥	منصور النمرى
٧٦	العتابى
٨٧	أشجع السلى
٨٧	الجرهمى
٨٨	محمود الوراق
٨٨	محمود بن حازم الباهلى

حقيقة

- السموئل بن عاديء ٨٩
- محمد بن أبي زرعة الدمشقيّ ٨٩
- أبو الشيص ٨٩
- عليّ بن جبلة ٨٩
- الجلّاج الحارثيّ ٨٩
- عبد الصمد بن المعدّل ٩٠
- الحمدونيّ ٩٠
- العتبيّ ٩٠
- أبو سعيد المخزوميّ ٩١
- دعلج بن عليّ الخزاعيّ ٩١
- إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ٩٢
- المؤمل بن أميل ٩٢
- إبراهيم بن العباس ٩٢
- أبو عليّ البصير ٩٣
- سعيد بن حميد ٩٣
- عليّ بن الجهم ٩٣
- ابن أبي فنن ٩٣
- يزيد بن محمد المهلبيّ ٩٤
- عمارة بن عقيل ٩٤
- أحمد بن أبي طاهر ٩٤
- أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ ٩٤

صحيفة

٩٦	أبو عبادة البحتريّ
٩٨	ديك الجن
٩٩	ابن الروميّ
٩٩	عبد الله بن المعتز
١٠٠	عبيد بن عبد الله بن طاهر
١٠١	ابن طباطبا العلويّ
١٠١	منصور الفقيه
١٠٢	ابن بسام
١٠٢	بحظة
١٠٣	الصنوبريّ
١٠٤	أبو الفتح كشاجم
١٠٤	ومما يمثّل به من أشعار المولدين...
١٠٤	أبو فراس الحمدانيّ
١٠٤	أبو الطيّب المتنبي
١٠٧	السريّ بن أحمد...
١٠٧	أبو بكر محمد بن هاشم الخالديّ
١٠٨	أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ
١٠٨	الخباز البلديّ
١٠٨	أبو إسحاق الصابئيّ
١٠٨	عبد العزيز عمر بن نباتة
١٠٩	ابن لنكك البصريّ

صيفة

- أبو الحسن عبد الله ١٠٩
- أبو الفرج البيهقي ١١٠
- ابن سكرة الهاشمي ١١٠
- ابن المجاج ١١٠
- أبو الحسن الموسوي النقيب .. ١١١
- أبو طالب المأموني .. ١١٢
- ابن العميد .. ١١٢
- الصاحب بن عباد ١١٣
- الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي ١١٣
- أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ١١٣
- بدیع الزمان أبو الفضل الهمداني ١١٤
- إسماعيل الناشئ .. ١١٤
- أبو الفتح علي بن محمد البستي ١١٥

الباب الثاني :

- في أوابد العرب .. ١١٦
- البحيرة ١١٦
- الوصيلة ١١٦
- السائبة ١١٧
- الحامى ١١٧
- الأزلام ١١٧
- الميسر ١١٨

صحيفة

١٢٠	نكاح المقت...
١٢٠	رمى البعرة
١٢٠	ذبح العتائر
١٢٠	عقد السلع والعشر
١٢١	ذبح الظبي
١٢١	حبس البلايا
١٢١	نحروج الهامة
١٢١	إغلاق الظهر
١٢١	التعمية والتفقئة
١٢٢	بكاء المقتول
١٢٢	رمى السن في الشمس
١٢٢	خضاب النحر
١٢٢	التصفيق
١٢٢	جز النواصى
١٢٣	كى السليم عن الحرب
١٢٣	ضرب الثور
١٢٣	كعب الأرنب
١٢٤	حيض السمرة
١٢٤	الطارف والمطروف
١٢٤	وطء المقاتل
١٢٤	تعليق الحل على السليم

صفحة

١٢٥		ذهاب الخدر
١٢٥		الحلا
١٢٥		التعشير
١٢٥		عقد الرتم
١٢٦		دائرة المهقوع
١٢٦		شق الرداء والبرقع
١٢٦		نوء السماك
١٢٦		النسء
١٢٦		وأد البنات

الباب الثالث :

١٢٨		في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والقال والطيرة والفراسة والذكاء
١٢٨		أخبار الكهنة
١٣٤		الزجر
١٤٣		القال والطيرة
١٤٩		الفراسة والذكاء

الباب الرابع :

١٥٢		في الكنايات والتعريض
-----	--------	----------------------

الباب الخامس :

١٦٢		في الألفاظ والأحاجى
١٧١		ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح، والنمير، والمعاقرة
والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صفحة

١٧٣		في المدح وفيه ثلاثة عشر فصلا
٢٠٠		ذكر ما قيل في الافتخار
٢٠٤		ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام
٢٠٨		ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية وذكر شيء من أخبارهم
٢١٨		ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال
٢٢٠		ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام
٢٣٠		ذكر ما قيل في وفور العقل
٢٣٣		ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به
٢٣٧		ذكر ما قيل في الصدق
٢٣٩		ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة
٢٤٤		ذكر ما قيل في التواضع
٢٤٧		ذكر ما قيل في القناعة والزهادة
٢٤٨		ذكر ما قيل في الشكر والثناء
٢٥٤		ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز
٢٥٧		ذكر ما قيل في الشفاعة
٢٥٨		ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

الباب الثانى :

- ٢٦٥ ... فى الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا ...
- ٢٦٦ ... ذكر ما قيل فى الهجاء ومن يستحقه ...
- ٢٧١ ... ومما قيل فى الهجاء من النظم ...
- ٢٨٤ ... ذكر ما قيل فى الحسد ...
- ٢٨٩ ... ذكر ما قيل فى السعاية والبنى والغيبة والنميمة ...
- ٢٩٤ ... ذكر ما قيل فى البخل واللؤم ...
- ٣١٤ ... احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه ...
- ٣٢٣ ... ذكر ما قيل فى التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة ...
- ٣٣٨ ... ذكر آداب الأكل والمؤاكلة ...
- ٣٤٠ ... ذكر الاقتصاد فى المطاعم والعفة عنها ...
- ٣٤٣ ... ذكر أخبار الأكلة ...
- ٣٤٦ ... ذكر ما قيل فى الجبن والفرار ...
- ٣٥٣ ... ذكر ما قيل فى الحمق والجهل ...
- ٣٥٩ ... ذكر ما قيل فى الكذب ...
- ٣٦٤ ... ذكر ما قيل فى الغدر والخيانة ...
- ٣٦٥ ... ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة ...
- ٣٧٠ ... ذكر ما قيل فى الكبر والعجب ...
- ٣٧٦ ... ذكر ما قيل فى الحرص والطمع ...
- ٣٧٨ ... ذكر ما قيل فى الوعد والمطل ...
- ٣٨١ ... ذكر ما قيل فى العي والحصر ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة



عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ،
والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ، والزجر ، والقال ،
والطيرة ، والفراسة ، والذكاء ، والكليات ، والتعريض ، والأحاجى ، والألفاظ ؛
وفيه خمسة أبواب .

الباب الأول

من هذا القسم

(في الأمثال)

١٠ ضرب الله عز وجل الامثال في كتابه العزيز في آى كثيرة ، فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ) وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى
جَنَبي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع
يقول أدخلوا الصراط ولا تعرجوا “ فالصراط : الإسلام ، والستور : حدود الله تعالى ،

والأبواب : محارم الله ، والداعى : القرآن ١٥

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر ، شبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثل بين يديه ، إذا أنتصب ؛ معناه أشبه الصورة المنتصب . وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه .

والمثال : القصاص ، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النخاس : يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكفاية فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للنطق ، وأتق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث .

وأول ما نبداً به من ذلك ما تُمثَّل به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو ما لم يسبق إليه :

”إياكم وخضراء الدمن“ ف قيل له : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : ”المرأة الحسناء في منبت السوء !“

”كل الصيد في جوف القرأ“ قاله لأبي سفيان يتأقّه على الإسلام .

”مات فلان حتف أنفه“ .

”لا ينتطح فيه عتران“ .

”إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى“ المنبت : المنقطع عن أصحابه في السفر؛

والظهر : الدابة ، قاله في الغلو في العبادة .

”الآن حَيَّ الْوَيْطِيسَ“ : ضربه في الحرب .

”يَا حَيْلَ اللَّهِ أَرَكِي“ .

”اشتدَّتْ أَزْمَةُ تَنْفِرِجِي“ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ”الناس كأسنان المشطِ وإنما يتفاضلون بالعافية“ .

”الناس كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام

إذا فقهوا“ .

”النَّاسُ كَالْبَيْلِ ، مِائَةٌ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً“ .

”المؤمن هين لين ، كالجلل الأذيف إن أقيداً قتاد ، وإن أنيخ على صحفرة أستناخ“

”المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا“ .

”أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم“ .

”مثل أصحابي كالملح لا يصلح الطعام إلا به“ .

”أمتي كالطمر ، لا يُدرى أوله خير أم آخره“ .

”مثل أبي بكر كالقطر أين وقع نفع“ .

”عمالكم كأعمالكم وكما تكونوا يوتى عليكم“ .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو : ”والعهد بيننا كشرج

العبيبة“ يعنى إذا انحلت بعضه انحلت جميعه .

”المرأة كالضلع الموءاء إن قومتها كسرتها ، وإن داربتها آسمتها بها“ .

”المتشيع بما لم يُعطه كلابس ثوبى زور“ .

”الدال على الخير كفاعله“ .

”لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو تحمّاصاً وتروح بَطَاناً“ .



”وعد المؤمن كالأخذ باليد“ .

”مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالنَّحْلَةِ ، لَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا تُطْعِمُ إِلَّا طَيِّبًا“ .

”مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالسُّنْبَلَةِ تَمِيلُ أَحْيَانًا ، وَتَعْتَدِلُ أَحْيَانًا“ .

”مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَالْعَطَّارِ ، إِنْ لَمْ تَصُبْ مِنْ عِطْرِهِ أَصَبْتَ مِنْ رِيحِهِ ، وَمَثَلُ

الْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَالْكَبِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْ ثَوْبَكَ آذَاكَ بِدُخَانِهِ“ .

”عَلِمَ لَا يَنْفَعُ كَنْزٌ لَا يَنْفِقُ مِنْهُ“ .

وقال : ”الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ“ .

”قَدْ جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْفَجِيرَةِ“ .

”الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى“ .

”نِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ“ .

”إِنْ مِنَ الشَّرِّ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ“ .

”مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ“ .

”الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا“ .

”سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شَرِبًا“ .

”الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَمْرًا مَنِ يَخَالُ“ .

”الْمُسْتَشِيرُ مَعَانِ وَالْمُسْتَشَارُ مَوْعِنٌ“ .

ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده .

ليست مع العزاء مصيبة .

الموت أهون مما بعده وأشد ما قبله .

- ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى ، والنكث ، والمكر .
 ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .
 احرص على الموت توهب لك الحياة ؛ قاله خالد بن الوليد حين بعثه إلى أهل الردة .
 كثير القول ينسى بعضه بعضا ، وإنما لك ما وعى عنك .
 لا تكتم المستشار خبرا فتؤتى من قبل نفسك .
 خير الخصالين لك أبغضهما إليك .
 صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

- من كتم سره كان الخيار في يده .
 أشقى الولاة من شقيت به رعيته .
 اتقوا من تبغضه قلوبكم .
 أعقل الناس أعدرهم للناس .
 اجعلوا الرأس رأسين .
 أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم .
 لو أن الشكر والصبر بغيران لما باليت أيهما ركب .
 من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .
 ما الخمر صرفا بأذهب للعقول من الطبع .
 إلى الله أشكو ضعف الأيمن وخيانة القوى .
 اقتصاد في سنة خير من اجتهد في بدعة .
 لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلقا .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

ما يَزِعُ الله بالسلطان أكثر مما يَزِعُ بالقرآن .

الهدية من العامل اذا عُرِلَ ، مثلها منه اذا عمل .

أتم إلى إمام فعّال ، أحوَجُ منكم إلى إمام قَوّال ؛ قاله يوم صعد المنبر فأرْتَجَّ عليه .

وقال يوم قُتِلَ : لأن أُقْتَلَ قبل الدماء ، أحبُّ إلى من أن أُقْتَلَ بعد الدماء .

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أُتِيجَ له الأبعد ؛

ومن بالغ في الخصومة أتمّ ، ومن قصر فيها ظلم .

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

١٠ الناس من خوف الذلّ في الذلّ .

إن من السكوت ما هو بالغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فابدهوه بالتحية ؛ ولكل طاعم حشمة فابدهوه باليمين .

ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب " الأمثال " لليداني^(١) . [والميداني^(٢) : هو

١٥ أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري — والميداني^(٣) : بفتح الميم

وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدان زياد ، وهي محلة

بنيسابور ؛ توفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة] ووضعته على حروف المعجم .

فإن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة :

حرف الهمة

تقول العرب : "إِنَّ الْمُوصِّينَ بَنُو سَهَوَانَ" قال الميداني : يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْهُو عَنْ طَلَبِ شَيْءٍ أَمْرَهُ ، وَبَنُو سَهَوَانَ : بَنُو آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ عَهْدَ إِلَيْهِ فَسَهَا وَنَسَى .

وقولهم : "إِنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْنَأُ الْغَضَبُ" قال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلوى ، وَالْفَتَاءُ : التَّسْكِينُ ؛ وَزَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِقَوْمٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ جَائِعًا فَسَقَوْهُ الرَّثِيئَةَ فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَقَالَ هَذَا الْمَثَلُ : يَضْرَبُ فِي الْهَدِيَةِ تَوْرَثَ الْوَفَاقِ .

وقولهم : "إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ" أى يَسْتَعَانُ فِي الْأَمْرِ الشَّدِيدِ بِمَا يُشَاكِلُهُ وَيَقَاوِيهِ .

وقولهم : "إِنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُّ مَا فِيهَا" فِي اللَّقْطَةِ وَذَمُّ الدُّنْيَا .^(١)

وَالنَّفْسُ تَكْتَفٍ بِالدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ : أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُّ مَا فِيهَا

وقولهم : "إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعَصِيَّةِ" يُقَالُ : إِنْ أَوَّلَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ الْأُنْعَى الْجُرْهُمِيُّ ، ذَلِكَ أَنَّ نَزَارًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَ بَنِيهِ : مُضَرَ ، وَلِيَادَا ، وَرَبِيعَةَ ، وَأَنْعَمَارًا ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ! هَذِهِ الْقَبَةُ الْجُرْهُمَاءُ — وَكَانَتْ مِنْ آدَمَ — لِمُضَرَ ؛ وَهَذِهِ الْفَرَسُ الْأُدْهُمُ وَالْخَبَاءُ الْأَسْوَدُ لِرَبِيعَةَ ؛ وَهَذِهِ الْخَادِمُ — وَكَانَتْ شَمْطَاءَ — لِيَادَا ؛ وَهَذِهِ الْبَدْرَةُ وَالْمَجْلِسُ لَأَنْعَمَارَ ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ كَيْفَ تَقْسَمُونَ ، فَأَتُوا الْأُنْعَى الْجُرْهُمِيَّ وَمَنْزِلَهُ بِخِجْرَانَ ، فَتَشَاجَرُوا

(١) فِي الْمِيدَانِيِّ : وَهَذَا فِي بَيْتِ أَوَّلِهِ . وَالنَّفْسُ الْخُ .

- في ميراثه، فتوجهوا إليه، فبيناهم في سيرهم إذ رأى مضر أثر كلاب قد رعى، فقال :
 إن البعير الذي رعى هذا أعور، وقال ربيعة : إنه لأزور، وقال إياد : إنه لأبتر،
 وقال أنمار : إنه لشرد، فساروا قليلا، فإذا هم برجل يوضع حمله فسألهم عن البعير،
 فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم، وقال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم، وقال
 إياد : أهو أبتر؟ قال : نعم، وقال أنمار : أهو شرد؟ قال : نعم، هذه والله صفة
 بعيري، فدلوني عليه، فقالوا : والله ما رأيناه، فقال : هذا والله الكذب كيف
 أصدقكم وأنتم تصفونه بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجران، فلما نزلوا، نادى
 صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملى وصفوا لى صفته ثم قالوا : لم نره، فاختصموا
 إلى الأفعى، فقال لهم : كيف وصفته وه وأنتم لم تروه؟ فقال مضر : رأيته قد رعى
 جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة والثانية
 فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدة وطئه، وقال إياد : عرفت أنه أبتر
 باجتماع بعره ولو كان ذبالا لمصع به، وقال أنمار : عرفت أنه شرد، لأنه رعى
 في المكان الملتف نبتة ثم يحوزه إلى مكان أرق منه، فقال الأفعى : ليسوا بأصحاب
 جملك فاطلبه، ثم سألهم : من أنتم؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له، فأكرمهم، وقال :
 أنحتاجون إلى وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة، وأتاهم بخمر، وجلس لهم الأفعى
 بحيث لا يرى، فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة،
 وقال مضر : لم أر كاليوم أطيب نحرا لولا أن حبلته نبتت على قبر، فقال إياد : لم أر
 كاليوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذى يدعى له، فقال أنمار : لم أر كاليوم
 كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا، وكلامهم بأذنه، فدعا قهرمانه، فقال : ماهذه الخمر،

(١) في الميدان : ينشد جملة .

وما أمرها؟ قال: هي من حُبلة غرستها على قبر أبيك؛ وقال للراعى: ماهذه الشاة؟ فقال: هي عناق أرضعتها بلبن كلبة وكانت أمتها ماتت؛ ثم أنى أمته، فقال: أصدقينى، من أبى؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، فخفت أن يموت وليس له ولد، فأمكنت من نفسى ابن عم له كان نازلا عليه فولدتك، فرجع إليهم وقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير، فسميت: مضر الحمراء. وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شىء أسود، فصار لربيعة اخيل الدَّهم وما شاكلها، فقيل: ربيعة الفرس. وأما الخادم الشمطاء فلصاحبها اخيل البلق والماشية، فسميت: إباد الشمطاء، وقضى لأنمار بالدرهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى: إن العصا من العصية، وإن خشيئاً من أخشن؛ فأرسلهما مثلاً.

٥

١٠

وقولهم: "إن العوان لا تُعلم الخمرة": يضرب للرجل المجرب.

وقولهم: "إنى لا كل الرأس وأنا أعلم بما فيه": يضرب للأمر تأتية وأنت تعلم ما فيه مما تكره.

وقولهم: "أنف فى السماء، وآست فى الماء": يضرب للتكبر الصغير الشأن.

وقولهم: "إن الدليل الذى ليست له عَصْد" أى أنصار وأعوان: يضرب لمن يخذله ناصره.

١٥

وقولهم: "إن يدم أظلك فقد نقب خفى" الأطل: ما تحت منسم البعير: والخف: قائمته: يضربه المشكوك إليه للشاكى أى أنا منه فى مثل ما تشكوه.

وقولهم: "إِنْ تَسْلِمِ الْجِلَّةُ فَالْنِّيبُ هَدَرُ" الْجِلَّةُ: جمع جليل بمعنى العظام من الإبل، والنيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة؛ معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم: "إِنْ يَبِّغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِّغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ" يقال: إن بنى ثعلبة ابن سعد في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة: تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة: بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل جعلوه بينهم، فقال رجل منهم: إن قومي يبيغون على، فقال العدل: إن يبيغ عليك قومك لا يبيغ عليك القمر؛ فذهبت مثلا: يضرب للأمر المشهور .

وقولهم: "إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا" الإعصار: ريح شديدة تهب فيما بين السماء والأرض: يضرب للدل بنفسه إذا صلي بمن هو أدهى منه وأشد.

وقولهم: "إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا" قالوا: قالت غنيّة الأعرابية لأبنها، وكان عارما مع ضعفه، فواثب يوما فتى فقطع أذنه فأخذت ديتها، فزادت حُسنَ حيا ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته في أرجوزتها فقالت

أَحْلِفْ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّافَا * إِنَّكَ أَجْدَى مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا ❦

ف قيل لأعرابي: ما تفاريق العصا؟ فقال: العصا تقطع ساجورا والسواجير للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الوتد فيصير كل قطعة شظاذا وإن جعل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للبُخْتِي مِهَارًا وهو

العود الذى يدخل فى أنفه، وإذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهى الخشبة التى تشد على خَلْفِ الناقة .

وقولهم : ” إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ “ : يضرب للرجل الداهى ؛ قال بعضهم : لِمَ تُؤْكَلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرققة مكانها ثابتة .

وقولهم : ” إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبَ “ أى لا تجد عند ذى أَلْمَنِتِ السوء جميلاً ؛ والمثل من قول أكرم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار، فان الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : ” أَخُو الظَّالِمَاءِ أَغَشَى بِاللَّيْلِ “ : يضرب لمن يخطئ محبته ولا يبصر المخرج مما وقع فيه . ١٠

وقولهم : ” إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الْحَزَّ وَتُخْطِئُ الْمَفْصِلَ “ : يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : ” أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ “ : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : ” إِذَا صَاحَتِ الدَّجَاجَةُ صِيَا حِ الدِّيكِ فَلْتَنْزِجْ “ قاله الفرزدق فى امرأة قالت الشعر . ١٥

وقولهم : ” إِذَا رَأَى رَأَى السَّكِينِ فِي الْمَاءِ “ : يضرب لمن يخافك جداً .

وقولهم : ” لَإِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعْجَلْ بِشِرْبِكَ “ : يضرب لمن أشرف على إدراك
بغيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : ” أَبْطَشُ مِنْ دَوَسَرٍ “ هي إحدى كُتَابِ النِّعَمِ أَشَدَّهَا بَطْشًا
ونكابة ؛ قال بعض الشعراء

ضَرَبْتُ دَوَسَرُفِهِمْ ضَرْبَةً * أَثْبَتْتُ أَوْتَادَ مَلِكٍ فَاسْتَقَرُّ

وقولهم : ” أَبْرَمًا قَرُونًا “ البرمُ : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله ، والقرونُ :
الذى يقرن بين الشيئين ؛ وأصله أن رجلا كان لا يدخل فى الميسر ولا يرى اللحم فجاء
إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما فقالت له :
أَبْرَمًا قَرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خَصَلَتَيْنِ مكروهتين .

وقولهم : ” الثَّيْبُ مُجَالَّةُ الرَّاكِبِ “ : يضرب فى الحث على الرضا بيسير الحاجة
عند إيعاز جليلها .

وقولهم :

” الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لِبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا “

أول من قال ذلك يَبَسُ : وهو رجل من بنى غراب بن فزارة ، وكان سابع
سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بنى أشجع ، وهم فى إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا
١٥ يبهسا لحقه فقال : دعونى أتوصل معكم إلى أهلى فأقبل معهم ، فلما كان من الغد
نحروا جزورا فى يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أظلوكم للحكم لانفسده الضَّحُّ ، فقال

(١) فى اللسان : وصوابه « فيه » لأنه نائد على يوم الخنزير .

يهس : لكن بالآثلاث^(١) لحم لا يظلل ، فأرسلها مثلاً ؛ ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها
الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خيرك القوم
فتختارى ، فأرسلها مثلاً ؛ ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم ، فقال : يا حبذا التراث
لولا الذلّة ، فأرسلها مثلاً ؛ وأخذ يوماً يرمُ سكيناً ، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال :
أقتل بها قتلة إخوتي ، فقيل له : إنك لأحمق ، فقال : ما يؤمنك من أحمق في يده
سكين ، فأرسلها مثلاً ؛ ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهديها
لبعض قتلة إخوته فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه ، فقيل له : ما تصنع ؟
فقال :

ألبس لكل حالة لبوسها ، * إما نعيمها وإما بُوسها

وقولهم : ”الصيف ضيّعت اللبن“ قال الأصمعيّ : معناه تركت الشيء
في وقته ؛ وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أول من قاله عمرو بن
عُدس ، وكان قد تزوّج دَخْنُوسَ بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائماً في حجرها فجَحَفَ
وسال لعبه فتأففته فأنّبه وهي تتأفف منه ، فقال : أتخبين أن أطلقك ؟ قالت : نعم ،
فطلقها ، وتزوّجها فتى ضرير حسن الوجه ، ففجأتهم ذات يوم غارةً والفتى نائم فجاءت
دَخْنُوسَ فأنبهته وقالت له : الخليل ، فجعل يقول : الخليل الخليل ، من الخوف حتى
مات قَرَقَاً وسُيِّتَ دَخْنُوسَ فبلغ عمرو الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى استنقذ

(١) قال ياقوت في معجمه : أثلاث « بالثاء » هو الموضع المذكور في المثل في بعض الروايات ؛ لكن

بالأثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الأثلاث « بالطاء » جمع أثلة وهو صنف من

الطرفاء كبير يظلل بفيه مائة نفس .

جميع ما أخذوا وأستنقذها فوضعها قدّامه على السرج وردّها إلى أهلها ، ثم
اصابته سنة فبعثت إليه تقول : نحتاج اللبن فبعث إليها بلقحة وقال : الصيف
ضيّعت اللبن .

وقولهم : ”أَضْطَرُّهُ السَّيْلُ إِلَى مَعْطَشِهِ“ وهو أن رجلا عطش وكان قد
أتى واديا له غور وماء شديد الجرية ، فبقى في أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به
الماء ، ولم يجد ماء فمات عطشا : يضرب لمن ألقاه الخيل الذي كان فيه إلى شرّ .
وقولهم :

”إِنَّ الْحِمَاةَ أُولِعَتْ بِالْكِنَّةِ * وَأُولِعَتْ كَتَّتْهَا بِالظَّنَّةِ“

الحماة : أمّ الزوج ، والكِنَّة : امرأة الابن والأخ ، والظَّنَّة : التهمة ، وبين الحماة والكنة
عداوةٌ مُسْتَحِكَّةٌ : يُضْرَبُ بها المثل في الشريقع بين قوم هم أهل لذلك . ١٠

وقولهم : ”إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ“ قاله معاوية : لما بلغه أن الأشتر
سُقِيَ عسلا فيه سمّ فمات : يضرب عند الشتمات بمصايب العدو .

وقولهم : ”إِنَّ الْهُوَى يَمِيلُ بِأَسْتِ الرَّائِبِ“ أى من هوى شيئا مال نحوه
فيعيا أو جميلا ، كما قيل



وما زُرْتُمْ عَمَدًا وَلَكِنْ ذَا الْهُوَى * إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ ١٥

وقولهم : ”إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْتُرُ“ : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل
ثم تكون منه الزلّة .

وقولهم : ” إن الشفيق بسوء ظنٍّ مُولَع “ : يضرب للغيّ بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد .

وقولهم : ” إن خَصَلْتين خَيْرُهُما الكذب لَخَصَلَتَا سُوء “ : يضرب للرجل يعتذر من شيء فعله بالكذب .

وقولهم : ” أحاديثُ طَسَمٍ وأحلامُها “ : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : ” أَحَسَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ “ : يضرب لمن يجمع بين خَصَلتين مكروهتين .

وقولهم : ” الحقُّ أبلَجُ ، والباطلُ لَجَلَجُ “ : معناه أن الحق واضح بين والباطل يتلجلج فيه أى يتردد فلا يجد صاحبه مخرجاً .

وقولهم : ” الحزمُ سُوءُ الظَّنِّ بالناس “ : هذا المثل قاله اكثم بن صيفى .

وقولهم : ” اختلط الخائرُ بالزُّبَادِ “ . الخائر : ما خثر من اللبن ، والزُّبَاد : الزبد : يضرب للقوم بقعون فى التخليط من أمرهم .

وقولهم : ” أخطأتِ أَسْتَهُ الحُقْرة “ : يضرب لمن رام شيئاً فلم ينله .

وقولهم : ” ادعِ الى طِعَانِكَ ، مَنْ تدعوه الى جِفَانِكَ “ أى استعمل فى حوائجك من تخصه بمعرفتك .

وقولهم : ” أَرَوَّغَانًا يَا نُعَالُ ، وقد عَلِقَتْ بالحبال “ نُعَالَة : الثعلب : يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم: "لَا زِمَ فَقَدْ أَفْقَتْهُ مَرِيئًا" يقال: أفقت السهم إذا وضعت فوقه في الوتر: يضرب لمن تمكن من طلبته .

وقولهم: "أَضِرُّ طًا وَأَنْتِ الْأَعْلَى؟" قاله سُلَيْكُ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيُّ، وذلك أنه بنا هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال: استأسر فقال له سليك: الليل طويل وأنت مقمر، فأرسلها مثلاً: ثم ضمه سليك بيديه ضمةً أضرطه، فقال له: ٥
أَضِرُّ طًا وَأَنْتِ الْأَعْلَى فَأرسلها مثلاً: يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

وقولهم: "أَضَلَلْتَ مِنْ عَشْرِ ثَمَانِيًّا": يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر .
وقولهم: "أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً، فَإِنْ أَبَى بِجَمْرَةٍ": يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم: "أَكْذَبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَهَا" معناه لا يتحدث نفسك بأنك لا تنظر، ١٠
فإن ذلك يبطئك . قال لبيد

أَكْذَبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَهَا * إِنَّ صَدَقَ النَّفْسَ يُزْرَى بِالْأَمَلِ

وقولهم: "أَكْبَرًا وَإِعْمَارًا؟" أى أجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم: "أَمْكُرًا وَأَنْتِ فِي الْحَدِيدِ؟" هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمر بن ١٥
أَبْنِ سَعِيدٍ لما قبض عليه وبكته، فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لا تنفضحني بأن تخرجني للناس فتقتلني بحضرتهم فأفعل، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه، فقال: أبا أمية! أمكرا وأنت في الحديد: يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور .

وقولهم : "أَهْوَنُ هَالِكٍ مَجْزُوفٍ فِي هَامِ سَنَةٍ" : يضرب للشئ يُسْتَحْفَ به وبهلاكه .

قال الشاعر

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه مَنْ تَقَعَا

وقولهم : "أَوْسَعْتُهُمْ سَبًّا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ" أصله أن رجلا من العرب أغير على إبله فأخذت ، فلما تواروا صعد أكمةً وجعل يسبهم ثم رجع إلى قومه فسأله عن إبله ، فقال هذا المثل .

ويقال : إن أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وذلك أن الحارث بن ورفاء الصيدأوى أغار على بنى عبد الله بن غطفان وأستاق إبل زهير ورأعيه ، فقال زهير في ذلك قصيدته التي أولها

بأن انخليط ولم يأووا لمن تركوا * وزودوك أشتياقا أيةً سلكوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يرَدَّ الإبل ، فهجاه ، فقال كعب ابنه : أوسعهم سبًّا وأودوا بالإبل ، فذهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : "أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ" : هو سعد بن زيد مناة أخو مالك الذى يقال فيه : إنك أبلى من مالك ، وذلك أن مالكا تزوج بأمرأة وبني بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها ، فقال مالك

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ * ما هكذا تورد ياسعدُ الإبل

ف ضرب مثلاً لمن قصّر في طلب الأمر .

وقولهم : ”إِنَّ الشَّقِيَّ وَاَفْدُ الْبَرَّاجِمِ“ قاله عمرو بن هند الملك . وذلك أن
سُوَيْدَ بْنَ رَبِيعَةَ التَّمِيمِيَّ قَتَلَ أَخَاهُ سَعْدَ بْنَ هِنْدٍ وَهَرَبَ فَنَذَرَ عَمْرُو لِيَقْتُلَنَّ بِأَخِيهِ مِائَةَ
مَنْ بَنَى تَمِيمَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ يَجْعُهُمْ فَلَقِيَهُمُ الْخَبْرُ فَتَفَرَّقُوا فِي نَوَاحِي بِلَادِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا عَجُوزًا
كَبِيرَةً وَهِيَ حَمْرَاءُ بِنْتُ ضَمْرَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ : إِنِّي لِأَحْسِبُكَ أَعْجَمِيَّةً ، قَالَتْ :
• لَا وَالَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَكَ ، وَيَهْدِيَ عِمَادَكَ ، وَيَضَعُ سَادَكَ ، وَيَسْلُبَكَ
بِلَادَكَ ، مَا أَنَا بِأَعْجَمِيَّةٍ ، قَالَ : فَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا بِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ ، سَادَ
مَعَدًا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَأَنَا أُخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ ، قَالَ : فَمَنْ زَوْجُكَ ؟ قَالَتْ : هُوَذَّةُ
أَبْنِ جَرُولٍ ، قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ ؟ أَمَا تَعْرِفِينَ مَكَانَهُ ؟ قَالَتْ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَكَانَهُ
حَالِ بَنِي وَبَيْنَكَ ، فَقَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَلْدِي مِثْلَ أَبِيكَ وَأُخِيكَ
• وَزَوْجِكَ لِأَسْتَبْقِيَنَّكَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرَكَتَ ثَارًا ، وَلَا تَحَوَّتْ عَارًا ، مَعَ كَلَامِ
كَثِيرٍ كَلَّمْتَهُ بِهِ فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى النَّارِ ، قَالَتْ : أَلَا قَتَى مَكَانَ عَجُوزٍ !
فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، ثُمَّ مَكَثَتْ سَاعَةً فَلَمْ يَفِدْهَا أَحَدٌ ، فَقَالَتْ : هِيَ هَاتِ صَارَتِ الْفَتَيَانِ
حُمًاءَ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ثُمَّ أُلْقِيَتْ فِي النَّارِ وَلَبِثَ عَمْرُو عَامَةً يَوْمَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَحَدٍ ، حَتَّى
• إِذَا كَانَ آخِرَ النَّهَارِ أَقْبَلَ رَاكِبٌ يُسَمَّى عَمَّارًا تُوضَعُ بِهِ رَاحِلَتُهُ حَتَّى أَنَاخَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ
• لَهُ عَمْرُو : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ ، قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا ؟ قَالَ :
سَطَعَ الدُّخَانُ وَكُنْتُ طَوَيْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ وَطَنَتْنِي طَعَامًا ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّ الشَّقِيَّ وَاَفْدُ
الْبَرَّاجِمِ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا وَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ ، قِيلَ : إِنَّهُ أَحْرَقَ مِائَةَ مِنْ بَنَى تَمِيمَ :
تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ مِنْ بَنَى دَارِمَ ، وَوَاحِدًا مِنَ الْبَرَّاجِمِ .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بنى تميم غير وافر البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان ؛ قال جرير

وأخزأكم عمرو كما قد خُزيتُمْ * وأدرك عَمَّاراً شقياً الْبَرَّاجِمِ

ولذلك عُرِّت بنو تميم بحب الطعام ؛ قال الشاعر

إذا ما مات مَيِّتٌ من تميم * وسرك أن يعيش ، فغى بَزَادِ

بُحْبُزٍ أو بلحم أو بتمر * أو الشئِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ

تراه يُنْقَبُ الْآفَاقُ حَوْلَا * لِيَا كُلِّ رَأْسٍ لَهَا نَ بَنِ عَادِ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هَلَكَةِ طمعا .

حرف الباء

تقول العرب : ” بلغ السيلُ الزَّبَى ” هي جمع زُبَيْة وهي حفرة تُحْفَرُ لِلْأَسَدِ ١٠

إذا أرادوا صيده لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان مجحفا : يضرب لمن جاوز الحد .

وقولهم : ” بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا ” اللحاء : القشر : يضرب للتخاللين المتفقين ؛ ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

وقولهم : ” بَيْنَهُمْ دَاءُ الضَّرَائِرِ ” هي جمع ضَرَّة يضرب للعداوة إذا رسيخت ١٥ بين قوم .

وقولهم : ” بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشَمٍ ” قال الأصمعي : مَنْشَمٌ كانت عطارة بمكة وكانت تُخْزَاعَةٌ وَخُرْمٌ إذا أرادوا القتال تَطَيَّبُوا مِنْ طِبِيبِهَا فإذا فعلوا ذلك كثرت

بينهم القتل فكان يقال : أشأم من عطر منشم : يضرب في الشر العظيم ، وفيه يقول زهير

تَدَارَكْتُمَا عَبَسَا وَدُبَّانَ بَعْدَ مَا * تَقَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشِمٍ

وقولهم : ”به داءٌ ظبيٌّ“ : أى أنه لا داء به كما أن الظبي لا داء به ، وقيل :

ربما يكون بالظبي داء لا يعرف مكانه معناه أن به داء لا يعرف .

وقولهم : ”بَلَّغَتِ الدِّمَاءُ الثَّنَنَ“ الثَّنَةُ ، الشعرات التى فى مؤثر رُسْغ الدابة : يضرب عند بلوغ الشر النهاية .

وقولهم : ”بَرِحَ الْخَفَاءُ“ أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال الشر فوضع الأمر ، ويقال : الخفاء المتطاطى من الأرض ، والبراح المرتفع أى صار الخفاء برّاحا .

وقولهم : ”بَنَانٌ كَفٍ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ“ : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما فى نفسه .

وقولهم : ”بَاتَ فُلَانٌ يَشْوَى الْقَرَّاحَ“ : يعنى الماء الخالص لا يخالطه شئ : يضرب لمن ساءت حاله ، وفقد ماله بحيث يشوى الماء شهوةً للطبيخ .

وقولهم : ”بَجَجَ بَجَجَ سَاقٌ بِحَلْخَالٍ“ هى كلمة يقولها المتعجب من حسن الشئ وكأله . وأول من قال ذلك الْوَرِثَةُ بنت ثعلبة ، وذلك أن ذهل بن شيبان كان زوج الْوَرِثَةِ وكانت لا تترك له امرأة إلا ضربتها فترّوج رَقَاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة ، فخرجت رقاش يوما وعليها حَلْخَالَان ، فقالت الْوَرِثَةُ ذلك ، فذهبت مثلاً .

حرف التاء

قولهم : "تَرَكَ الطَّيُّ ظِلَّهُ" أى كاسه الذى يستظل به : يضرب لمن نفر من شىء فتركه تركا لا يعود له .

وقولهم : "تركته على مثل ليلة الصدر" وهى ليلة ينفر الناس من منى فلا يبقى منهم احد .

وقولهم : "تركته أنقى من الراحة" أى على حال لا خير فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى اصطلام الدهر .

وقولهم : "تَجُوعُ الحرّة ولا تأكلُ بشدّيتها" : أى لا تكون ظمئاً وإن آذاها الجوع .

- ١٠ أول من قاله الحارث بن سليل الأسدى وكان حليفا لعلقة بن حصيفة الطائى فزاره فنظر إلى أبنته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها، فقال : أئتيتك خاطبا وقد يُنَكِّح الخاطب، ويُدْرِك الطالب، ويُمْنَح الراغب، فقال له علقمة : أنت كفء كريم يُقْبَل منك الصفو، ويؤخذ منك العفو، فأقم ننظر فى أمرك، ثم آنكفأ إلى أمها، فقال : إن الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا، وقد خطب اليها الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته، فقالت المرأة لأبتها : أى الرجال أحب إليك الكهل المجحّاح، الواصل المنحاح، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى الوضاح، فقالت : إن الفتى يُغَيِّرُك، وإن الشيخ يُغَيِّرُك، وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل، كالحديث السنّ، الكثير المعنى، قالت يا أماء : إن الفتاة تحب الفتى، تحب الرعاء أنيق الكلا، قالت : أى
- ١٥

بنية! إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يُبلى شبّابى، ويدتس ثيابى، ويُسَمِّت بى أترابى. فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فترجّحها الحارث على مائة ونحسين من الإبل وخادم وألف درهم، فأبنتى بها، ثم رحل بها إلى قومه فبينما هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتفتست الصُّعداء، ثم أرخت عينها بالبكاء، فقال: ما بيك؟ قالت: .
 مالى وللشيوخ، الناهضين كالفرخ، فقال لها: نكثك أمك! تجمع الحرة ولا تأكل بشديها، ثم قال لها: وأبيك، لرب غارة شهدتها، وسيّة أردقتها، ونمرة شربتها، فألحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك، وهذا المثل يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب.

وقولهم: "نَجَشَأُ لُقْمَانَ مِنْ غَيْرِ شَيْعٍ": يضرب لمن يدعى ما ليس يملك . ١٠

وقولهم: "نُحْجِرُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَأَتَهُ": أى منظره يخبر عن مخبره .

وقولهم: "تَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصَمِّتٍ": أى إلى من لم يهتم بشأنك. قال الشاعر

إنك لا تشكو إلى مُصَمِّتٍ * فاضرب على الحمل الثقيل أو مُتٍ

وقولهم: "تجاوز الرّوض إلى القاع القرق": يضرب لمن يعدل بحاجته من

الكريم إلى اللئيم، والقرق: المستوى . ١٥

وقولهم: "تسمع بالمُعَيَّدَى خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ" ويروى: لا أن تراه: يضرب

لمن خبره خيرٌ من مرّاه، أول من قاله: المنذر بن ماء السماء .

وقولهم : ”تَقَطَّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمُطَامِعُ“ : يضرب في ذم الطمع .

وقولهم : ”تَقَلَّدَهَا طَوَقَ الْحَمَامَةِ“ كناية عن الخصلة القبيحة التي لا تزايله ولا تفارقه .

حرف الشاء

وقولهم : ”ثَارَ حَابِلُهُمْ عَلَى نَابِلِهِمْ“ الحابل : صاحب الحباله ، والنابل : صاحب النبل أى اختلط أمرهم : يُضْرَبُ فِي فساد ذات البين وتأريث الشر في القوم .

وقولهم : ”ثَوْرٌ كِلَابٍ فِي الرَّهَانِ أَقْعَدُ“ : هو كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صَعَصَعَةَ القيسى كان يحقى ، وذلك أنه ارتبط عجل ثور ليسابق عليه ، والأقعد من القعيد وهو المتخاف المتباطئ : يُضْرَبُ لِمَنْ يروم مالا يكون .

حرف الجيم

وقولهم : ”جَرَى الْمَذَكَّاتِ غِلَابٌ“ الْمَذَكَّة من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سَنَةً أو سنتان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يُوصَفُ بالتبريز على أقروانه في حلبة الفضل ؛ وأول من قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والغبراء .

وقولهم : ”جَزَاءُ سِنِمَارٍ“ وهو الذى بنى الخوَزَنَق وتقدم خبره في مبانى العرب .

وقولهم : ”جَرَحَهُ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِ أَثْفَهَ“ قالته جندلة بنت الحارث ، وكانت تحت حنظلة بن مالك وهى عذراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت في ليلة

مطيرة فبصرها رجل فوثب عليها وأفتضها ، فصاحت وقالت : لُسْتُ . قيل أين ؟ قالت : حيث لا يضع الراق أنفه : يضرب لمن يقع في أمر لاجيلة له في الخروج منه .

وقولهم : ” جَعَجَعَةٌ وَلَا أَرَى طَحْنًا “ : يضرب لمن يعد ولا يفى .

وقولهم : ” بَرَى مِنْهُ تَجَرَى اللَّدُود “ وهو ما يُصَبَّ في أحد شِقِّ الفم من الدواء ، يضرب لمن يُبْعَض وَيُكَرَّه .

وقولهم : ” جَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاء “ . معناه أَجْتَمَعَ بِالْأَبْدَانِ ، وَأَقْتَرَقَ بِالْقُلُوبِ ، وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم ” هَذَنَّةٌ عَلَى دَخْن “ : يضرب لمن يُضْمِرُ أذى وَيُظْهِرُ صفاء .

وقولهم : ” جَارٌ بَكَارٍ أَبَى دُوَاد “ يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه ، فضربت به العرب المثل في حسن الجوار ، قال طرفة

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ هَمَّتْ بِهِ * جَارٌ بَكَارٍ الْحُدَاقِي الَّذِي أُتَصَّفَا
والحذاق هو أبو دؤاد .

وقولهم : ” جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ “ قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة زُفَّتْ فاطمة إلى علي رضي الله عنهما .

وقولهم : ” جَوَّعَ كَلْبَكَ يَنْبَغُكَ “ . أول من قال ذلك ملك من ملوك حِمْيَر كان جاثرا على أهل مملكته يسلبهم مافي أيديهم وإن أمراته سمعت صوت السؤال

فقلت : إني لأرحم هؤلاء وإنى لأخاف أن يكونوا عليك سباعا ، بعدما كانوا لك أتباعا ، فقال : جوع كلبك يتبعك ، ثم إنه غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا لأخ له : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك وأجلس مكانه ، فوافقهم على ذلك ، ثم وشوا على الملك فقتلوه ، فمتر به عامر بن جَدِيمة وهو مقتول ، فقال : ربما أكل الكلب مؤذبه إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا ، والمثل يضرب في اللثام وما ينبغي أن يعاملوا به .

وقولهم : ” جاءتهم عَوَانًا غَيْرَ بِكَرٍ “ أى مستحكة غير ضعيفة يريدون حربا أوداهية عظيمة .

وقولهم : ” جاء بصحيفة المتلمس “ إذا جاء بالداهية ؛ وكان من خبر صحيفة المتلمس أن المتلمس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن أمريئ القيس ففعلهما ١٠ في صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه ، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو ، فطال بقاءهما عنده ، فهجا طرفة عمرا بأبيات فبلغته فاستدعاهما فجاهاما بجباء وكتب معهما إلى أبي كَرَب عامله على هَجْر أن يقتلها ، وقال : قد كتبت لكما بجباء ومعروف ، فلما صدرا من عنده ، قال المتلمس لطرفة : هل لك في كتابتنا ، فإن كان فيها خير مضينا له ، وإن كان شرا آتقينا ، فأبى طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه ١٥ السوءة فالتقاء في الماء وقال لطرفة : ألق كتابك فأبى ومضى بكتابيه ، قال : ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بني جَفْنَة بالشام وسار طرفة بكتابيه ، فلما انتهى إلى العامل قتله .

وقولهم : ” جَنْدَلَتَانِ أَصْطَكَا “ : يضرب لِقَرْنَيْنِ يتصاولان .

وقولهم : ” جَزَيْتُهُ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ “ : للكفاة .

وقولهم : ” جاءوا على بَكْرَةٍ أيهم “ أى جاءوا جميعا لم يتخلف منهم أحد .
وقيل : بل البكرة تأنيث البكر، يصفهم بالقلة أى بحيث تحملهم بكرة أيهم . وقيل بل
البكرة التى يُستقى عليها ، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البكرة على نسق واحد ؛
وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أيهم ، وقال ابن الأعرابي :
البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم .

وقولهم : ” جَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّيِّينَ “ : يضرب فى تجاوز الحد .

حرف الحاء

وقولهم : ” حَرَكْ لَهَا حُورَاهَا تَحْنُ “ الحوار : ولد الناقة ، والجمع القليل أخوة
والكثير حُورَانٌ وحيران ، معناه ذكره بعض أشجانه يهيج له ، قاله عمرو بن العاص
لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام ، أى أُرهم دم عثمان على قيضه .

وقولهم : ” حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ “ أى أخذتها بالقوة إذ لم يتأت بالرفق .

وقولهم : ” حَذَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ “ أى مثلاً بمثل : يضرب فى التسوية بين
الشيئين ؛ ومثله : حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، وقد تقدم .

وقولهم : ” حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ “ معناه أنه آختر الدهر شَطَرَى خيره
وشره فعرف ما فيه .

وقولهم : ”حَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ“ ؛ قال أمرؤ القيس
إذا ما لم تكن إِبْلُ مِعْزَى * كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصَى
فتملا بَيْنَنَا أَقْطَا وَسَمْنَا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شِيعَكَ
ورِيَّكَ ، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : ”حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ“ أى آكْتَفَ بِالْقَلِيلِ
عن الكثير .

وقولهم : ”حسبك من شرِّ سَمَاعِهِ“ أى آكْتَفَ بِسَمَاعِهِ وَلَا تَعَايِنِهِ ، قال :
ويموز أن يريد يكفك سماع الشرِّ وإن لم تقدم عليه ولم تُنسب إليه ، والمثل قالته
فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أُمَار بن بغِيض أُمَ الرِّبْع بن زياد ، وذلك أن أبنا الرِّبْع
كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة دِرْعًا ، فتعزَّض قيس لأثم الرِّبْع وهى على
راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتبتها بالدرع ، فقالت له : أين عَزُبَ عَنْكَ عَقْلُكَ
يا قيس ؟ أترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبت بآتهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا
وشاءوا ، وإن حسبك من شرِّ سَمَاعِهِ ، فذهبت كلمتها مثلا تقول : كفى بالمقابلة عارا
وإن كان باطلا .

وقولهم : ”حَلَقْتُ بِهِ عَقَاءً مُغْرِبًا“ : يضرب لما يُئِس منه ؛ قال الشاعر
إذا ما أبْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ * فَقَدْ حَلَقْتُ بِالْجُودِ عَقَاءً مُغْرِبًا

قال الميبدانى : والعقَاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان
بَارِضَ الرَّسِّ جبيل يقال له : دَمْحٌ مُصْعَدٌ فِي السَّمَاءِ ، وكان يأتيه طائر عظيم لها جعق

- طويلة؛ وهى من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبه وتنقض على الطير فتأكلها، بغاعت يوما وأعوذها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب : لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم أنقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضممتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم : خالد بن صفوان ، فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها آفة ! فأصابها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلاً .

قال عنتر بن الأنخرس الطائي في مرثية خالد بن زيد

لقد حَلَقْتَ بالحدود عنقاء كاسراً * كَفَتَحَاءٍ دُمِخَ حَلَقَتْ بِالْحَزَّوْرِ
فما إن لها بيضٌ يُعْرِفُ بِيضُهَا * ولا شِبْهُ طَيْرٍ مَنجِدٍ أَوْ مُغَوَّرٍ

- وقولهم : ” حَتَامٌ تَكْرَعُ وَلَا تُنْقَعُ “ كرع إذا تناول الماء فيه من موضعه : ١٠
يضرب للحريص في جمع الشيء .

وقولهم : ” حَسْبُكَ مِنْ إِنْصَاجِهِ أَنْ تَقْتَلَهُ “ : يضرب لطالب الثأر فيقول :
لأقتلن فلانا وقومه أجمعين فيقال : لا تعد ، حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك :
ويضرب لمتجاوز الحد .

حرف الخاء

١٥

قولهم : ” خَيْرَ حَالِيكَ تَنْطَحِين “ : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة ، ومثله :
خير إناءك تكفئين .

وقولهم: "خامري أم عامر" معناه آستري؛ وأم عامر: الضبع، يشبه بها الأحق، ومثله: خامري حَضاجر، أذاك ما تحاذر: وهو آسم للذكر والأُنثى من الضباع.

وقولهم: "خلا لك الجوف فيضي وأصفرى" قاله طرفة بن العبد، وكان في سفر مع عمه فنصب نخاً للقنابر وثر حباً فلم يصد شيئاً، فلما تجلوا رأى القنابر يلتظن الحب الذي ثره لهم، فقال في ذلك

يا لك من قنبرة بمعمِر! * خلا لك الجوف فيضي وأصفرى
وتقرى ما شئت أن تنقرى * قد رحل الصياد عنك فابشري
ورفع الفخ فإذا تحذري؟ * لا بد من صيدك يوماً فاصبري!
يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها.

وقولهم: "خلع الدرع بيد الزوج" المثل لرقاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل، وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، فقال لها: آخلى؛ فقالت: خلع الدرع بيد الزوج، فقال: آخلميه لأنظر إليك، فقالت: التجرد لغير النكاح مثلاً، فذهبت كلمتها مثلين يضربان في وضع الشيء في غير موضعه.

وقولهم
"خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالفلاة مأؤه"
يضرب لمن كره صحبتك وزهد فيك.

وقولهم: "نعم أرى الروقاء ليست تسكر": يضرب للفتى الذي لا فضل له على أحد.

حرف الدال

قولهم : ” دَمِثْ بِحَنَبِكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا “ أى أَسْتَعِذَّ لِلنَّوَابِ قَبْلَ حُلُولِهَا ؛ وَالتَّدْمِثُ : التَّلِينُ .

وقولهم : ” دَعِ أَمْرًا وَمَا اخْتَارَ “ : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصِيحَ ؛
قال الشاعر

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْرِ مَا أَمْكَنَهُ * وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزِينَهُ !
وَأَعْجَبَهُ الْعُجْبُ فَاقْتَادَهُ * وَتَاهَ بِهِ التَّيَهُ فَاسْتَحْسَنَهُ ،
فَدَعَهُ فَقَدْ سَاءَ تَدْيِيرُهُ * سَيُضْحَكُ يَوْمًا وَيَبْكِي سَنَهُ !

حرف الذال

قولهم : ” ذَكَرْنِي فُوكِ حِمَارِي أَهْلِي “ أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارين ضالَّاهُ ، فَرَأَى أَمْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَنَسِيَ الْحِمَارَيْنِ ، فَلَمَّا أَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا رَأَاهَا فَوُهِاءَ فَقَالَ : ذَكَرْنِي فُوكِ حِمَارِي أَهْلِي ، وَقَالَ

لَيْتَ الْقَابَ عَلَى النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ * كَيْ لَا تُغَرَّ قَبِيحَةُ إِنْسَانَا

وقولهم : ” ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا “ وَيُقَالُ : تَفَرَّقُوا ، أَيْ تَفَرَّقُوا تَفَرِّيقًا لَا اجْتِمَاعَ مَعَهُ .

وقصة سبيلنا تفرقوا بسبب سبيل العرم مشهورة ؛ وسند كرها إن شاء الله تعالى في التاريخ .

وقولهم : ” ذهبوا شَغَرَبَرَّ، وَشَذَر مَدَر، وَخَذَعَ مِدْعَ “ أى فى كل وجه .
وقولهم : ” ذَلْ بعد شِمَاسِه الِيعْفُورُ “ : يضرب لمن أنقاد بعد جماحه ؛ واليعفور :
فرس .

وقولهم : ” ذَهَبَتْ طُولَا ، وَعَدِمَتْ معْقُولَا “ : يضرب للطويل بلا طائل .

حرف الراء

وقولهم : ” رَمَنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلَّتْ “ أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة
تزوج رُهمَ أبنه الخزرج ، وكانت من أجل النساء ، وكان ضرائرها إذا سَابَنَهَا يقلن
لها : يا عملاء ، فقالت لها أنها : إذا سَابَنِكَ فابدئيْنِ بذلك ، ففعلت رُهم ذلك مع
ضرتها ، فقالت : رمني بدائها وأنسلت ، فذهبت مثلا : يضرب لمن يُعَيِّر الآخر
بما هو يُعَيَّر به .

وقولهم : ” رَمَاهُ بِالثَّالِثَةِ الْأَثَانِي “ وهى قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها
حَجْرَان وَيُنْصَب عليها القدر : يضرب لمن رُمى بدهاية عظيمة .

وقولهم : ” رَبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ “ الصَّلَف : قلة الخير ، والراعدة :
السحابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السَّعة .

وقولهم : ” رَجَعَ بِحُفْنِي حُنَيْنٍ “ أصله أن حُنَيْنَا كان إسكافا بالحيرة وسأومه
أعرابي بحفنين فآخلفا حتى أغضبه ، فلما آرتحل الأعرابي أخذ حنين الخفين فألقى
أحدهما على طريق الأعرابي ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه ، فلما مرَّ
الأعرابي بالخلف الأول قال : ما أشبه هذا بخف حنين ولو كانا خفين لأخذتهما ،

ثم مرّ بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ راحلته وأنصرف إلى الأول وقد كَنَّ له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خفي حنين ، فذهبت مثلاً : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالحبية .

وقولهم : ”رُبَّ ساجٍ لقاعد ، وآكلٍ غير حامد“ أول من قاله النابغة الذبياني ، وكان سبب ذلك أن وفداً وفد إلى النعمان وفيهم رجل من بني عبس يقال له : شقيق ، فمات عنده ، فلما حبا النعمان الوفود بعث بجبائه إلى أهله ، فقال النابغة في ذلك

أتى أهله منه حياءً ونعمة * وربّ أمرٍ ييسى لآخر قاعدٍ

وقولهم : ”رُبَّ ملوم لا ذنب له“ قاله أكتم بن صيفى ، معناه قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذره ؛ وقيل : إن رجلاً قال للأحنف ١٠ ابن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربّ ملوم لا ذنب له .

وقولهم : ”رُبَّ كلمةٍ تقول لصاحبها دغني“ : يضرب في النهي عن الإكثار مخافة الإهجار ؛ ذكروا أن ملكاً من ملوك حمير خرج إلى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرة ملساء ، فقال النديم : لو أن إنساناً دُبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ، فأمر بذبحه ، وقال : ربّ كلمةٍ تقول لصاحبها دغني . ١٥

ومثله قولهم : ”رُبَّ رأسٍ حصيدٍ لسان“ : يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : ”رُدَّ الحجر من حيث جاءك“ : أى لا تقبل الضيم وأرم من رمالك .

حرف الزاى

وقولهم : "زَيْنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ" : يضرب فى عجب الرجل برهطه .

وقولهم : "زَاحِمٌ بَعُودٌ أَوْ دَعٌ" اى لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة .

وقولهم : "زَوْجٌ مِنْ عُودٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعودٍ" ، قالته بعض نساء العرب ، قالوا :

كان ذوا الإصبع العَدَوَاتِي غيورا ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهنَّ غَيْرَ عليهنَّ ، فاستمع

عليهنَّ يوما وقد خَلَوْنَ يتحدثنَّ ، فقالت إحداهنَّ : لتقلَّ كُلُّ واحدة منا ما فى نفسها ،

ولنصدقنَّ جميعا ، فاشتبهت كُلُّ واحدة من الثلاثة زوجا وصفت من جماله وكِماله وسعة

حاله ، ثم أبَت الصغرى أن تتكلم ، فقالوا : لا بد أن تقولى ، وألحوا عليها ، فقالت :

زَوْجٌ مِنْ عُودٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعودٍ ، فزوجهنَّ .

وقولهم : "زُرْغَبًا تَرَدَّدُ حُبًّا" قاله معاذ بن صَرَم الخزاعى ، وكانت أُمّه من عَكْ ،

وكان يكثر من زيارة أخواله ، فأقام فيهم زمانا ، ثم خرج يتصيد مع بنى أخواله ، فحمل

على عير ، فلحقه أبَن خال له يقال له : الغضبان فتخاصما ، فقال له الغضبان : والله !

لو كان فيك خير لما تركت قومك ، فقال : زُرْغَبًا ، تَرَدَّدُ حُبًّا ، فأرسالها مثلا ،

وفى ذلك يقول الشاعر

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقَلَّ فَزُرْ مُتَوَالِيَا * وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَدَّادَ حُبًّا فَزُرْغَبَا

وقال آخر

عليك بإغباب الزيارة إنها * إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْمَجْرَسَلِكَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَطَرَ يُسَامُ دَائِمًا * وَيُسَالُ بِالْأَيْدَى إِذَا هُوَ أَمْسَا

حرف السين

قولهم : "سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ" قاله ضَبَّةُ بْنُ أَدْلَمَ لآلِهِ النَّاسَ عَلَى قَتْلِ قَاتِلِ
أَبْنِهِ فِي الْحَرَمِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ نَحْزَمُ بْنُ نُوْفَلٍ الْهَمْدَانِي .

وقولهم : "سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ" أصله أن رجلاً خرج يَلْتَمِسُ الْعِشَاءَ ،
فَوَقَعَ عَلَى ذَنْبٍ فَأَكَلَهُ ، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي غَنِيٍّ يُقَالُ لَهُ : سِرْحَانُ
ابْنُ هَزَلَةَ كَانَ بَطْلًا فَاتَكَ قَالَ رَجُلٌ ! وَاللَّهِ لِأَرْعَيْنِ إِيَّايَ هَذَا الْوَادِي ، فَوَرَدَ بِإِبْلِهِ ،
فَوَجَدَ سِرْحَانَ فَقَتَلَهُ ، وَأَخَذَ إِبْلَهُ وَقَالَ

أَبْلَيْغُ نَصِيحَةٍ : أَنْ رَأَيْتُ أَهْلَهَا * سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ

سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ * طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِبَطْعَانٍ

يَضْرِبُ فِي طَلَبِ الْحَاجَةِ يُؤَدِّي صَاحِبَهَا إِلَى التَّلَفِ .

ومثله قولهم : "سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ" وهو الْأَسَدُ .

وقولهم : "سَكَتَ الْأَفَّا ، وَنَطَقَ خَلْفًا" انْخَلَفَ : الرَّدَى مِنْ الْقَوْلِ
وغيره .

وقولهم : "سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً" أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو أَخُو بَنِي
عَامِرٍ ، وَكَانَ قَدْ نَجَحَ بِأَبْنِهِ أَنْسَ ، فَوَقَفَ بِحَزْوَرَةِ مَكَّةَ ، فَأَقْبَلَ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ
الْتَفَفَى فَقَالَ لَهُ : مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ : أَبْنَى ! فَقَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ يَا فَنِي [أَيْنَ أُمُّكَ ؟]
فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أُنْمِي فِي الْبَيْتِ ، وَلَكِنِّي أَنْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّ حَنْظَلَةَ تَطْلَحُنْ دَقِيقًا ،
فَقَالَ أَبُوهُ : سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا .

وقولهم : ”سحابٌ نَوَّءٌ مَأْوُهُ حَمِيمٌ“ : يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير .

وقولهم : ”سوء الآسمة ساك خير من حُسن الصِّرعة“ : معناه حصول البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكل مع التهور .

حرف الشين

وقولهم : ”شُخْبٌ في الإِناء وشُخْبٌ في الأرض“ : يضرب لمن يتكلم فيصيب مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : ”شَرِيقٌ بالرِّيق“ أى ضرّه أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : ”شِنْشَنَةٌ أعرِفها من أنْحَزَمَ“ قاله أبو أنْزَم الطائى : وكان له ابن يقال له : أنْحَزَم ، فمات وترك بنين ، فوشوا على جدّهم يوماً فأدموه ، وكان أبوهم عاقاً له فقال

إِنَّ بَنِيَّ ضَرَجُونِي بِالْدِّمِ * شِنْشَنَةٌ أعرِفها من أنْحَزَمِ

والشِنْشَنَةُ : الطبيعة والعادة : يضرب في قرب الشبه .

وقولهم : ”شَمَرٌ ذَيْلًا ، وَأَدْرَعٌ لَيْلًا“ : يضرب على الحث في الجَدِّ والطلب .

وقولهم : ”شَنُوءَةٌ بين يتامى رُضِعَ“ الشنوءة : ما يستقذر من القول والفعل : يضرب لقوم اجتمعوا على فجور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناه .

وقولهم : ”شَيْخٌ بِحُورَانٍ لَهُ أَلْقَابٌ“ وبعده * الذئب والعقوق والغراب *

حُورَانٍ بأرض الشام : يضرب لمن يُظهر للناس العفاف ، ومن حقّه أن يُحتَرَزَ منه .

وقولهم : ” شَغَلَ الحُلَى أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا “ : يضرب للسُّؤل شيئاً هو إليه
أحوج من السائل .
وقولهم : ” شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطُّوقِ “ قاله جَذِيمة الأبرش ، وعمرو هذا هو
أبن أخيه وهو عمرو بن عدى بن نصر .

حرف الصاد

وقولهم : ” صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكَرَامِ “ قال ذلك يَسَارُ الكواعب ، وكان عبداً
أسودَ يَرَعَى لأهله إبلاً ضخمة ، وكان معه عبد يراعيه ، فترأه يوماً سائرين بجذاء
الإبل التي يراعيها ، فعمد إلى لُقُوح خيلها في علبة ، حتَّى ملأها ثم مشى بها ، وكان أُلْفَحَ
الرَّجُلَيْنِ ، حتَّى أتى بها ابنة مولاة يسقيها ، وهى راكبة على جملها ، فنظرت إلى رجليه
فتبسمت ، ثم شربت اللبن وجرته خيراً ، فانطلق فرحاً حتَّى أتى صاحبه ، فقَصَّ عليه
القصة ، فقال : آسخر بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار ؛ فقال : والله لقد دَحَكْتُ
إِلَى دِحْكَةٍ لَا أُخَيِّبُهَا ، يريد : ضحكْتُ ، وكان أعجمى اللسان ، ثم باتا فقام فخاب في علبة
فألأها ، ثم أتى ابنة مولاة ، فنبَّها من نومها فاستيقظت وشربت ، ثم أضطجعت
وجلس يسار حبالها ، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلمك بمجاذبي ! فقالت :
لا والله ! فما هي ؟ قال : ذاك الرجل الذى دَحَكْتُ إِلَى . فقالت : حيَّاك الله ،
واقامت إلى سَفَطٍ لها فأخرجت منه بخوراً ودُهناً طيباً ، وعمدت إلى موسى كانت
تحفُّ به الشعر ، وأخذت نَجْمَةً فيها نار ، فوضعت عليها البخور ووضعتها تحته ،
وطأطأت كأنها تصلح البخور ، فعمدت إلى مذاكيره فسحتها بالموسى ، فلما أحس
بحرارة الحديد . قال : صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكَرَامِ ، ثم أومأت إلى أنها تدهنه وقالت :

إن هذا دهن طيب، إلا أن فيه حرارة فتصبر عليه، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافك، ثم أشتته الدهن على موسى، ورفعته فوضعت بين عينيه فاستلكت بها أنفه . وقالت : قم إلى إبلك يابن الخبيثة، فأق صاحبك، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟ قال : أخزأك الله، أو قد عمى بصرك ؟

إذ لا ترى أنفا ولا أذنين * أما ترى وباصة العينين

٥

هذا أحد الأقوال في هذا المثل : يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال : إن أعرابيا قدم الحضر لببل ، فباعها بمال كثير وأقام لحوانج له ، ففطن قوم من جبرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعا في ماله ، فرغب فيها فزوجه إياها ، ثم آخذوا طعاما وجمعوا الحى ، وجلس الأعرابي في صدر المجلس ، فأكلوا الطعام وأداروا الكؤوس وشرب الأعرابي ، ثم أتوه بكسوة فاخرة ، فلبسها وقدموا له نجرة فيها بنور لاهد له به ، وكان لا يلبس السراويل ، فلما جلس على المجمرة ، سقطت مذاكيره في النار، فظن أن ذلك سنة لا بد منها، وأستحيا أن يكشف ثوبه . فقال : صبرا على مجامر الكرام، فذهبت مثلا وأحترقت مذاكيره ، وتفرق القوم، وأرتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة . قالوا : آست لم تُعود المجمر، فذهبت مثلا : يضرب لمن لا قديم له .

١٠

١٥

وقولهم : ” صار الزج قدام السنان “ : يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير

استحقاق لذلك .

وقولهم : ” صرح الخض عن الزبد “ : يضرب للأمر إذا أنكشف وتبين .

وقولهم : ”صَفَقَهُ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ“ هو حاطب بن أبى بلتعة كان حازما ، فباع بعض أهله ببيعة غُني فيها حين لم يشهدها حاطب ، فسارت مثلا لكل أمر ينبرم دون صاحبه .

حرف الضاد

وقولهم : ”ضَرَبَهُ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ“ وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عند الورد ، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن .

وقولهم : ”ضَلَّ الدَّرِيضُ نَفَقَهُ“ الدَّرِيض : ولد الفأرة واليربوع والهرة وأشباه ذلك ، ونفقته : بجره : يضرب لمن يُعنى بأمره ويُعدُّ حُجَّةً لخصمه ، فيَنسى عند الحاجة .

١٠

وقولهم : ”ضَلَّ حِلْمُ أَمْرَأَةٍ فَأَيْنَ عَيْنَاهَا ؟“ أى هَبْ أَنْ عَقَلَهَا ذَهَبُ فَأَيْنَ ذَهَبُ بَصَرُهَا ؟ : يضرب في استبعاد عقل الحليم .

وقولهم : ”ضَائِفُ اللَّيْثِ قَتِيلُ الْمَحَلِّ“ : يضرب لمن أضطرَّ لشيء فغتر بنفسه في طلبه .

١٥

حرف الطاء

وقولهم : ”طَوَيْتُهُ عَلَى بِلَالِهِ وَعَلَى بُلَلَّتِهِ“ قال الشاعر

وصاحب مَرَامِي دَاجِيَتُهُ * عَلَى بِلَالٍ نَفْسُهُ طَوَيْتُهُ

ويقال : طويت السقاء على بُلَلَّتِهِ إذا طويته وهو نِدْلٌ لانه إن طُوِيَ يابساً تكسّر ،

وإن طوى ندياً عَفَنَ : يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب ؛ قال الشاعر

ولقد طويْتُكُمْ على بُلَاتِكُمْ * وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ
فَإِذَا الْقِرَابَةُ لَا تُقَرَّبُ قَاطِعًا * وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ
والأذراب : جمع ذَرَبٍ وهو الفساد .

وقولهم : ” طويته على غَيْرِهِ “ : غَرُّ النَّوْبِ : أتركسره الأول : يضرب لمن
يُوَكِّل إلى رأيه وما أنطوى عليه .

١٢

حرف الظاء

قولهم : ” ظَالِعٌ يَعُودُ كَسِيرًا “ : يضرب للضعيف يَنْصُرُ من هو أضعف منه .
وقولهم : ” ظَنَرُ رَعُومٍ ، خَيْرٌ مِنْ أُمِّ سَوْومٍ “ : الظنر ؛ الحاضنة ، والرءوم :
العطوف ، والسؤوم : الملول : يضرب في عدم الشفقة وقلة الاهتمام .

وقولهم : ” ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ الْحِقْدِ “ معناه ظاهر .
وقولهم : ” ظِلَالٌ صَبِيفٌ مَا لَهَا قِطَارٌ “ : يضرب لمن له ثروة ولا يُجِدَى
على أحد .

حرف العين

قولهم : ” عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى “ أول من قاله خالد بن الوليد
لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق ، ونالته مشقة
بسبب العطش ، فأسرى حتى أدرك الماء فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى :
يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة .

وقولهم : ” عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرِ الْيَقِينُ “ : يضرب في معرفة الشيء حقيقة .

وقولهم : ”عَيْرَ عَارِهِ وَتَدُهُ“ أى أهلكه ؛ وأصله أن رجلا أشفق على حمارة فربطه إلى وتد، فهجم عليه السبع فلم يتمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : ”عند النطاح يُغَلَبُ الكَبْشُ الأَجَمُّ“ وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

وقولهم : ”على أهلها تَجْنِي بَرَأَقِشُ“ قالوا : كانت براقش كلبه تقوم من العرب ، فأغیر عليهم فهربوا وهى معهم ، فنبحت فاتبع القوم آثارهم بنبأحها ، فادركوهم فقتلوهم ، ففيها يقول حمزة بن بَيْض

بل جناها أخٌ على كَرِيمٌ * وعلى أهلها بَرَأَقِشُ تَجْنِي

وقيل فى هذا المثل غير ذلك .

وقولهم : ”عسى الغُوَيْرُ أبْؤُسا“ الغُوَيْرُ : تصغير غارٍ ، والابؤس : جمع بؤس وهو الشدة ، قالته الزبَاءُ عند رجوع قَصِيرٍ من العراق ، ومعه الرجال ، وكان الغویر على طريقه ، ومعناه لعل الشرَّ يأتىكم من قبل الغار : يضرب للرجل يقال له : لعل الشرَّ جاء من قبلك .

وقولهم : ”عُشْبٌ ولا بَعِيرٌ“ : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

وقولهم : ”عَادَ غَيْثٌ على مَا أَفْسَدَ“ : يضرب للرجل فيه فساد ، وصلاحه أكثر .

وقولهم : ”عاد السهمُ الى النَّزْعَةِ“ أى رجع الحق إلى أهله .

وقولهم : ” عصا الجبان أطول “ لأنه يفعل ذلك من فضله ، يرى أن طولها أشدّ ترهيبا لعدوه من قصرها .

وقولهم : ” على الخبير سقطت “ المثل لمالك بن جبّير العامريّ، وتمثّل به الفرزدق حين لقي الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، عند مقدمه من العراق وخروج الحسين إليه وقد قال له : ما وراءك ؟ فقال : على الخبير سقطت ؛ فلوبّ الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، والنصر من السماء .

وقولهم : ” عادة السوء شرٌّ من المغرم “ معناه أن المغرم إذا أذيتَه فارقك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

وقولهم : ” تجعّج لما عَضَهُ الطَّعَان “ أى صاح ، والظعان : نَسْعٌ يُشَدُّ به المودجُ : يُضْرَبُ لمن يَضِجُ إذا لَزِمَهُ الحق . ١٠

وقولهم : ” عند الرّهان تُعرف السّوابق “ : يُضْرَبُ لمن يدعى ما ليس فيه .

وقولهم : ” عاد الأمر إلى نصابه “ : يُضْرَبُ فى الأمر يتولاه أربابه .

وقولهم : ” عَيْنُكَ عَبْرَى والفؤادُ فى دَد “ الدُّو والدَدْنُ والدَّاءُ : اللعب واللهو : يُضْرَبُ لمن يُظهر حُرْنا لحزنك وفى قلبه خلاف ذلك . ١٥

وقولهم : ” عُرْفُطَةٌ تُسْقَى مِنَ الْغَوَادِق “ ويروى : الغوايق ؛ العُرْفُطَةُ : شجرةٌ خَشَنَةُ الْمَسِّ ، والغَوَادِقُ : السحابُ الكثير الماء : يُضْرَبُ للشَّرِّيرِ يُكْرَمُ ويُجَلَّلُ .

حرف الغين

- قولهم: "غُدَّةُ كَعْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوِيَّةٍ" قاله عامر بن الطفيل ؛ وذلك أنه لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ! وقدم معه أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ اخو لَيْبَدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ الشَّاعِرِ لِأُمِّهِ ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل ، قال : "دَعُهُ ، فَإِنْ يُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَهْدِهِ" فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد ، مالي إن أسلمتُ ؟ قال : " لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم " قال : تجعل لي الأمر بعدك ، قال : " ليس ذاك إلي ، إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء " قال : فتجعلني على الوبر وأنت على المدر ، قال : " لا " قال : فما ذا تجعل لي ؟ قال : " أجعل لك أعنةً لخيـل تغزو عليها " ، قال : أوليس ذلك إلي اليوم ؟ وكان قد أوصى إلى أَرْبَدِ بْنِ قَيْسٍ : " إذا رأيته أُلْكِمَهُ فِدْرًا مِنْ خَلْفِهِ فَأَضْرِبْهُ بِالسِّيفِ " فاخترط أَرْبَدُ سَيْفَهُ شِبْرًا فخبسه الله تعالى فلم يقدر على سَلِّهِ ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أَرْبَدَ وما يصنع بسيفه ، فقال : " اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ " فأرسل الله تعالى على أَرْبَدِ صَاعِقَةً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ صَاحٍ فَأَحْرَقَتْهُ ، وولى عامر بن الطفيل هارباً وقال : يا محمد ، دعوت ربك فقتل أَرْبَدَ ، والله لا مَلَأْنَاهَا عَلَيْكَ خِيلاً جُرْداً وَفِتْيَاناً مُرْداً ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم " يمنعك الله من ذلك " فسار عامر حتى نزل بيت امرأة سُلُوِيَّةٍ ، فخرجت على ركبته غُدَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فقال : غُدَّةُ كَعْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوِيَّةٍ ، ثم مات على ظهر فرسه ؛ وسُلُوٌ أَقْلُ الْعَرَبِ وَأَذَلُّهُمْ ، فسار كلامه مثلاً : يُضْرَبُ فِي خَصَلَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا شَرٌّ مِنَ الْآخَرَى .

وقولهم : " غَرَّني بُرْدَاكَ مِنْ خَدَا فِلي " و يروى : من غدا فلي ؛ أصل المثل

أن رجلا استعار بُرْدِي امرأة فلبسهما، ورَمَى بِخُلْقَانٍ كانت عليه، فاسترجعت المرأة بُرْدِيها فقال له : يُضْرَبُ لِمَنْ ضَيَّعَ ماله طمعا في مال غيره .

حرف الفاء

وقولهم : ” في وَجْهِ الْمَالِ تَعْرِفُ أَمْرَتَهُ “ أى نماء وخيره ؛ ويقال : أَمِرَتْ أَمْوَالُ بَنِي فُلَانٍ إِذَا تَمَّتْ وَكَثُرَتْ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُسْتَدَلُّ بِحَسَنِ ظَاهِرِهِ عَلَى حَسَنِ بَاطِنِهِ .

وقولهم : ” فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ “ زعمت العرب أن الأرب أَلْتَقَطَتْ تَمْرَةً فَاخْتَلَسَهَا الثَّعْلَبُ فَأَكَلَهَا ، فَأَنْطَلَقَا يَخْتَصِمَانِ إِلَى الضَّبِّ ، فَقَالَتْ الْأَرْبُ : يَا أَبَا الْحَسَلِ ، قَالَ : سَمِعَا دَعْوَتِي ، قَالَتْ : أَتَيْنَاكَ لَنَخْتَصِمَ إِلَيْكَ ، قَالَ : عَادِلًا حَكْمًا ، قَالَتْ : فَأَخْرِجْ إِلَيْنَا ، قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ ، قَالَتْ : إِنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً ، قَالَ : حُلُوَّةٌ فَكُلِيهَا ، قَالَتْ : فَاخْتَلَسَهَا الثَّعْلَبُ ، قَالَ : لِنَفْسِهِ بَغَى الْخَيْرِ ، قَالَتْ : لَطَمْتُهُ ، قَالَ : بِحَقِّكَ أَخَذْتِ ، قَالَتْ : لَطَمَنِي ، قَالَ : حُرٌّ أَنْتَصِرَ ، قَالَتْ : فَاقْضِ بَيْنَنَا ، قَالَ : حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ أَمْرَةً ، فَإِنْ أَبَتْ فَارْبَعَةً ؛ فَذَهَبَتْ أَقْوَالُهُ كُلُّهَا أَمْثَالًا .

وقولهم : ” فَتَى وَلَا كَمَالِكَ “ قاله مُتَمِّمٌ بْنُ نُوَيْرَةَ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ لَمَّا قُتِلَ .
وقولهم : ” فِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا “ أَوَّلُ مَنْ قَالَه جَارِيَةٌ مِنْ مُزَيْنَةَ ، قَالَ الْحَكَمُ بْنُ صَخْرٍ النَّفْقَى : نَحَرْتُ مِنْفَرِدًا فَرَأَيْتُ بِأَمْرَةً (وَأَمْرَةً مَوْضِعٌ) ، جَارِيَتَيْنِ أُخْتَيْنِ لَمْ أَرَ كَمَالَهُمَا ، فَكَسَوْتُهُمَا وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِمَا ، قَالَ : ثُمَّ حَجَجْتُ مِنْ قَابِلٍ وَمَعِيَ أَهْلِي ، وَقَدْ أَعْتَلَلْتُ وَنَصَلْتُ خَضَابِي ، فَلَمَّا صَرْتُ بِأَمْرَةٍ ، إِذَا إِحْدَاهُمَا قَدْ جَاءَتْ ، فَسَأَلْتُ

سؤال مُنِكَرَة ، قال فقلت : فلانة ؟ قالت : فِدَى لك أبى وأُمى ، أُنّى تعرِفُنّى وأنكرِك ؟ قال فقلت : أنا الحَكَم بن صَخْر ، قالت : رأيتُك عامَ أوّل شأبأ سُوقةً ، وأراك العامَ شيخًا مِلَكًا ، وفي دُون هذا ما تُنكرُ المرأةُ صاحبَها ، فذهبت مثلاً ، قال قلت : ما فعلتُ أختك ؟ قال : فتتَفَسّت الصُّعداءُ ، وقالت : تزوّجها ابن عمّ لها وذهب بها ، فذاك حيث تقول

إذا ما قَفَلنا نحوَ نَجْدٍ وأهلها * خَسبي من الدنيا قُفولٌ إلى نَجْدٍ

قال قلت : أَمَا إني لو أدركتُها لتزوّجْتُها ، قالت : وما يمنعُك من شريكِتها في حسنِها وجمالِها وشقيقِتها ؟ قال قلت : يَمْنَعُنِي من ذلك قول كُثَيّرٍ حيث يقول

إذا واصلتنا خُلّةٌ كى تزيلَنا * أبينا وقلنا الحاجِيةُ أوّل

فقالت : كثيرٌ بيني وبينك ، أليس الذى يقول

هل وصل عَزّةٌ إلا وصل غانية ؟ * فى وصل غانية من وصلها خَلَفَ

قال : فتركت جوابها عيًّا .

وقولهم : ” فاتكةٌ واثقةٌ برى ” زعموا أن امرأةً كُثِرَ لبِنها وطفقت تُهريقه ، فقال لها زوجها : لم تهريقينه ؟ فقالت : فاتكةٌ واثقةٌ برى : يضرب للفُسد الذى وراء ظهره ميسرة .

حرف القاف

قولهم : ” قطعَت جَهِيْزةٌ قولَ كلِّ خَطيبٍ ” أصله أن قوماً اجتمعوا يخطبون فى صلح بين حَيٍّ ، قَتَلَ أحدهما من الآخر قَتيلًا ليرضوا بالدية ، فبيناهم فى ذلك ، إذ جاءت أمةٌ يقال لها : جَهِيْزةٌ ، فقالت : إن القاتل قد ظَفَرَ به بعضُ

أولياء المقتول قتلته ، فقالوا : قطعت جبهة قول كل خطيب : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله .

وقولهم : ” قَبْلَ الْبُكَاءِ كَانَ وَجْهَكَ عَابِسًا “ : يضرب للبخیل یعتَلّ بالإعدام .
ومثله : ” قَبْلَ الْنَفَاسِ كُنْتَ مُضْفَرَةً “ .

وقولهم : ” قَلْبَ الْأَمْرِ ظَهَرًا لِبَطْنِ “ : يضرب في حمن التديير .

وقولهم : ” قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَرَى “ : يضرب في الحث على الحد في الأمر .

وقولهم : ” قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمَكْوَاةَ فِي النَّارِ “ قاله عُرْفُطَةُ بْنُ عَرَبَفَةَ سَيِّدُ بَنِي هِزَانَ ، وَكَانَ بِيْهَ وَبَيْنَ الْحَصِيْنِ بْنِ نَيْتِ الْعُكْلِيِّ حُرُوبٌ وَوَقَائِعٌ ، قَتَلَتْ عُكْلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي هِزَانَ ، وَأَسْرَ عُرْفُطَةُ بْنُ عُكْلَ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ لَهَا : أَيُّكُمْ أَفْضَلُ لِأَقْتَلَهُ بِصَاحِبِنَا ؟ فَبَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُخْبِرُ أَنَّ صَاحِبَهُ أَكْرَمُ مِنْهُ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا جَمِيعًا ، فَقُدِّمَ أَحَدُهُمَا لِلْقَتْلِ ، فَبَعَلَ الْآخَرَ يَضْرِبُ ، فَقَالَ عُرْفُطَةُ : قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمَكْوَاةَ فِي النَّارِ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا : يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَخُوفٌ بِالْأَمْرِ فَيَجْزَعُ قَبْلَ وَقُوعِهِ . وَهَذَا أَحَدُ الْأَقْوَالِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وقولهم : ” قَدْ يَبْنَ الصَّبْحُ لَذَى عَيْنَيْنِ “ : يضرب في ظهور الأمر كل الظهور .

وقولهم : ” قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا “ القارة : قبيلة قد تقدّم ذكرها في الأنساب .

وقولهم : ” قَبْلَ الرِّمَاءِ ثُمْلًا الْكَثَائِنِ “ أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه .

ومثله . "قبل الرمي يراش السهم" : يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها .
وقولهم : "قَلْبٌ لَهُ ظَهْرُ الْحَجْنِ" : يضرب لمن كان لصاحبه على مودة، ثم حال
عن عهده .

وقولهم : "قد أَلْقَى عَصَاهُ" إذا استقر من سفر أو غيره؛ يقال : إنه لما بويج
لأبي العباس السفاح، قام خطيباً فسقط القضيب من يده، فقام رجل من القوم وأشد
فألقَتْ عصاها وأستقر بها النوى * كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ
وقولهم : "قد وَنَى طَرَفَاهُ" : يضرب لمن ذلَّ وضعف عن أن يتم له أمر ؛
قال النجاشي

وإن فلانا والإمارة كالذي * وَنَى طَرَفَاهُ بعد ما كان أجدا

وقولهم : "قُدَّتْ سِيورُهُمْ مِنْ أَدِيمِكَ" : يضرب للشيئين يستويان في الشبه
قال الشاعر

* وَقُدَّتْ مِنْ أَدِيمِهِمْ سِيورى *

وقولهم : "قد بَلَغَ الشَّظَاظُ الْوَرِكَينَ" الشظاظ : عُودٌ يُعْمَلُ فِي عَمْرُوة
الجوالق : يضرب فيما جاوز الحد، وهو كقولهم : جاوز الحزامَ الطَّيَّينَ .

حرف الكاف

١٥

قولهم : "كان كُرَاعاً، فصار ذُرَاعاً" : يضرب للذليل الضعيف صار عزيزاً
قويّاً .

وقولهم : "كَلَامٌ كَالْعَسَلِ ، وَفِعْلٌ كَالْأَسَلِ" : يضرب في اختلاف القول
والفعل .

وقولهم : ”كنت تبكي من الأثر العافى فقد لاقيت أخذودا“ : يضرب لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : ”كل ذات بعلي ستقيم“ هذا من أمثال أكرم بن صيفي ؛ قال الشاعر

أفطم إني هالك فتبتي * ولا تجزعي كل النساء تميم

أى ستفارق زوجها .

وقولهم : ”كل أزب نفور“ قاله زهير بن جديمة لأخيه أسيد ، ونذكر الخبر في وقائع العرب .

وقولهم : ”كل فتاة بأبيها معجبة“ : يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : ”كل الصيد في جوف القرا“ المرأ : الحمار الوحشي ؛ أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين ، فأصطاد أحدهم أرنباً ، والآخر ظبياً ، والثالث حمارة ، فنتاولا عليه بصيدهما ، فقال : كل الصيد في جوف القرا : يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وقد تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : ”كدمت غير مكدم“ : يضرب لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .

وقولهم : ”كالثور يضرب لما عافت البقر“ : يضرب في عقوبة البريء بذنب المجرم ، ويأتى ذكر ذلك في أوابد العرب .

وقولهم : ”كالكبش يحمل شفرة وزنادا“ : يضرب لمن يتعرض للهلاك .

وقولهم : ”كالمستغيث من الرمضاء بالنار“ : يضرب في الخلتين يجتمعان على الرجل .

وقولهم : ” كَالْقَابِسِ الْعَجَلَانِ “ : يضرب لمن عَجَلَ في طلب حاجته .

وقولهم : ” كَالَهُمَا وَتَمْرًا “ أَوَّلُ من قاله عمرو بن حُمران الجعديّ ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زُبْدٌ وَسَنَامٌ وتَمْرٌ ، فقال : أنلني ممّا بين يديك ، فقال : أيّا أحبّ إليك أزُبْدٌ أم سَنَامٌ ؟ فقال : كلاهما وتَمْرًا ، فسارت مثلاً .

وقولهم : ” كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُدَيَّةِ “ يقال : إن رجلاً وجد صيداً ، ولم يكن معه ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها : يضرب في طلب الشيء يؤدّي صاحبه إلى تلف النفس .

وقولهم : ” كَذَى الْعُرْيُكَوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ “ : يُضْرَبُ في أخذ البريء بذنب الجاني ، ويأتي ذكره في أوابد العرب .

وقولهم : ” كَالْمَحْتَاضِ عَلَى عَرَضِ السَّرَابِ “ : يُضْرَبُ لمن يطعم في محال . ١٠
وقولهم : ” كُلُّ لِيَالِيهِ لَنَا حَنَادَسٌ “ : يُضْرَبُ لمن لا يصل إليك منه إلا ما تركه .

حرف اللام

١٦

قولهم : ” لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي “ معناه لو ظمّني من كان كفؤاً لي لهان عليّ ، ولكن ظمّني من هو دوني ، وهو كقول بعضهم

١٥ فلو أني بُليتُ بهاشميّ * خؤولته بنو عبد المَدَانِ
لهان عليّ ما ألقى ولكن * تعالَى فأنظري بمن آبتلاني

وقولهم : ” لَوْ غَيْرِ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي “ روى الأصمعيّ : أن حاتماً الطائيّ مرّ ببلاد عَتَّةَ في بعض الأشهر الحُرُم فناداه أسير لهم : يا أبا سَفَانَةَ : أكلني الإِسَار

والقمل ، فقال : ويحك ، أسأت إذ توهمت باسمي في غير بلاد قومي ، فساوم القوم به ثم قال : أطلقوه وأجعلوا يدي في القيد مكانه ، ففعلوا ذلك ، ثم جاءته امرأة بيعير ليفصده فنحره فلطمته فقال : لو غير ذات سوار لطمتي ، يعني أني لا أقتص من النساء ، ثم عُرِف ، ففدى نفسه فداءً عظيماً .

وقولهم : ” لو ترك القطا ليلاً لنام “ قالته امرأة عمرو بن مامة ، وقد نزل عليه قوم من مُرايد ، فطرقوه ليلاً ، فأثاروا القطا ، فرأته امرأته فنبهته فقال : إنما هذا القطا ، فقالت : لو ترك القطا ليلاً لنام ، فسار مثلاً : يُضرب لمن حُمِل على مكروه من غير إرادته ، وقيل : إن التي قالته له حَدام بنت الريان .

وقولهم : ” ليس له جلد النمر “ : يصرب في إظهار العداوة وكشفها .

وقولهم : ” لقد ذل من بالث عليه الثعالب “ أصله أن رجلاً من العرب كان يعبد صنماً ، بغاء ثعلب فبال عليه ، فقال في ذلك :
أربُّ يبول الثعلبانُ برأسه ؟ * لقد ذل من بالث عليه الثعالبُ

وقولهم : ” ليس هذا بعشك فأدرجى “ : يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

وقولهم : ” لم أجد لسفرتي محزاً “ : يُضرب عذراً في تعدد الحاجة .

وقولهم : ” لو سئلت العارية أين تذهبين لقلت أكسبُ أهلي ذمّاً “
هذا من كلام أكرم بن صيفي : يُضرب في سوء الجزاء للنعم .

وقولهم : ” ليس من العدل ، سرعة العدل “ أي لا ينبغي أن تعجل بالعدل قبل أن تعرف العذر .

- وقولهم : ” ليس القدامى كالحوافي “ : يُضرب عند التفضيل .
- وقولهم : ” لو كويتُ على داءٍ لم أكره “ أى لو عوتبتُ على ذنب ما أمتعضتُ .
- وقولهم : ” ليس على الشَّرق طَخَاءٌ يَحْجُب “ أى ليس على الشمس سحاب :
- يُضرب فى الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .
- وقولهم : ” لأ كويته كية المتلوم “ أى كيا بليغا ؛ والمتلوم : الذى يتتبع الداء .
- حتى يعلم مكانه : يُضرب فى التهديد الشديد .
- وقولهم : ” لأمر ما جدع قصيرُ أنفه “ قالت له الزَّباء لما رأت قصيرا مجدوعا ؛
- وخبره يأتى فى باب المكائد .

حرف الميم

- ١٠ قولهم : ” ما تنفع الشَّفعةُ فى الوادى الرُّغب “ الشَّفعة : المطرة الهينة ، والرُّغب :
- الواسع : يضرب للذى يعطيك قليلا لا يقع منك موقعا .
- وقولهم : ” ما وراءك يا عصام ؟ “ يقال : أول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه بلغه جمال آبنة عوف بن مُحَلَّم فأرسل إليها امرأة ذات عقل ولسان ، يقال لها : عصام ، وقال : أذهبي لتعلميني بجالها ، فلما آتته إليها ونظرتها خرجت وهى تقول : ” ترك الخداع ، من كشف القناع “ فذهبت مثلا ، ثم عادت ١٥ إليه ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ فقالت : ” صرَّح المحض عن الزُّبد “ فأرسلتها مثلا ؛ وساق الميداني على هذا المثل كلما طويلا قالت له عصام فى وصف أعضاء المخطوبة .

وقولهم : " ما يوم حَلِيمَة بَسْر " هى حَلِيمَة بنت الحارث بن أبى شير، كان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيبا فى مِرْكَنِي فطيبتهم ؛ فلما آتته إلى كَيْبِد بن عمرو وذهبت لَتُخَلِّقَه ، قَبَلَهَا ، فلطمته وأتت أباه ، فقال لها : ويلك أسكتى عنه ، فهو أرجاهم عندى ذكاء فؤاد ، وإنى مرسله ، فإن قُتِلَ فقد كفى الله شره ؛ فسار إلى المنذر بالحيش ، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا ، فقيل فيه :
ما يوم حَلِيمَة بَسْر .

وقولهم : " ما أشبه الليلة بالبارحة " أى ما أشبه بعض القوم ببعض .

وقولهم : " مرعى ولا كالسعدان " قالوا : السعدان أخثر العُشْبِ لبنا ، ومنايته السهول : يُضْرَب مثلا للشئ يَفْضَلُ على أقرانه وأشكاله ؛ وأول من قال المثل : خنساء بنت عمرو بن الشريد ، وقيل : بل قالته امرأة من طي تَرْوِجُهَا ١٠
أمرؤ القيس بن مُجَرِّ الكندى فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟ فقالت :
مرعى ولا كالسعدان ، أى إنك إن كنت رضا فلست كَفُلَانِ .

وقولهم : " ماء ولا كصداء " صَدَاءُ : رَكِيَّة عذبة ؛ قال ضرار السعدى

وإنى وتيسامى بزَيْنَب كَالَّذِى * تَطْلُبُ من أحواض صَدَاءَ مَشْرَبَا

معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرط حسننها ، كالذى يَرِدُ الماء فإنه يزاحم عليه لفرط عذوبته . ١٥

وقولهم : " محاسيف ما قال ابن دارة أجمعا " هو سالم بن دارة العطفانى ، ودارة : أمه ، وكان قد هجا بعض بنى فزارة فأغتاله زَمِيل قتلته ، ففيه يقول الكيت
فلا تُكثروا فيه الضَّجَاج فإنه * محاسيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقولهم : ”مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ“ الإِسْجَاحُ : حسن العفو، أى ملكت الأمر فأحسن العفو؛ وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته؛ ونذكر الخبر فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : ”من ينكح الحسناء يُعْطِ مَهْرَهَا“ أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .

وقولهم : ”من سرّه بنوه ساءتة نفسه“ قاله ضرار بن عمرو الضبّى : وكان ولده ثلاثة عشر رجلا، كلّهم قد غزا ورأس، فرأهم يوما وأولادهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنان إلا مع كبر سنّه، فقال : من سرّه بنوه ساءتة نفسه، فأرسلها مثلا .

وقولهم : ”من أشبه أباه فما ظلم“ معناه ظاهر .

وقولهم : ”من يرّ يوما يرّ به“ قاله كلّعب بن شؤبوب الأسدى، وكان يُغير على طيء وحده، فدعا حارثه بن لأم رجلا من قومه يقال له : عترم، فقال له : أما تستطيع أن تكفينى مؤونة هذا الخبيث؟ فقال : بلى، فأرسل عشرة عيون عليه، فعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائما فى ظلّ أراكية فنزل ومعه آخر فأخذ كلّ واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فترع يده اليمنى من مُسْكَمِها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقيون فأخذوه وشدّوه وثاقا وأتوا به حارثه، فقال له : يا كلّعب، إن كنت أسيرا فطلما أسرت، فقال : من يرّ يوما يرّ به، فأرسلها مثلا، وقال حوذة وهو ابن المقتول لحارثه : أعطنيه أقتله بأبى، فقال : دونك ! وجعلوا يتكلمون وهو يعالج كلّاه حتى أنحلّ، ثم وثب على رجليه فاتّبعوه بالخيل فأعجزهم .

وقولهم : ”مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ أَمِنَ الْعَثَارَ“ الجَدَدُ : الأرض المستوية : يُضْرَب فى طلب العافية .

وقولهم : "مَنْ يَشْتَرِي سِيفِي وَهَذَا أَثَرُهُ؟" قاله الحارث بن ظالم، وذلك أنه لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسيّ على ما ذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب، فوجّه النعمان فوارس في طلبه فأدركوه سحرا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكروا عليه بفعل لا يقصد لجماعة إلا فزقها وهو يقول : من يشتري سيفي وهذا أثره، فارتدعوا عنه وأنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : "مَنْ مَالٍ جَعَدٌ وَجَعَدٌ غَيْرَ مَحْمُودٍ" قاله جعد بن الحُصَيْن أبو صخر ابن جعد الشاعر، وكان قد كبر ففتزق عنه بنوه وأهله، وبقيت له جارية سوداء تخدمه، فعلمت ببقى من الحىّ يقال له : عَرَابَةٌ، فجعلت تنقل إليه ما فى بيت جعد، ففطن جعد لذلك، فقال فى ذلك

أبلغ لديك بنى عمرو مُغلغلةً * عمرا وعَوفًا وما قولى بمردودٍ
بأنّ ببنى أمسى فوق داهيةٍ * سوداء قد وعدتني شرّ موعودٍ
تُعْطى عَرَابَةٌ بالكفّين مُجْتَنَحًا * من الخَلُوقِ وتُعْطِينِي على العودِ
أمسى عَرَابَةٌ ذا مَالٍ يُسْرَبُهُ * من مَالٍ جَعَدٍ، وجَعَدٌ غَيْرَ مَحْمُودِ
يُضْرِبُ للرجل يصاب من ماله ويذم .

وقولهم : "من مأمنه يؤتى الحذر" قاله أكرم بن صفيّ .

وقولهم : "من يمشى يرض بما ركب" : يضرب للذى يضطر إلى ما كان يرغب عنه .

وقولهم : "من يلقى أبطال الرجال يكلم" قاله عُقَيْل بن علقمة المِزَنِيّ ، وقد رماه عمّلس أبنه بسهم فخل فخذيه، فقال أبياناً منها

إِنَّ بَنَى زَقْلُونَى بِالْدِمِ * شِنْشِنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَنْحَرِمِ

* مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ *

وقولهم : ” مَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ يُهْدَمُ “ أَى مِنْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهِ يُظْلَمُ ،
قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ .

وقولهم : ” مَكْرَهُ أَخُوكَ لَا بَطْلَ “ قَالَ أَبُو حَنْشَلٍ خَالُ يَهُسَّ : يُضْرَبُ لِمَنْ ٥
يُجْمَلُ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ .

وقولهم : ” مَنْ نَامَ لَا يَشْعُرُ بِشَجْوِ الْأَرْقِ “ : يُضْرَبُ لِمَنْ غَفَلَ عَمَّا يَعَانِيهِ
صَاحِبُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ .

حرف النون

١٠ قولهم : ” نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامًا “ هُوَ عَصَامُ بْنُ شَهَبٍ حَاجِبُ النُّعْمَانِ
أَبْنِ الْمُنْدَرِ : يُضْرَبُ فِي نِبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ ؛ وَقِيلَ فِي هَذَا

نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامًا * وَعَلِمْتُهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

* وَصِيْرَتُهُ مِلْكَاهُمَا *

وقولهم : ” نَظْرَةُ مَنْ ذَى عَالَقٍ “ أَى مِنْ ذَى هَوًى : يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْظُرُ بَوْدَ .

١٥ وقولهم : ” نَزَّتْ بِهِ الْبِطْنَةُ “ : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَحْتَمِلُ النُّعْمَةَ ؛

قَالَ الشَّاعِرُ

فَلَا تَكُونَنَّ كَالنَّازِي بِبِطْنَتِهِ * بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ حَتَّى ظَلَّ مَقْرُونَا

وقولهم : ”نجوتُ وأرهتُهُم مالكا“ قال عبد الله بن همام السلولي

فلما خَشِيتُ أظافيرَهُم * نجوتُ وأرهتُهُم مالكا

يُضرب لمن ينجو من هَلَكَةٍ تَنَسَّبَ فيها شركاؤه وأصحابه .

وقولهم : ”نام عصام ساعة الرحيل“ : يُضرب لمن طلب الأمر بعد ما ولى .

حرف الهاء

وقولهم : ”هَدْنَةُ عَلَى دَخَن“ .

وقولهم : ”هذا أوانُ شَدَّكُمْ فَشُدُّوا“ .

ومثله قولهم : ”هذا أوانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّى زَيْمُ“ قال الأصمعي : زيم : آسم

فرس : يُضرب للرجل يؤمر بالجلد .

وقولهم : ”هو على حَبْلِ ذِرَاعِكَ“ أى الأمر فيه إليك : يُضرب فى قرب

المتناول ؛ وحبل الذراع : عِرْقُ فى اليد .

وقولهم : ”هان على الأملِس ما لاقى الدَّيرُ“ : يُضرب فى سوء آهتَام الرجل

بشأن صاحبه .

وقولهم : ”هو بين حاذِفٍ وقاذِفٍ“ الحاذِفُ بالعصا ، والقاذِفُ بالحصى :

يُضرب لمن هو بين الشرَّين .

وقولهم : ”هو على طَرَفِ الثَّمَامِ“ الثَّمَامُ : نبت ضعيف سهل المتناولُ تسدُّ به

خصائص البيوت ، وربما حُشِيت به الخُادُّ ؛ قالوا : إنه ينبت على قدر قامة الإنسان :

يُضرب فى تسهيل الحاجة وقرب النجاح .

وقولهم : ”هى الخمر تُكْنَى الطَّلَاء“ : يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه على خلاف ذلك .

حرف الواو

- قولهم : ”وافق شَنْ طَبَقَةً“ قال الشرق بن القطامى : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له : شَنْ ، فألى أنه يطوف البلاد حتى يجد امرأة مثله فيترجها ، فبينما هو فى بعض مسيره إذ واقفه رجل فى الطريق فسارا جميعا ، فقال له شَنْ : أتجملنى أم أحملك ؟ فقال : أنا راكب وأنت راكب ، فكيف تجملنى أو أحملك ؟ ! ثم سارا فاتهما إلى زرع قد استحصد ، فقال شَنْ : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال : لم أر أجهل منك ، نبنا مستحصدا فتقول : أكل أم لا ! فسكت ، ثم سارا حتى دخلا القرية فلقيا جنازة ، فقال شَنْ : أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل : ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حى ! فسكت عنه شَنْ وأراد مفارقه فأبى أن يتركه وسار به إلى منزله ، وكان للرجل بنت يقال لها : طبقه ، فلما دخل عليها أبوها سأله عن ضيفه ، فقال : ما رأيت أجهل منه ، وحدثها بحديثه ، فقالت : يا أبت ما هذا بجاهل ! قوله : أتجملنى أو أحملك ؟ أراد أتحدثنى أم أحدثك ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فاكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقعد مع شَنْ لحادثه ، وقال له : أتحب أن أفسرك ما سألتنى ؟ قال نعم ، ففسره ، فقال شَنْ : ما هذا من كلامك ، فأخبرنى مَنْ صاحبه ؟ فقال : آبنة لى ، فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شَنْ طبقه ، فذهبت مثلا : يُضرب للتوافقين ؛

وقال الأصمعيّ : هم قوم كان لهم وعاء من أدَمٍ فتشَنُّ بجعلوا له طبَقًا فوافقه فقيل : وافق شَنُّ طبَقه ، ورواه أبو عبيدة في كتابه ، وقال ابن الكلبيّ : طبقة : قبيلةٌ من إِيَاد كانت لا تطاق فافقت بها شَنُّ بن أفصى بن دُعَميٍّ فانتصفت منها وأصابها فيها فُضْرَبتا مثلاً وأنشد

لَقِيْتُ شَنُّ إِيَادَا بِالْقَنَا * طَبَقًا ، وافق شَنُّ طَبَقَه

وقولهم : ” وجدتُ الناسَ أخْبَرْتُقْلَه “ أصله أَخْبَرُ الناسَ تَقْلُهُم : يُضْرَب في ذمِّ الناسِ وسوءِ معاشرتهم .

وقولهم : ” وَلَوْدُ الوعدِ عَاقِرُ الإِنْجَازِ “ : يُضْرَب لمن يَكْثُرُ وعده وَيَقِلُّ تَقْدُهُ .

وقولهم : ” وَدَعَ مَالًا مُودِعُهُ “ لأنه إذا أَسْتودِعَهُ غيره فقد ودَّعَهُ وَغَرَّرَ به ولعله لا يرجع إليه .

وقولهم : ” وَمَوْرِدُ الْجَهْلِ وَبَيْءُ الْمَنْهَلِ “ : يُضْرَب في التَّهَيُّ عن أَسْتِعْمَالِ الْجَهْلِ .

ما جاء في ما أوله (لا)

قولهم : ” لا تَحْبَأْ لِعِطْرِ بَعْدِ عَرُوسٍ “ ويقال : ” لا عِطْرَ بَعْدِ عَرُوسٍ “

أول من قاله امرأةٌ من عُدَّةٍ ، يقال لها : أسماء بنت عبد الله ، وكان لها زوج من بني عَمِّها يقال له : عَرُوسٌ ، فمات عنها ، فترَوَّجها رجل من قومها يقال له نَوْفَلٌ ، وكان أَعْسَرَ أَمْخَرًا بَخِيلًا ذَمِيمًا ، فلما دخل بها قال : ضُمِّي إِلَيْكَ عِطْرُكَ ، فقالت : لا عِطْرَ بَعْدِ عَرُوسٍ ، فذهبت مثلاً ، ويقال : إن رجلاً تزوج امرأةً ، فلما أهديت إليه

وجدها تَفَلَّةً فقال لها : أين الطَّيِّبُ ؟ فقالت : حَبَّأْتُهُ ، فقال لها : لا تَحْبَأْ لِطَیْرِ بَعْدَ عَرُوسٍ : يُضْرَبُ مِثْلًا لِمَنْ لَا يُدْتَرَعُنُهُ نَفْسٌ .

وقولهم : ” لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ “ : يُضْرَبُ لِمَنْ أُصِيبَ وَتُكِبَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، يُقَالُ هَذَا مِنْ امْتِثَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَه لِأَبِي عَزَّةَ الشَّاعِرِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَسْرَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَمَنْ عَلَيْهِ وَأُطْلِقَهُ .
ثم أَنَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَاسْرَهُ ، فَقَالَ : مَنْ عَلَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ” لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ “ أَيُّ لَوْ كُنْتَ مُؤْمِنًا لَمْ تَعُدْ لِقَاتِلَانَا .

وقولهم : ” لا أَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ “ أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ مَالِكُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِرِيُّ^(٢) ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ غَسَّانَ كَانَ يَطْلُبُ فِي بَنِي عَامِرٍ ذَحْلًا فَأَخَذَ مِنْهُمْ مَالِكًا وَسِمَاكَ ابْنَيْ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ فَاحْتَبَسَهُمَا زَمَانًا ثُمَّ دَعَا بِهِمَا ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي قَاتِلُ أَحَدِكُمَا ، فَأَيُّكُمَا أَقْتُلُ ؟ فَبْغَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ : أَقْتُلْنِي مَكَانَ أُخَى ، فَقَتَلَ سِمَاكَ وَخَلَّى سَبِيلَ مَالِكٍ ، فَقَالَ سِمَاكَ حِينَ ظَنَّ أَنَّهُ مَقْتُولٌ

فَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا ، * لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَةً
بِرَأْسِ سَبِيلٍ عَلَى مَرَقِبٍ * وَيَوْمَا عَلَى طُرُقٍ وَارِدَةٍ
فَأَمَّ سِمَاكَ فَلَاحَ تَجَزَعَى * فَلِلْمَوْتِ مَا تَلَدُ الْوَالِدَةِ

وَأَنْصَرَفَ مَالِكٌ إِلَى قَوْمِهِ فَأَقَامَ فِيهِمْ زَمَانًا ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مَرَّ وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ يَتَغَتَّى بِقَوْلِ سِمَاكَ * فَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا * فَسَمِعْتُهُ أَمَّ سِمَاكَ ، فَقَالَتْ : يَا مَالِكُ ، قَبِحَ اللَّهُ الْحَيَاةَ بَعْدَ سِمَاكَ ، أَخْرَجَ فِي الطَّلَبِ نَفْرَجَ فَلَقِيَ قَاتِلَ أَخِيهِ يَسِيرُ فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَفِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ وَفَرَاغِ الْأَلِّ : ” لَا يَلْسَعُ “ .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ وَفِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ : ” الْعَامِلِي “ بِاللَّامِ وَفِي فَرَاغِ الْأَلِّ : ” الْبَاهِلِي “ .

من أحسَّ لى الجملَ الأحمرَ، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك آكف ولك مائة من الإبل، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين، فذهبت مثلا .

وقولهم : "لا يرسل الساق إلا مُمسكا ساقا" أصله فى الحرياء : يضرب لمن لا يدع حاجة إلا سأل أخرى .

وقولهم : "لا ماءك أبقيت، ولا حرك أنقيت" ويروى : ولا درنك ؛ أصله أن رجلا كان فى سفر ومعه امرأته، وكانت عاركا فطهرت وكان معها ماء يسير فاعتسلت به فنقد ولم يكن لها فمطشا فقال هذا القول فسار مثلا، وقيل : إن الذى قاله الضب بن أروى الكلاعى قاله لامرأته عمرة بنت سبيع ؛ قال الفرزدق وكنت كذات الحيص لم تبق ماءها * ولا هى من ماء العذابة طاهر

وقولهم : "لا ناقتى فى هذا ولا جملى" المنى للحارث بن عبّاد حين قتل جساس بن مرة كليباً وهاجت الحرب بين الفريقين وأعتزلها الحارث ؛ قال الراعى وما هجرتك حتى قلت معلنة * لا ناقة لى فى هذا ولا جملى يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : "لا ينتطح فيها عتران" قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقولهم : "لا ينبت البقلة، إلا الحقلة" الحقلة : القراح، أى لا يلد الوالد إلا مثله : ويضرب مثلا للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس .

وقولهم : "لا تدخل بين العصا ولحائها" : يضرب فى المتخالين المتصافين .
وقولهم : "لا يحزنك دم هراقه أهله" قال هذا المثل جديمة : يضرب لمن يوقع نفسه فيما لا تخلص له منه .

حرف الياء

وقولهم : "يَدَاكَ أَوْكَا وَفُوكَ نَفَخَ" أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زِقْ قد نَفَخَ فيه فلم يُحَسِّنْ إحكامه ، فلما تَوَسَّطَ البحر خرجت منه الريح فغَرِقَ فاستغاث برجل ، فقال له : يدَاكَ أَوْكَا وَفُوكَ نَفَخَ ، فذهبت مثلا : يُضْرَبُ لمن يَجْنَى على نفسه الحَيْنَ .

وقولهم : "يَسْجُجُ وَيَأْسُو" : يُضْرَبُ لمن يُصِيبُ في التدبير مرّةً ويخطئ أخرى ، قال الشاعر

إِنِّي لِأَكْثَرِ مَا سُمْتَنِي عَجَبًا * يَدٌ تَسْجُجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي

وقولهم : "يُسْرِحُ حَسَوًا فِي آرْتِغَاءٍ" أصله أن الرجل يُؤَنَّى باللبن فَيُظْهِرُ أَنَّهُ يريد الرِّغوةَ خَاصَّةً فيشربها ، وهو في ذلك ينال من اللبن : يُضْرَبُ لمن يُرِيكَ أَنَّهُ يُعِينُكَ وإنما يَجْتَزُّ النفع إلى نفسه ، قال الكهيت

فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ صَدُودًا * وَتَحَسَاءَ بَعْلَةً مُرْتَفِينَا

وقولهم : "يَمْشِي رُويْدًا وَيَكُونُ أَوْلَا" : يُضْرَبُ للرجل يُدْرِكُ حاجتَه في تُوْدَةٍ وَدَعَةٍ ، وَيُنْشَدُ فِيهِ

تَسَالَى أُمُّ الْوَلِيدِ جَمَلًا * يَمْشِي رُويْدًا وَيَكُونُ أَوْلَا

وقولهم : "يُصْبِحُ ظِمَانًا وَفِي الْبَحْرِ قُمُهُ" : يُضْرَبُ لمن يعاشر بخيلاً مُثْرِيًا .

وقولهم : "يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ" مأخوذ من قول عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ مِنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَاجِدًا * يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ .

وهو الحبل الذي يُشَدُّ فِي وَسْطِ الْعَرَاقِ : يُضْرَبُ لمن يبالغ فيما يلي من الأمر .

وقولهم : "يُكْوَى البعيرُ من يَسِيرِ الداء" : يُضْرَبُ فِي حَسَمِ الْأَمْرِ الضَّائِرِ
قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ وَيَتَفَاقَمَ .

وقولهم : "يَعُودُ عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمِرُ" وَيُرْوَى : يَعْدُو؛ مَعْنَاهُ يَعُودُ عَلَى الرَّجُلِ
مَا تَأْمُرُهُ بِهِ نَفْسُهُ فَيَأْتُمِرُ، أَيْ يَتِمَثَّلُهُ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ رَشِدٌ، وَرَبَّمَا كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ،
وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ

أَحَارِبَنَّ عَمْرُو كَأَنِّي نَحِيرُ * وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمِرُ

وَمَا يَتِمَثَّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ



أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ جُحْرٍ : قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ شَعْرِهِ فِي الْأَسْتِشْهَادِ عَلَى أَمْثَالِ
الْعَرَبِ مَا يُسْتَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ .

وَمِنْ شَعْرِهِ

١٠

وَالسِّرُّ خَيْرٌ حَقِيقَةُ الرَّجُلِ * رَضِيَتْ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ *
: إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبٌ *

وَقَالَ أَيْضًا

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَنَى أَيْهِم * وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِتَابُ

وَقَالَ

١٥

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كُفَّاحِرٌ * ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ يَقُولُ

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ * وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ
وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ * وَلَوْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يُضْرَسْ بَأْنِيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُسْتَمِ
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يُسْتَفَنَ عَنْهُ وَيُدَمِّ
ومن لا يدُّد عن حوضه بسلاحه * يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمِ
ومن يَعِصْ أطرافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ * مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكَّبتُ كُلَّ لَهْدَمِ ٥

وقال أيضا

وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطَّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ * وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

وقال أيضا

وَالسُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ

وقال أيضا ١٠

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقَطَعُهُ ثَلَاثٌ * يَمِينٌ أَوْ نَفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ

يقول: إنما الحقوق تصحّ بواحدة من هذه الثلاث: يمينٌ أو محاكمةٌ أو حجةٌ واضحةٌ؛
وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعجّب من معرفته بمقاطع الحقوق .

النابعة الذّبياني : اسمه زياد بن عمرو، ويكنى أبا أمانة ؛ غلب عليه ”النابعة“،
لأنه عبر برُهّة لا يقول الشعر ثم نبغ فقالاه ؛ وكذلك الجعدى ؛ وقيل : إنما لُقّب بالنابعة
لِقَوْلِهِ ١٥

* فَقَدْ نَبَغَتْ لَهُمْ مَنَا شُؤُونُ *

وقيل في نسبه : زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مُرة
أَبْنُ عَوْفٍ بَنِ سَعْدٍ ذُبْيَانُ .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

* فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي * * فإن مطيَّة الجهل الشباب *

وقال

ولست بمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ * على شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ المَهْدَبُ؟

وقال أيضا

إِسْتَبَقَ وَدَكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ * قَتَبًا يَعْضُ بِنَارٍ مِلْحَا حَا

طرفة بن العبد يقول

* حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ * * مَا أَشَبَّهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ *

وقال أيضا

سُبْدَى لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وقال أيضا

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالشَّكِّ أَنَّهُ * إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلُ

أوس بن حجر يقول

فإنكما يَا ابْنَي حُبَابٍ وَجَدْتُمَا * كُنْ دَبٌّ يَسْتَخْفِي فِي الْكَفِّ جُلُجُلُ

وقال أيضا

وما يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ * وَلَا يَحْمِلُ الْمَاشِيْنَ إِلَّا الْحَوَامِلُ

إذا نَأَتْ لَمْ تَعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَانْخَنَّا * أَصَبَتْ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

وقال أيضا

ولستُ بِخَابِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا * حَذَارَ غَدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

بشر بن أبي خازم يقول

* وأيدى الندى فى الصالحين قروض * كفى بالموت نأياً وأغتراباً *

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول

قليل المال تُصلحه فيبقى * ولا يسقى الكثير مع الفسادِ

وقال أيضاً

لدى الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا * وما علّم الإنسان إلا ليعلمها
ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * جعلتُ لهم فوق العرائن ميسماً
وما كنتُ إلا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجذماً

وقال أيضاً

ولا يُقيم على ذل يراقبه * إلا الأذلان غير السوء والوئدُ
هذا على الخسف مربوط برُمته * وزا يُسج فلا يرثى له أحدُ

الأفوه الأودى يقول

إنما نعمة دنيا مُتعة * وحياة المرء ثوبٌ مستعارُ
وصروف الدهر فى أطباقه * حلقه فيها آرتفاع وانحدارُ
بينما الناس على عليها * إذ هَوُوا فى هوة منها فغاروا

وقال أيضاً

والبيت لا يُنتى إلا له عمْدُ .. ولا عماد إذا لم تُرس أوتادُ
فإن تجع أوتادُ وأعمدة * وساكنٌ، بلغوا الأمر الذى كادوا
تهدى الأمور بأهل الرأى ماصلحت * وإن تولت فبالأشرار تنقادُ
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة إذا جُها لهم سادوا

٥٠٠ بن أبي بن مسعود

تميم بن أبي مقبل يقول

خيلِي لا تستعجلا وأنظرا غدا * عسى أن يكون الرقُ في الأمر أرشدا
وقال أيضا

ما أنعم العيش ! لو أن الفتى حجر * تنبو الحوادثُ عنه وهو مالموم
حميد بن ثور يقول

أرى بصري قد رابني بعد صحّة * وحسبك داءً أن تصحّ وتسلمها
ولن يلبث العصران يوما وليلة * — إذا طلبا — أن يُدرِكا ما تيمما

عدى بن زيد يقول

كنى واعظا للراء أيامُ دهره * تروح له بالواعظات وتنسدى
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه * فكلّ قرين بالمقارن يقتدى
وظلم ذوى القرْبى أشدّ مضاضةً * على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشرّ يبعث أهله * وقام جُناة الشرّ للشرّ فأقعد

وقال أيضا

يا راقدا الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وقال

قد يُدرِك المبطئُ من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

وقال

لو بغير الماء حلّني شرقٌ * كنت كالغصّان بالماء اعتصاري

وقال

فهل من خالدٍ إما هلكا * وهل بالموت يالأناس عارُ ؟



الأسود بن يعفر يقول

ماذا أوئل بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ * تركوا منازلهم وَبَعْدَ لَمَإِيذِ
أَرْضِ تَخَيَّرِهَا لَطِيبَ مَقِيلِهَا * كَعْبُ بْنُ مَأمَةَ وَأَبْنُ أُمِّ دُوَادِ
أَهْلُ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّيْدِ وَبَارِقِ * وَالتَّقْصِرُ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ * فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ * فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
فَإِذَا النِّعَمِ وَكُلِّ مَا يُلْهَى بِهِ * يَوْمَا يَصِيرُ إِلَى بَيْلٍ وَنَفَادِ

علقمة بن عبدة يقول

فَإِن تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي * عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ * فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدَّهِنٍ نَصِيبُ
يُرِدُّنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ * وَشَرَّحَ الشَّبَابُ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ

وقال أيضا

وَكَلَّ حِصْنٍ وَإِنْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ * عَلَى دَعَائِمِهِ لَا بَدَّ مَهْدُومُ
وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغُرَبَانِ يَزْجُرُهَا * عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بَدَّ مَشْتُومُ

عمر بن كلثوم يقول

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرُو * بِصَاحِبِكَ الذِّي لَا تَصْحَبِينَا
وَإِنْ غَدَا وَإِنْ الْيَوْمَ رَهْنُ * وَبَعْدَ غَدٍ بِمَا لَا تَعْلَمِينَا

الحارث بن حلزة يقول

لَا تَكْشَعُ الشُّوْلَ بِأَغْبَارِهَا * إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ؟
وَأَصِيبُ لَأُضِيْفَاكَ أَلْبَانَهَا * فَإِنْ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ

حاتم الطائي يقول

أماوى ما يُفنى الثراءُ عن الفقى * إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال، كان له وفر
وقال أيضا

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤله * وفرجك، نالا متنى الذم أجمعا

المرقش الأصغر يقول

ومن يلق خيرا يحمّد الناس أمره * ومن يَفَو لا يعدم على الفقى لائما

النمر بن قَوْلَب يقول

يوذ الفقى طول السلامة جاهدا * فكيف تُرى طول السلامة يفعل؟

وقال أيضا

ومتى تُصَبِّك خصاصَةً فارح الفنى * وإلى الذى يهب الرغائب فارغب
لا تفضبت على أمرى فى ماله * وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وقال

فلا وأبى، الناس لا يعلمو * ن، للخير خير وللشر شر

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نُسّر

مهلهل بن ربيعة، وأسمه عدى يقول

أعزز على تغليب بما لقيت * أخت بنى الأكرمين من جُشِم

أنكحها فقدّها الأراقم فى * جنب وكان الخباء من آدم

لو بأبائين جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم

ليسوا بكفائنا الكرام ولا * يغنون من ذلة ولا عديم

طَفِيلُ الْغَنَوَى يَقُولُ

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعَا * مِنْهُنَّ مُرٌّ، وَبَعْضُ الْمَرْءِ مَا كَوُلُّ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ * فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بَدَّ مَفْعُولُ

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ يَقُولُ

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سَنِينَ نَتَابَعْتُ * عَلَى وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ
وَقَالَ أَيْضًا

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرَا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَنَالَ رَغِيْبَةً * وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

الْأَعَشَى : وَهُوَ مِمُّونُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَقُولُ

كَطَاحٍ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلَقَهَا * فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
وَقَالَ أَيْضًا

تَعَالَوْا فَإِنَّ الْحَكَمَ عِنْدَ ذَوِي النَّهْيِ * مِنَ النَّاسِ كَالْبَلْقَاءِ بَادٍ مُجْوْهُ

وَقَالَ أَيْضًا

وَمَنْ يَغْزِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ جَحْرًا وَمَسْحَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَيُّ * يَكُنْ مَا أَثَارَ النَّارِ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

وَقَالَ أَيْضًا

عَوَّدَتْ كَنْدَةَ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا * إِغْفِرْ لَهَا وَلَهَا وَرَوَّ سَجَاهَا

لَقِيْطُ بْنُ مَعْبُدٍ يَقُولُ

قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ * ثُمَّ آفِرْعُوا، قَدْ يَنَالُ الْأَمْرَ مَنْ فَرَعَا
هِيَاهُ، مَا زَالَتْ الْأَمْوَالُ مَدَّ أَبَدٍ * لِأَهْلِهَا — إِنْ أُصِيبُوا مَرَّةً — تَبَعَا

تأبط شرًا : وهو ثابت بن جابر يقول

لَتَفَرَعَنَّ عَلَى السَّنِّ مِنْ نَدِيمٍ * إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

المثقَّبُ العبدىَّ يقول

فَإِذَا أَنْ تَكُونَ أُنْحَى بِحَقِّ * فَأَعْرِفْ مِنْكَ غَتًى مِنْ سَمِينِي

وَإِلَّا فَاطْرَحْنِي وَأَتَّخِذْنِي * عَدُوًّا أَتَقْبِكَ وَتَتَقَبَّنِي

فَإِنِّي لَوْ تَعَانَدَنِي شِمَالِي * عَنَادَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي

المُرَّقُ العبدىَّ يقول

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوْلَا مَكَرَ أَنْتَ أَكَلِي * وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَلِمَّا أَمْرَقِي

أَفَنُونَ التَّغْلِبِيَّ يقول

لِعَمْرِكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي * إِذَا هُوَ لَمْ يَحْمِلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا

الأَضْبَطُ بْنُ قُرَيْعِ السَّعْدِيَّ يَقُولُ

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ * وَيَا كُلُّ الْمَالِ غَيْرُ مِنْ جَمْعِهِ

لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ * تَرْكِعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ * مِنْ قَرَعَيْنَا بَعِيشُهُ نَفَعَهُ

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ يَقُولُ

رُبَّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ

وِيرَانِي كَالشَّحَى فِي حَلْقِهِ * عَسْرًا مَخْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ

وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَا قَيْتُهُ * وَإِذَا يُخْلَوُ لَهُ لِحْيِي رَنَعُ

أَتَهَيَّ مَا يَمْتَلِ بِه مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ .

ومما يتمثل به من أشعار المخضرمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

منهم ليبيد بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع

ونحسون سنة يقول

وإذا رُمّت رحيلًا فارتحل * وأعص ما يأمر توصيمُ الكسل

وأكذب النفس إذا حدثتها * إن صدق النفس يُزرى بالأمل

وقال أيضا

وما المال والأهلون إلّا ودِيعَةٌ * ولا بدّ يوما أن تردّ الودائعُ

وما المرءُ إلّا كالشهاب وضوئه * يحور رمادًا بعد إذ هو ساطعُ

وقال أيضا

كانت قناتي لا تلين لغامز * فالأنها الإصباح والإمساء

ودعوتُ ربّي في السلامة جاهدا * ليُصحّني فإذا السلامة داء

وقال أيضا

ذهب الذين يُعاش في أكافهم * وبقيت في خلف بجلد الأجر

وقال أيضا

إلى الحول ثم أسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد آعتر

كعب بن زهير يقول

ومن دعا الناس إلى ذمه * ذمّوه بالحق وبالباطل

مقالةُ السوء إلى أهلها * أسرع من منحدر سائل

النابعة الجعدى : وهو قيس بن عبد الله ، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله
ويكنى النابعة : أبا ليل ، وهو أسن من الذبياني ، وطال عمره حتى أدرك أيام بنى أمية ،
وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم " لا يفضض الله فاك " ، فاسقطت له
سن ، وفي رواية : فكان أحسن الناس نفرا إذا سقطت له سن تنبت له أخرى ، وعاش
عشرين ومائة سنة ، وقيل أكثر .

ومما يُتمثل به من شعره قوله

ولا خيرَ فى حلمٍ إذا لم يكن له * بوادرُ تحي صفوه أن يكدرًا
ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكن له * حلِيمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرًا

وقال أيضا

كُليبُ لعمرى كان أكثرَ ناصرا * وأيسرُ جرما منك ضُرجَ بالدم
أمية بن أبي الصلت الثقفى يقول

تلك المكارمُ لا قعبانٍ من لبن * شيئا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

حسان بن ثابت يقول

وإن أمرا يُسمى ويُصبح سالما * من الناس — إلا ما جنى — لَسعيدُ

وقال أيضا

رُبَّ حلِيمٍ أضاعه عَدَمُ الما * لِ وجهلٍ غطى عليه النعيمُ
ما أبالى أنبَّ بالحزنِ تيسُ * أم لحانى بظهرِ غيبٍ لئيمُ؟

الحطيطية : وأسمه جرول بن أوس بن مخزوم . وقيل : جرول بن أوس بن مالك
ابن غطفان بن سعد ويكنى : أبا مليكة ، والحطيطية لقبٌ غلب عليه ؛ قيل لقب به

لقصره وقربه من الأرض؛ وقيل : حقيق في مجلس قومه فقال : إنما هي حطأة
فسمى الحطيفة .

فما يمتثل به من شعره قوله

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُعْثِهَا * وَأَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

وقال أيضا

أَقِلُّوا عَلَيْهِمَ لَا أَبَا لِأَبْيَكُمُ * مِنَ اللُّومِ أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أَوَّلَكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا * وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

متمم بن نورية يقول

وَكَا كَنْدَمَانِي جَذِيمةَ حِقْبَةٍ * مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لِي يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا * لَطُولِ أَجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

أبو ذؤيب الهذلي يقول

وَتَجَلَدِي لِلشَّامَتَيْنِ أَرِيهُمُ * أَنِّي لَرِيبِ الدَّهْرِ لَا أَنْضَعُضُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا * أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَنْفَعُ

الخنساء : وهي ثُمَا ضُرْبَتِ عَمْرُو بْنُ الشَّرِيدِ تقول

وَمَنْ ظَنَّنِي مِنْ يُلَاقِي الْحُرُوبَ * بَأَنِّ لَا يَصَابُ فَقَدْ ظَنَّنِي عَجْزَا

وقالت أيضا

نُهَيْتُ النَّفُوسَ وَهَذَا النَّفْوُ * سِ عِنْدَ الْكَرِيمَةِ أَبْقَى لَهَا

عمرو بن معديكرب يقول

إذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطعُ

وقال أيضا

ليس الجمالُ بمثَرٍ * فاعلم وإن رُدَّتْ بُرداً

إن الجمالُ ماثِرٌ * ومكارمُ أورثن مجداً

٥

معن بن أوس يقول

وفي الناس - إن رثت حبالك واصلُ * وفي الأرض عن دار القلَى متحولُ

إذا أنصرفت نفسى عن الشيء لم تكذُ * إليه بوجه آخر الدهر تُقبلُ

وقال أيضا

أعلمه الرماية كلَّ يوم * فلما آستد ساعده رمانى

١٠

زياد بن زيد يقول

ولا أتمنى الشرَّ - والشرُّ تاركى - * ولكن متى أُحملُ على الشرِّ أركبُ

❦

وقال أيضا

هل الدهر والأيام إلا كاترى؟ * رزية مالٍ أوفراقٍ حبيبٍ

أيمن بن خُزيم بن فاتك الأسدى يقول

١٥

إن للفتنة ميطاً بيننا * فرويد الميط منها تعتدلُ

فإذا كان عطاءُ فأتهم * وإذا كان قتالٌ فاعتزلُ

آتهى ما يُتملُّ به من أشعار المخضرمين .

ومما يتمثل به من أشعار المتقدمين في صدر الإسلام
الْقُطَاطِيّ : وأسمه عُمَيْرُ بْنُ شُدَيْمٍ يَقُولُ

وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا * يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعًا
وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ * وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ آتِبَاءًا
أَرَاهُمْ يَغْمِزُونَ مَنْ اسْتَرَكُّوا * وَيَجْتَنِبُونَ مَنْ صَدَقَ الْمِصَاعَا
كَذَاكَ وَمَا رَأَيْتَ النَّاسَ إِلَّا * إِلَى مَا جَرَّ جَانِبَهُمْ سِرَاعًا

وقال أيضا

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَأَنَّى بَعْضَ حَاجَتِهِ * وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجَلِ الزَّلُّ
وَرَبَّمَا فَاتَ بَعْضَ الْقَوْمِ أَمْرُهُمْ * مَعَ التَّائِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا
وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَى خَيْرًا فَائِلُونَ لَهُ * مَا يَشْتَهِي وَلَا تُمْ الْمَخْطِئُ الْهَبْلُ

الطَّرِيقَاحُ بْنُ حَكِيمٍ بْنُ الْحَكَمِ يَقُولُ

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَنْ تَرَى * شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

الْكَمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ يَقُولُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسَنَةُ مَرْكَبٌ * فَلَا رَأْيَ لِلضَّطَرِّ إِلَّا رَكُوبُهَا

وقال أيضا

فِيَا مَوْقِدَا نَارَا لِفَيْرِكَ ضَوْؤُهَا * وَيَا حَاطِبَا فِي جَبَلٍ غَيْرِكَ تَحِطُّبُ

المساوير بن هند يقول

شَقِيتُ بَنُو أَسَدٍ بِشَعْرِ مُسَاوِرٍ * إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ جَبَلٍ يُحْنَقُ

عدى بن الرِّقاع يقول

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني * ضناً به نظري إلى الأمراءِ
بل ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوي * فيما غشيتُ ولا نجومَ سماءِ
كالبرق منه وأبلٌ متتابع * جَوْدٌ وآخرُ ما يبضُّ بماءِ
والمرء يورثُ مجده أبنائه * ويموت آخرُ وهو في الأحياءِ

٥

الفرزدق، وأسمه همام بن غالب يقول

فواعجبا حتى كُلبٌ تسبني * كأت أباهَا نهشلٌ أو مجاشعٌ

وقال أيضا

تُرَبِّحُ ربيعٌ أن يبيءَ صغارها * بخيرٍ وقد أعيا عليكِ بكارها

وقال أيضا

١٠

فإن تنج منها، تنج من ذى عزيمة * وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

وقال أيضا

يَمْضَى أخوك فلا تلقَ له خَلْقًا * والمالُ بعد ذهاب المال مُكْتَسَبٌ

وقال أيضا

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤثرا * مثل الشفيع الذى يأتيك عُريانا

١٥

وقال أيضا

قُلْ لنضير، والمرء فى دولة السلطان أعمى مادام يدعى أميرا

فإذا زالت الولاية عنه * وأستوى بالرجال ، عاد بصيرا

وقال أيضا

ولا نلين لسلطان يُكَايِدُنَا * حتى يلين لِضرس الماضعِ الحجرُ

٢٠

وقال أيضا

هل أبنتك إلا أبْنٌ من الناس فاصبرن * فلبَّ يَرْجِعَ الموتى حينَ المآتمِ
جرير: هو أبْنُ الحَطَفَى ثُوْقَى سنة عشر ومائة يقول

إن الكريمةَ ينصرُ الكرمَ أبْنُها * وأبْنُ اللثيمةِ للثامِ نصورُ

وقال أيضا

زعم الفرزدقُ أن سيقْتلَ مربعا * أبشُرْ بطولِ سلامةٍ يا مربِعُ

وقال أيضا

وأبْنُ اللَّبُونِ إذا ما لَزَّ في قَرَبٍ * لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ

وقال أيضا

رأيتك مثلَ البرقِ يُحَسِّبُ ضَوْءَهُ * قريبا وأدنى ضوئُه منك نازِحُ

وقال أيضا

أما الرجالُ يَجْعَلَانُ ونِسْوَتُهُمْ * مثلُ القَنَافِدِ لا حُسْنَ ولا طِيبَ

الأخطل: وأسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو الفرج الأصبهاني: أسمه غياث

أبن غوث بن الصلت بن طارقة بن سيحان بن عمرو، وُرُفِعَ نسبُه إلى جُثَمِ بن بكر

ويُكْنَى: أبا مالك، قال: وقال المدائني هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة .

فما يَمْتَثِلُ به من شعره قوله

والناس همُّهمُ الحياةُ ولا أرى * طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خَبَالِ

وإذا أَفْتَقَرْتَ إلى الذخائر لم تَجِدْ * دُخْرًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

وقال أيضا

إِنَّ الصَّيْغَةَ تَلَقَّاها وَإِنْ قُدِّمَتْ * كَالْعَرِّ يَكُنْ حِينًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ
وَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُخَالِفُهُمْ * حَتَّى يَخَالَفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ

وقال أيضا

وَإِذَا دَعَوْنَكَ يَا أُخَى فَإِنَّهُ * أَحْنَى إِلَيْكَ مَوَدَّةً وَوَصَالًا
وَإِذَا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ فَإِنَّهُ * نَسْبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا

وقال أيضا

صَفَادُعُ فِي ظُلُمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ * فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وقال أيضا

يَا مَرْسَلَ الرِّيحِ جَنُوبًا وَصَبَا * إِنَّ غَضِبْتَ قَيْسٌ فزدها غَضَبًا

الصَّلَتَانِ الْعَبْدِيَّ يَقُولُ

وَإِنْ يَكُ بَحْرُ الْخَنْظَلَيْنِ وَاحِدًا * فَمَا يَسْتَوِي حَيْثَانُهُ وَالضَّفَادِعُ
وَمَا يَسْتَوِي صَدْرُ الْقَنَاءِ وَزُجْجُهَا * وَمَا يَسْتَوِي فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

كثير عزة: وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي، توفي سنة خمس ومائة

يقول

وَإِنِّي وَتَهْيَأِي بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا * تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتَ
لِكُلِّ مَرْتَبِي ظُلْمَ الْغَامَةِ كَلَّمَا * تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ أَضْمَحَلَّتْ
فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلِّ مَصِيبَةٍ * إِذَا وَطَّئَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَائٍ مُخَامِرٍ * لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

وقال أيضا

قَصَى كُلَّ ذِي دَيْنٍ فَوْقَ غَرِيمَةٍ * وَعِزَّةٌ مَمْطُولٌ مُعْنَى غَرِيمِهَا

وقال أيضا

وَمَنْ لَا يَغْمُضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ * وَعَنْ بَعْضٍ مَا فِيهِ يَمْتُ وَهُوَ عَاتِبُ

وَمَنْ يَتَّبِعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ * يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ

بحيل يقول

فَإِنْ يَكْ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِي وَبَيْنَهَا * فَإِنِ لَهَا فِي كُلِّ نَائِبَةٍ سَلَمٌ

وقال أيضا

وَلَرَبِّ عَارِضِي عَلَيْنَا وَصَلَهَا * بِالْحَدِّ تَخْلُطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ

فَأَجَبْتُهَا فِي الْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتُرٍ : حُبِّي بَشِينَةٌ عَنْ وَصَالِكٍ شَاعِلِي

لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرٍ قُلَامَةٍ * وَصَلًا وَصَلْتُكَ أَوْ أُنْتُكَ رَسَائِلِي

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعْدُ * وَشَفْتُ أَكْبَادَنَا مِمَّا نَجِدُ

وَأَسْتَبَدْتُ مَرَّةً وَاحِدَةً * إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

وقال أيضا

لَا تَلْمِني وَأَنْتَ زَيْتُنَا لِي * أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

ومما يُمَثِّلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ

منهم إبراهيم بن هرمة يقول

عَجِبْتُ أَتَيْلَةً أَنْ رَأَيْتُنِي مُخْلِقًا * نَكَلْتِكَ أُمِّكَ، أَيْ ذَاكَ يَرُوعُ؟

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرَدَاؤُهُ * خَلَقَ وَجَبُّ قَيْصِهِ مَرْقُوعُ

وقال أيضا

كَارَكَةٍ بِيضِهَا بِالْعَرَاءِ * وَمَلْبَسَةٍ بِيضِ أُخْرَى جَنَاحَا

بِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ يَقُولُ

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا * صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ

فَعَشَ وَاحِدًا أَوْ وِصْلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ * مُقَارَفَ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبُهُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى * ظُمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مِشَارِبُهُ

وقال أيضا

وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً * فَإِنَّ الْخَوَافِيَ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ

وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسَكِ الْغُلِّ أُخْتَهَا * وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ

وقال أيضا

كَبْكِرٍ تَشْتَهَى لَذِيذَ النِّكَاحِ * وَتَفَرِّقُ مِنْ صَوْلَةِ النَّكَاحِ

وقال أيضا

أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا مَحْلٌ شَرَابٍ * يُشْتَهَى شَرِبُهُ وَيُخْشَى صُدَاعُهُ

وقال أيضا

الْحَرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبِيدِ * وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وَصَاحِبِ كَالِدُمْلِ الْمَيْدِ * حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي

وقال أيضا

وَإِذَا جَفَوْتَ قَطَعْتَ عَنْكَ مَنَافِعِي * وَالذَّرُّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الْخَالِبِ

وقال أيضا

وَلَوْلَا الَّذِي خَبَرُوا لَمْ أَكُنْ * لِأَمْدَحَ رِيحَانَةً قَبْلَ شَمِّ

وقال أيضا

تَأْتِي الْمَقِيمَ - وما سعى - حَاجَاتُهُ * عَدَدَ الْحَصَى ، وَيَحْتَبُ سَعَى النَّاصِبِ

وقال أيضا

أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سَحَرَ عَيْنَيْكَ * وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعَشَاقِ

وقال أيضا

نَرْجُو غَدًا ، وَغَدًا كَاطِلَةٌ * فِي الْحَيِّ لَا يَدْرُونَ مَا تَأْتِي

وقال أيضا

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْثَرُ الْحَبُّ * وَتُعْشَى مَبَازِلُ الْكِرْمَاءِ
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْ * فِي وَلَكِنْ يَلْذُطُّ الْعَطَاءِ

وقال أيضا

* وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا * * وَلَنْ تَبْلُغَ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الدَّرَاهِمِ *

وقال أيضا

وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي مَرْوَةٍ * يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَقُولُ

* أَذَلَّ الْحَرُصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ * * وَكُلُّ غَنَى فِي الْعَيُونِ جَلِيلُ *
* رَوَائِحُ الْجَنَّةِ فِي الشَّبَابِ * * وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عُيُوبُ *

وقال أيضا

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْقَرَارَ وَالْجَدَّةَ * مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ ، أَيْ مَفْسَدَةٌ !

وقال أيضا

أَنْتَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ صَا * حَيْكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ * سَاعَةً بَجَّكَ فَرُوهُ

وقال أيضا

مَا يَحْزُرُ الْمَرْءُ مِنْ أَطْرَافِهِ طَرَفَا * إِلَّا تَحَوَّنَهُ النِّقْصَانُ مِنْ طَرَفٍ

وقال أيضا

يُصَادُ فَوَادَى حِينَ أَرِمِي وَرَمَيْتِي * تَعُودُ إِلَى تَحْيَرِي وَيَسْلُمُ مِنْ أَرِمِي

وقال أيضا

وَلَبَّ شَهْوَةَ سَاعَةٍ * قَدْ أَوْرَثَتْ حَزَنَا طَوِيلَا

١٠ سَلَّمَ بْنِ عَمْرٍو الْخَاسِرَ : وَهُوَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ بَصْرِيٌّ
لُقِّبَ الْخَاسِرَ لِأَنَّهُ وَرَثَ مِنْ أَبِيهِ مَصْحَفًا فَبَاعَهُ وَأَشْتَرَى بِثَمَنِهِ طُنْبُورًا ، وَقِيلَ :
بَلْ خَلَّفَ أَبُوهُ مَا لَا فَاَنْفَقَهُ فِي الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ : إِنَّكَ لَخَاسِرٌ
الْصَّفَقَةَ ، فَلُقِّبَ بِذَلِكَ .

فَمَا يَمْتَثِلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَا تَغَمَّا * وَفَازَ بِاللِّبْذَةِ الْجَسُورُ
لَوْلَا مَنِي الْعَاشِقِينَ مَا تَوَا * غَمًّا ، وَبَعْضُ الْمَنِيِّ غُرُورُ

وقال أيضا

وَلَوْ مَلَكَتْ عِنَانَ الرِّيحِ تَصْرِفُهُ * فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الطَّلُبُ

وقال أيضا

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خِلَافَتِهِ * فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ

صالح بن عبد القدوس يقول

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والجاهل الآمل ما في غد * كخفذه في اليوم أو أمسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يورى في ثرى رمسه
والحق داء ما له حيلة * ترجى كبعد النجم من لمسه

وقال أيضا

٢٥

وإنَّ عناءَ أن تُفهَمَ جاهلاً * فيحسبَ جهلاً انه منك أفهم
متى يبلغ البنيانُ يوماً تمامه * اذا كنتَ تبنيه وغيرك يهدم

وقال أيضا

١٠ إذا وُترتَ أمرءاً فاحذرِ عداوته * من يزرع الشوك لا يحصده عنباً

وقال أيضا

شرَّ المواهب ما تجود به * من غير محمّدة ولا أحر

وقال أيضا

١٥ لا تجدُ بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجودَ على من * هو للبود منك والبذل أهل

وقال أيضا

يَسْقَى رجالٌ وَيَسْقَى آخرونَ بهم * وَيُسَعِدُ اللهُ أَقواماً بِأَقوامِ
وليس رزق الفتي من لطف حيلته * لكن جدودُ بأرزاقِ وأقسامِ
كالصبيد يُحرّمه الراي المُجيدُ وقد * يُرمى فيُرزقه من ليس بالراي

وقال أيضا

إِن يَكُنْ مَابِهِ أَصْبَتَ جَلِيلًا * فَذَهَابُ الْعِزَاءِ مِنْهُ أَجَلُ
كُلِّ آتٍ لَأَشْكُ آتٍ وَذُو الْجَهْلِ مُعْنَى وَالْغَمُّ وَالْحَزَنُ فَضْلُ

ابن ميادة : هو الرماح بن أبي أبرد كنيته سُرحيل يقول

واعتجبا من خالدٍ كيف لا * يُحْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ

وقال أيضا

وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَحْصِدُهُ الدَّهْرُ * فَرَفِنَ بَيْنَ قَائِمٍ وَحَصِيدِ
وَكَا أَنَا لَمَوْتُ رَكْبٍ مُحِبُّو * ن سَرَّاعٌ لَمَنْهَلٍ مَوْرُوْدِ

أبو نواس الحسن بن هانئ يقول

* دَعِ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّ اللَّوْمَ لِمَ غَرَاءُ * * لَا رَبَّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلُ *

وقال

* وَلِلرَّجَاءِ حَرَمَةٌ لَا تُجْهَلُ * * وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ *

وقال أيضا

إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبُكَ تَكْشِفُ * لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وقال أيضا

لَا أَذَوْدُ الطَّيْرِ عَنْ شَجَرٍ * قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

وقال أيضا

وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ * أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ !

وقال أيضا

صَارَ جَدًّا مَا مَزَحْتُ بِهِ * رَبِّ جَدٍّ سَاقَهُ اللَّعْبُ

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادِ مُقَتَّرٌ * عليه ولا معروف عند بخيل

وقال أيضا

وأوبه مشتاق بغير درايم * إلى أهله من أعظم الحدّان

أبو عِيْنَةَ المهلبي يقول

* وكيف بُحود القلب والعينُ تشهدُ * ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدُ *
* وشتانَ ما بين الولاية والعزلِ *

وقال أيضا

وإذا تناولت الرءو * س فغَطَّ رَأْسَكَ ثم طَاطَهْ

عبد الله بن أبي عتبة المهلبي يقول

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتَهُونُ غيرَ شِمَاةِ الأعداءِ

وقال أيضا

ما كنتَ إلا كلحمٍ ميتٍ * دعا إلى أكله أضرارُ

العبّاس بن الأحنف يقول

لو كنتِ عاتبةً لسُكِّنَ رَوْعِي * أُمِّلِي رضاكِ وزرَّتْ غيرَ مِرَاقِبِ
لكن ملَّيتُ فما لصدِّكِ حيلةٌ * صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتِبِ

وقال أيضا

صرْتُ كَأَنِّي ذِبَالَةٌ نُصِبْتُ * تُضِيءُ للناسِ وهي تحترقُ

وقال أيضا

أرى الطريقَ قريباً حين أسلُكهُ * إلى الحبيبِ، بعيداً حين أنصِرِفُ

وقال أيضا

كفى حَرًا أَنَّ التَّبَاعِدَ بَيْنَنَا * وقد جَمَعْتَنَا وَالْإِجْبَةَ دَارُ

وقال أيضا

اِقْنَا مُكْرَهِينَ بِهَا فَلَمَّا * أَلْفَنَاهَا نَحْرَجْنَا مُكْرَهِينَا

وقال أيضا

* وَلَا خَيْرَ فِي وَدٍّ يَكُونُ بِشَافِعٍ * * من عاجل الشوق لم يستبعد الدار *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبي أمامة : أسعد بن زُرارة
الْحَزْرَجِيُّ وَلَقَّبَ صَرِيعَ الْغَوَانِي، وَمِمَّا يُتِمُّثَلُّ بِهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ

دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا * مَا اسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أَعْطَانِي

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا

يَعُدُّ الْفَتَى مَرَّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً * وَهَنٌ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَائِرُ

وقال أيضا

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دَوْنَهُ * وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ

فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ لِأَنَّهُ * عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

منصور التَّمَرِيُّ : هو منصور بن الزُّبَيْرِ قَانِ بْنِ سَلَمَةَ . وقيل منصور بن سَلَمَةَ بْنِ
الزُّبَيْرِ قَانِ بْنِ شَرِيكٍ ، مُطْعِمُ الْكَبِشِ الرَّحْمَ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَطْعَمَ نَاسًا نَزَلُوا بِهِ وَنَحَرَ
لَهُمْ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا هُوَ بِرَحْمٍ يُمْنٍ حَوْلَ أَضْيَافِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُذَبِّحَ لَهُنَّ كَبْشٌ وَيُرْمَى
لَهُنَّ فَقِيلَ ذَلِكَ وَبُزِلْنَ عَلَيْهِ فَبَزَقْنَهُ ، وَهُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَامِرِ الضَّحْيَانِ ، سُمِّيَ

بذلك لأنه كان سيد قومه وحاكمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار، وهو ابن سعد
ابن الخرج بن تيم الله بن الثير بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة
ابن أسد بن ربيعة بن نزار .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

• لعل لها عذراً وأنت تلوم * ورب أمرئ قد لام وهو مليم

وقال أيضا

ما كنت أوفى شبابي كنه عِزِّته * حتى أفضى فإذا الدنيا له تبع

وقال أيضا

أقل عتاب من استربت بؤده * ليست تُنال مودة عتاب

١٠ العتابي : هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود
ابن عمرو بن كلثوم الشاعر ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن
حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

وإن عظيما الأمور مشوبة * بمستودعات في بطون الأساود

وقال أيضا

١٥

ولله في عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالكاره

وقال أيضا

قلت للفرقدين، والليل ملق * سُودَ اكفاه على الآفاق

إبقيا مابقيتا سوف يُرمى * بين شخصيكما سهم الفراق

أَشْجَعُ السُّلَمَى : هو أشجع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو من أهل الرِّقَّة.

فما يمتثل به من شعره قوله

نسيبك من أمسى ينجيك طرفه * وليس لمن تحت التراب نسيبُ

وقال أيضا

سبق القضاء بكلِّ ما هو كائن * فليجهد المتقلب المحتالُ

وقال أيضا

داءٌ قديم في بني آدم * فتنةُ إنسان بإنسان

وقال أيضا

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رَصَدان، ضوءُ الصبح والإظلامُ

فاذا تنبه رعتَه وإذا غفا * سلَّت عليه سيوفك الأحلامُ

١٠

الجرهميُّ

وأعددتُه ذخرا لكل مُلمية * وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعُ

وقال أيضا

إذا مامات بعضُك فابك بعضًا * فإن البعضَ من بعض قريبُ

وقال أيضا

١٥

أرى الحلمَ في بعضِ المواطنينِ دِلَّةً * وفي بعضها عزًّا يُسَوِّدُ فاعله

وقال أيضا

ودون الندى في كل قلبٍ نِيةٌ * لها مَصْعَدٌ حَزَنٌ وَمُنْحَدٌ سهْلُ

وقال أيضا

العيش لا عيشَ إلا ما قَنَعَتْ به * قد يكثر المبالُ والإنسان مُفْتَقِرُ

٢٠

وقال أيضا

وهل حازم إلا كآخر عاجز * اذا حل بالإنسان ما يُتَوَقَّعُ

محمود الوراق : هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بني زُهرة ، ويكنى
أبا الحسن .

فما يُتَمَثَّلُ به من شعره قوله

وإذا غلا شيءٌ على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال أيضا

ما كدت أخص عن أختي ثقة * إلا ذممت عواقب الفحص

وقال أيضا

١٠ الدهر لا يبقى على حالة * لا بد أن يُقْبَلَ أو يُدْبَرَا
فإن تَلَقَّاك بمكروهه * فاصبر فإن الدهر لن يصبرا

وقال أيضا

إذا كان وجهه العذر ليس بواضح * فإن أطراح العذر خير من العذر

محمود بن حازم الباهلي

١٥ ألا إنما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أم تولت

وقال أيضا

وقائل كيف تفرقتما * فقلت قولاً فيه إنصاف

لم يك لي شكلاً فقارقتُه * والناس أشكأل والأف

السَّمَوِيُّ بن عَادِيَاء

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرْضُهُ * فكلُّ رداء يرتديه جميل
وقال أيضا

إذا كنت ملجئاً مُسِيئاً ومُحْسِناً * فَنَشِيَانِ مَاتَهَوَى من الأمر أ كَيْسُ
محمد بن أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشَقِي

لَا يُؤْنِسُنَّكَ أَنْ تَرَانِي ضَاحِكَا * كَمْ صَحَّكَتْ فِيهَا عُبُوسٌ كَامِنٌ
وقال أيضا

قَدِ يَمْنَهُنَّ الْهِنْدِيُّ وَهُوَ حُسَامٌ * وَيُحِثُّ الْجَوَادُ وَهُوَ جَوَادُ
أبو الشَّيْصِ : وَأَسَمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ رَزِينَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ نَهْشَلٍ ، وَأَبُو الشَّيْصِ لَقَبٌ غَلَبَ
عليه ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ عَمُّ دَعِيلِ بْنِ عَلِيٍّ . ١٠

فَمَا يُمْتَلِئُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ طَرَقُ الْهَوَى لِي ذَلِيلَةً * تَنْكِبْتُهَا وَأَنْحَزْتُ مِنْ جَانِبِ السَّهْلِ
عَلَى بْنِ جَبَلَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَهُوَ الْمُلقَبُ بِالْعَكَّوكِ قَالَ
وَأَرَى اللَّيَالِي مَاطُوتٍ مِنْ شَرَقِي * رَدَّتْهُ فِي عِظَتِي وَفِي إِفْهَامِي
وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ سَنَنِ الرَّدَى * حَيْثُ الرِّيمَةُ مِنْ سِهَامِ الرَّامِي ١٥
وقال أيضا

وَخَافَتْ عَلَى التَّطَوَّافِ قَوْمِي وَإِنَّمَا * تُصَابُ غَرَارِ الْوَحْشِ وَهِيَ رُتُوعُ
الْجَلَالُجِ الْحَارِثِيِّ

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنِّي ذَا الْهَوَى * إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوِي بِهِ الرِّجْلُ

وقال أيضا

إذا ما أهانَ أمرُؤُ نفسَه * فلا أكرم الله من يُكرمه

عبد الصمد بن المعدّل

ليس لي عُذرٌ وعندي بُلغَةٌ * إنما العذر لمن لا يستطيع

وقال أيضا

وأعلم أن بنات الرجاء * تُحِلُّ العزيزَ حَمْلَ الذليل

وأن ليس مُستغنيا بالكثير * من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال أيضا

أرى الناس أُحدوثَةً * فكونوا حديثاً حَسَنَ

كان لم يكن ما أتى * وما قد مضى لم يكن

إذا وطنٌ رابئٌ، * فكل بلادٍ وطن

إذا عزَّ يوماً أخو * لك في بعض أمر فهُنَّ

الحمدوني

إن المُقَدَّم في حِدْقٍ بصنعتَه * أنى توجه فيها فهو محروم

العنبي

قالت عهدتُك مجنونا، فقلتُ لها : * إن الشبابَ جنون برؤهُ الكبير

وقال أيضا

وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حاسديه له راحمينا

أبو سعيد المخزومي: وأسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد
لا سعيد .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

وكم رأينا للدهر من أسدٍ * بالت على رأسه ثعالبه

وقال أيضا

إذا ضنَّ الجَوَادُ بما لديه * فما فضلُ الجَوَادِ على البخيل؟

وقال أيضا

ليس لبسُ الطيَالِسِ * من لباسِ الفوارسِ

لا ولا حَوْمَةُ الوغى * كصدورِ المجالسِ

وظُهُورُ الجِيَادِ غيرَ ظُهُورِ الطنَافسِ

ليس من مارس الخطو * بكن لم يمارس

دُعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخِزَاعِيُّ: هو أبو جعفر وأسمه محمد ودُعْبِلُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ،
وَالدُّعْبِلُ: الْبُعَيْرُ الْمُسْنُ، وَقِيلَ: النَّاقَةُ الَّتِي مَعَهَا أَوْلَادُهَا .

فما يُثَمِّلُ به من شعره قوله

لا تعجبي يَاسَلَمُ مَنْ رَجُلٍ * صَحَّكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَ

وقال أيضا

هي النفس مَاحَسَنَتَهُ فَمُحَسَّنٌ * إِلَيْهَا وَمَا قَبَّحَتْهُ فَمُقْبَحٌ

وقال أيضا

جُنُفًا بِهِ يَشْفَعُ فِي حَاجَةٍ * فَاحْتَاجُ فِي الْإِذْنِ إِلَى شَافِعٍ

وقال أيضا

تلك المساعي اذا ما أحرث رجلا * أحب للناس عيبا كالذي عابه
كذلك من كان هدم المجد عادته * فإنه لبناء المجد عيابه

إسحاق بن إبراهيم الموصلي

وكل مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

المؤمل بن أميل

إذا مريضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر
لا تحسبوني غنيا عن مودتكم * إني إليكم وإن أيسرت مفتقر

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق ،
وأصله من خراسان .

فما يُتمثل به من شعره قوله

ورب أخ ناديت له لئمة * فالفيت منها أجلا واعظا

وقال أيضا

وكننت. أذتم إليك الزمان * فأصبحتُ فيك أذم الزمانا
وكننت أعدك للناثبات * فها أنا أطلب منك الأمانا

وقال أيضا

دنت بأناس عن تاء زيارة * وشط بليلي عن دنو مزارها
وإن مقيات بمتقطع اللوى * لأقرب من ليلي يهاثيك دارها

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول
 فلا تعتذر بالشغل عنا فإنما * تناط بك الآمال ما اتصل الشغل
 وقال أيضا

لعمري أبيت ما أنسب المعلّى * إلى كرم وفي الدنيا كريم
 ولكن البلاد إذا أقشعت * وصوت نبتها رعى الهشيم

سعيد بن حميد يقول
 * إن جهد المقل غير قليل * وعلى المريب شواهد لا تدفع
 وقال أيضا

وإنك كالدينيا تدم صروفها * ونوسعها سببا ونحن عبيدها

علي بن الجهم يقول
 ولكل حال معقب وربما * أجلي لك المكروه عما تمجد
 وقال أيضا

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل
 ولا عار إن زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا أن يزول التجميل

وقال أيضا
 أرض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا مذلة الأعذار

ابن أبي فني : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المتنبي يقول
 أرى الدهر يخلقني كلما * لبست من الدهر ثوبا جديدا

وقال أيضا

سُرَّ من عاش ماله فإذا حا * سَبَّهُ اللهُ سرَّهُ الإعدامُ

وقال أيضا

ربِّ أمرٍ سرَّ أخره * بعد ما ساءت أوائله

يزيد بن محمد المهلبى يقول

* لا عار إن ضامك دهرٌ أو ملكٌ *

وقال

وإن الناسَ جمعهم كثيرٌ * ولكن من تُسرُّ به قليلٌ

وقال أيضا

ومن ذا الذى تُرضى بجماله كلها * كفى المرء نبلا أن تعدَّ معايينه

١٠

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول

فإن تلحظى حالى وحالك مرةً * بنظرة عين عن هوى النفس تُحجِّبُ
تَرَى كلَّ يومٍ مرًّا من بؤس عيشتى * عليك بيومٍ من نعيمك يُحسبُ

أحمد بن أبى طاهر يقول

ودين الفتى بين التماسك والنهى * ودنيا الفتى بين الهوى والتغتر

١٥

وقال أيضا

حسن الفتى أن يكون ذا حسبٍ * من نفسه، ليس حسنه حسبه

أبو تمام حبيب بن أوس الطائى يقول

* ما الحبُّ إلا للحبيب الأول * * لسان المرء من جذم الفؤاد *

٢٠

* وذى النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال

ما أَبَّ مَنْ أَبَّ لم يظفر بجاحته * ولم يُعَبِّ طالبٌ للنَّجَحِ لم يُجَبِّ

وقال أيضا

ومن لم يُسَلِّمَ للنَّوَابِ أصبحت * خلائقه طرًّا عليه نَوَابِ

وقال أيضا

لأمرٍ عليهم أن يتمَّ صدوره * وليس عليهم أن تتمَّ عواقبه

وقال أيضا

لاتكرى عطلَّ الكريم من الغنى * فالسَّيلُ حربٌ للكانِ العالى

وقال أيضا

وإذا تأملتَ البلادَ رأيتها * تُثرى كما تُثرى الرجالُ وتُعدمُ

وقال أيضا

وإذا أمرؤُ أهْدَى اليك صنيعةً * من جاهه فكأنها من ماله

وقال أيضا

خلقنا رجالا للتجلد والأسى * وتلك الغواني للبكا والمآثم

وقال أيضا

ينال الفقى من عيشه وهو جاهلٌ * ويكيدى الفقى فى دهره وهو عالمٌ

ولو كانت الأرزاق تجري على الحصى * هلكن إذا من جهلن البهائمُ

وقال أيضا

أآلفة النحيب كم أفترق * أطلَّ فكان داعيةً أجتاع

وليس فرحة الأبواب إلا * لموقوفٍ على ترجِّحِ الوداع

وقال أيضا

وإذا أراد الله نشر فضيلة * يوما، أتاح لها لسان حَسودٍ
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طيبُ عَرِفِ العودِ

وقال أيضا

خشعوا الصولتك التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيه عار

وقال أيضا

ذاك الذي قَرِحَتْ بطونُ جفونه * مَرَهَا وتربة أرضه من إِمْد

وقال أيضا



وتركى سرعة الصِّدْرَ اعتباطًا * يدلّ على موافقة الورود

وقال أيضا

١٠

ولم أر كالمعروف تُدعى حقوقه * مغارمَ في الأرقام وهي مَغَانِمُ

وقال أيضا

وإن امرأةً ضنّت بداه على أمرى * ببيل يد من غيره لبخيلُ

أبو عبادة البُحْتَرى، وهو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شَمْلان بن جابر

أبن مُسلمة بن مُسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدى بن زَوَل بن بُحْتَر
الطائي .

فما يتمثل به من شعره قوله

* وأبرحُ مما حلّ ما يُتَوَقَّعُ *

وقال أيضا

* وليس تقترن النعماء والحسدُ *

وقال أيضا

* إن المعنى طالبٌ لا يظفرُ *

وقال أيضا

أرى الكفرَ للنعماء ضربا من الكفرِ .

وقال أيضا

٥

* يزين الآلى فى النظام آزدواجها *

وقال

وكان رجائى أن أؤوب مملكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلما

وقال أيضا

متى أخرجتَ ذا كرم تخطى * اليك بيعض أخلاق اللئيم !

١٠

وقال أيضا

والشئ تُمنعه يكون بفؤيته * أجدى من الشئ الذى تُعطاه

وقال أيضا

تناس ذنوب قومك إن حفظَ * الذنوب إذا قدم من الذنوب

وقال أيضا

١٥

وإذا ما خفيتُ كنتُ حرياً * أن أرى غير مُصبح حيث أُمسى

وقال أيضا

متى أرت الدنيا نباهة حاملا * فلا تنتظر إلا تحول نبيه

وقال أيضا

وأرى النجابة لا يكون تمامها * لتجيب قوم ليس بابن نجيب

٢٠

وقال أيضا

وإذا ما الشريف لم يتواضع * للأخلاء فهو عينُ الوضيع

وقال أيضا

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت * إلى المجد حتى عد ألف بواحد

وقال أيضا

ليس الذي يُعطيك تالد ماله * مثل الذي يُعطيك مَال الناس
وتفاضل الأخلاق إن حصَلتها * في الناس حيث تفاضل الأجناس

وقال أيضا

لا يأس المرء أن ينجبه * ما يحسب الناس أنه عطبه
يسرك الشيء قد يسوء وكم * نوه يوما بخامل لقبه

وقال أيضا

إذا محاسني الآتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر؟

وقال أيضا

وعطاء غيرك إن بذلت عنايةً فيه عطاؤك

- ديك الجحْن ، وأسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله ١٥
أبن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول
وشافي النصيح يعدل بالأشافي . وليس القدر إلا بالأثافي

وقال

إذا شجر المودة لم تجده * بغيث البرأسرع في الجفاف

وقال أيضا

يرقدُ الناسُ آمنينَ وزيبُ السَّدمِ يرعاهُمُ بمقلةٍ لَصٍّ

ابن الروميّ يقول

وكم داخلٍ بينَ الحميمينَ مصلحٌ * كما أنغلُ بينَ العيينِ والجفنِ مِرودٌ

وقال أيضا

هو بازٍ صائدٌ أرسلتُهُ * فارجموه سالما إن لم يَصِدْ

وقال أيضا

وما الحمدُ إلا توأمُ الشكرِ في الفتى * وبعضُ السجايا يتسببُ إلى بعضِ

إذا الأرضُ ردتْ ربيعَ ما أنتَ زارعٌ * من البذرِ فهمُ الأرضِ ناهيكَ من أرضِ

وقال أيضا

وإذا أُناتَكَ من الأمورِ مقدَّرٌ * ففررتَ منه فنحوهُ نُتوجهُ

وقال أيضا

كيفَ تَرْضَى الفقرَ عرساً لا مَرِيٍّ * وهو لا يَرْضَى لك الدنيا أُمَةً!

وقال أيضا

عدوكَ من صديقِكَ مستفادٌ * فلا تستكثرنَ من الصحابِ

فإنَّ الداءَ أكثرُ ما تراه * يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ

عبد الله بن المعتز يقول

فإنَّ العيونَ وجوهُ القلوبِ *

وقال أيضا

* أتمُّ الكرامِ قليلةُ الأولادِ *

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال أيضا

* أَبْطَأُ فَيْضَ الدَّلَاءِ أَمْلُوهَا *

وقال أيضا

إصبر على كيد الحسو * د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها * إذ لم تجد ما تأكله

وقال أيضا

ولا هم إلا سوف يُفْتَحُ قُفْلُهُ * ولا حال إلا للفقى بعدها حال

وقال أيضا

لا تأمنوا من بعد خير شرًا * كم غُصْنٍ أَخْضَرَ عاد جمرًا

وقال أيضا

وإني على إشفاق عني من البكا * لتجمع منى نظرة ثم أطرقُ

كما حُلْتُ عن ماء برد طريدة * تمتد إليه جيدها وهي تفرقُ

وقال أيضا وإشارته الى الديك

صَقَّقْ إِمَّا أَرْتِيَا حَةً لِسَنَا * فَفَجِرْ وَإِمَّا عَلَى الدَجَى أَسْفَا

عبيد بن عبد الله بن طاهر

ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائرته؟

فكيف تراه بعد يميناه صانعا * لمن ليس منه حين تدوى سرائرته؟

وقال أيضا

ألا قبّح الله الضرورة إنها * تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق!

وقال أيضا

وكم قائل قد قال مالك راجلا؟ * فقلت له من أجل أنك فارس!

وقال أيضا

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدأ

٥ ابن طباطبا العلوى: هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوى الأصبهاني يقول

إن في نيل المني وشك الردى * وقياس القصد عند السرف

كسراج دهنه قوت له * فاذا غرقته فيه طفى

وقال أيضا

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما أنصت

١٠ نخرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أفلت

وقال أيضا

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا * عامًا وردًا من الصبا أياما!

منصور الفقيه المقرئ يقول

١٥ يا من يخاف أن يكو * ن ما أخاف سرمدًا

أما سمعت قوهم * إن مع اليوم غدا!

وقال أيضا

الملح يصلح كل ما * يُخشى عليه من الفساد

فاذا الفساد جرى عليه * لحكه حكم الرماد

وقال أيضا

٢٠ كل مذكور من الناس اذا ما * فقدوه صار في حكم الرماد

وقال أيضا

كَلِّ مذكورٍ من الناس إذا ما فقدوه
صار في حكم حديث * حفظوه ونسوه

وقال أيضا

كَلِّ من أصبح في دهرٍ * ممن قد تراه
هو من خلقك مقرا * ض وفي الوجه مرآة

ابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام كنيته أبا الحسن يقول
* وكم أُمْنِيَّةٌ جلبت منية *

وقال

ولولا الضرورة ما جئتكم * وعند الضرورة يؤتى الكنيف !

١٠

وقال أيضا

قل لأبي القاسم المربجي * قابلك الدهر بالعجائب
مات لك أبن وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعائب
حياة هذا كموت هذا * فلست تخلون المصائب

وقال أيضا

رب يوم بكيت منه فلما * جزت في غيره بكيت عليه

١٥

وقال أيضا

قد يحمل الشيخ الكبيـ * ر جنازة الطفل الصغير

جَحْظَة : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك

النديم يقول

* وللساكنين أيضا بالندى وَلَع *

وقال أيضا

* وآفة التبرُّ ضَعْفٌ مُتَقَدِّمٌ *

وقال أيضا

* متى يلتقي الميتُ والغاسلُ؟ *

وقال أيضا

لا تعدّ للزمان صديقا * وأعدّ الزمان للأصدقاءِ

وقال أيضا

وما كذب الذي قد قال قبلي : * إذا ما مرَّ يومٌ مرَّ بعضي

وقال أيضا

إذا الشمر حلَّ ولا رزقَ لي * فعَدِّي لأيامه باطلٌ

وقال أيضا

وإذا جفاني جاهلٌ * لم أستخر ما عشتُ قطعةً
وجعلته مثل القبو * ر أزوره في كلِّ جمعة

الصنوبري يقول

مَحَنَ الفَقِي يُخْبِرَنَّ عَنْ فَضْلِ الْفَقِي * كالنارِ مخبئةٌ بِفَضْلِ الْعَبْرِ

وقال أيضا

(١)
رَبِّ حَالٍ كَأَنَّهَا مُدْهَبٌ الدِّيبُجُ صَارَتْ مِنْ رَقَةٍ كَاللَّاذِ
(٢)
وَزَمَانٍ مِثْلَ ابْنَةِ الْكَرْمِ حُسْنًا * عادَ عِنْدَ الْعَيُونِ مِثْلَ الدَّاذِي
أَوْ مَا مِنْ فُسَادٍ رَأَى اللَّيَالَى * أَتَى شَعْرَى هَذَا وَحَالَى هَذَى!

(١) اللادة : نوب حريرا أحمر صيني والجمع : لاذ .

(٢) الداذي : شراب للفَسَاق .

أبو الفتح كُشاجم : هو محمود بن الحسين بن السندی بن شاهك ، وشاهك أمه
يقول

يُعاد حديثه فيزيدُ حسنا * وقد يُستقبحُ الشيءُ المُعادُ

وقال أيضا

• شخصُ الأناُم الى جمالِكَ فاستعِدْ * من شرّ أعينهم بعيِّ واحد!

*
* *

ومما يُمثِّل به من أشعار المولَّدين : منهم

أبو فراس الحمدانيّ

غنى النفس لمن يعقُ * دل خير من غنى المالِ

١٠ وفضل الناس في الأنف * س ليس الفضل في الحال

وقال أيضا

ونحن أناسٌ لا توسِّط عندنا * لنا الصددون العالمين أو القبرُ

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن خطبَ الحسنا لم يقله المهرُ

وقال أيضا

١٥ وتدعو كريما من يهود بماله * ومن يبذل النفس النفيسة أكرم

وقال أيضا

وجميل العدو غير جميل * وقبيح الصديق غير قبيح!

أبو الطيب المتنبي يقول

* مصائب قوم عند قوم فوائد *

وقال أيضا

* إن المعارف في أهل النهى ذمٌ *

وقال أيضا

* وخير جليس في الزمان كتابٌ *

وقال أيضا .

* وتأبى الطباع على الناقل *

وقال أيضا

* ومنفعة الغوث قبل العطب *

وقال أيضا

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقال أيضا

* اذا عظم المطلوب قلّ المساعد *

وقال أيضا

* أنا الغريق فما خوفي من البلبل *

وقال أيضا

* فإن الرفق بالجانى عتابٌ *

وقال أيضا

* بغيضٌ الى الجاهل المتعاضل *

وقال أيضا

وكلّ امرئ يولى الجميل محبٌ * وكلّ مكان يُنبه العزّ طيبٌ

وقال أيضا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلی * مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقال أيضا .

والأمر لله، رب مجتهد * ما خاب إلا لأنه جاهد

وقال أيضا

وليس يصح في الأنفهام شيء * إذا احتاج النهار الى دليل

وقال أيضا

ومن نكدر الدنيا على الحرّ أن يرى * عدوا له ما من صداقه بد

وقال

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الأجسام

وقال أيضا

وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعله الآتي سررن ألوف

وقال أيضا

وإذا أنتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال أيضا

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * إذا لم يكن في فعله والخلاق!

وقال أيضا

وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق!

وقال أيضا

إنا لنرى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
ذكر ألقى عمره الثاني وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغالاً

وقال أيضا

وقيدت نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الإحسان قيلاً تقيداً

وقال أيضا

ما كل ما يمتنى المرء يُدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن!

السري بن أحمد بن السري الموصلي يقول

إذا العبء الثقيل توزعته * أكف القوم هان على الرقاب

وقال أيضا

فإنك كلما استودعت سرًا * أنتم من النسيم على الرياض

وقال أيضا

إلى كم أحبر فيك المديح * ويلق سواي لديك الحُبورا؟

أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي يقول

إن خالك الدهر فكن عاندا * باليد والظنم والعيس

ولا تكن عبد المني فالمني * رءوس أموال المفاليس

وقال أيضا

وأخ رخصت عليه حتى ملني * والشيء ملول إذا ما يرخص

ما في زمانك ما يعزّ وجوده * إن ربه إلا صديق مخلص

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ [أخوه] يقول

يا هذه إن رحْتُ في * خَلَقُ فِيا في ذاك عارُ
هذي المُدام هي الحليا * ة قبيصها نَحْرُقُ و قَارُ

وقال أيضا

٥ صغيرٌ صرفْتُ اليه الهوى * وما خاتمٌ في سوى خِئْصَرِ

الحَبَّازُ البلديّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة الى "بلد" وهي

من بلاد الجزيرة التي منها المَوْصِلُ يقول

إذا أَسْتَنْقَلْتُ أو أَبْغَضْتُ خَلَقًا * وَسَرَّكَ بَعْدَهُ حَتَّى التَّنَادِ
فَشَرَّدَهُ بِقَرْضِ دُرِيَهَمَات * فَإِنْ الْقَرْضِ دَاعِيَةُ الْفَسَادِ

١٠ أبو إسحاق الصبائي يقول

نِعْمُ اللَّهُ كَالْوَحُوشِ وَمَا تَأ * لَفِ إِلَّا الْأَخَايِرَ النَّسَا
نَقَرْتَهَا آتَانُمُ قَوْمٌ وَصَارَتْ * لِأَوَّلَى الْبَرِّ وَالتَّقَى أَشْرَا كَا

وقال أيضا

وَمَنْ الظُّلَمُ أَنْ يَكُونَ الرِّضَى سَمًّا * وَيَبْدُو الْإِنْكَارَ وَسَطَ النَّادَى

١٥ وقال أيضا

الضَّبُّ وَالنُّونُ قَدْ يُرْجَى آلَتْقاؤُهُمَا * وَلَيْسَ يَرْجَى التَّقَاءُ اللَّبَّ وَالذَّهَبَ

عبد العزيز عمر بن نُباته يقول

فَلَا تَحْقِرْ عَدُوًّا رَمَاكَ * وَإِنْ كَانَ فِي سَاعِدِيهِ قِصَرُ
فَإِنَّ السِّیُوفَ تَحْزَنُ الرِّقَابَ * وَتَعْجِزُ عَمَّا تَتَالِ الْإِبْرَ

وقال أيضا

مَثَلٌ خَلَعْتُ عَلَى الزَّمَانِ رِدَاءَهُ * عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

وقال أيضا

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ * حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

وقال أيضا

وَتَبَّتْ بَنَاءُ أَرْضِ الْعِرَاقِ * قَافَا تَجَنَّبَهَا بِمُجَنَّبِهِ

غَيْرِ الرَّحِيلِ، كَفَى الْبَلَاءُ * دَبرِ حِلَّةِ الْعَجْفَاءِ هُجْنُهُ

ابن لنكك البصرى : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول

وماذا أُرْجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ ؟ * وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَضْغَاثِ أَحْلَامِ

وقال أيضا

عَدْنَا فِي زَمَانِنَا * عَنْ حَدِيثِ الْمَكَارِمِ

مِنْ كَفَى النَّاسِ شَرًّا * فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمِ

وقال أيضا

جَارُ الزَّمَانِ عَلَيْنَا فِي تَصَرُّفِهِ * وَأَيُّ دَهْرٍ عَلَى الْأَحْرَارِ لَمْ يُحْرِ

عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَا لَوْ أَنَّ أَيْسَرَهُ * يُلْقَى عَلَى الْفَلَكَ الدُّوَارِ لَمْ يَدْرِ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي يقول

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا * رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ

وقال أيضا

وَالْمَرْءُ مَا شَغَلَتْهُ فُرْصَةٌ لَذَّةٌ * نَاسِيَ الْحَوَادِثِ آمِنَ الْحِدَنَانِ

وقال

وكان رقادى بين كَأْسٍ وروضة * فصار سُهادى بين طَرَفٍ وصارمٍ

وقال أيضا

ركوبُ الهولِ أركبك المذاكى * ولُبسُ الدرعِ ألبسك الغلائلُ

أبو الفرج الببغا يقول

ما الذل إلا تَحْمَلُ المِنْنِ * فكُن عزيزًا إن شئتَ أو فُهِينِ

وقال أيضا

ومن طلب الأعداءَ بالمالِ والظُّبى * وبالسعد لم يبعُدْ عليه مرأى

وقال أيضا

ولم أرْ مُدَّ عرفتُ محلَّ نفسى * بلوغَ منى تساوى حملَ مَنْ

وقال أيضا

أكلُ وميضِ بارقةِ كذوبٍ * أما فى الدهرِ شئٌ لا يريبُ؟

ابن سَكْرَةَ الهاشمى : هو محمد بن عبد الله يقول

* وعلةُ الحالِ تُنسى علةُ الجسدِ *

وقال أيضا

* وقد ينبت الشوك بين الأقاحى *

وقال أيضا

الموت أنصف حين عدلِ قِسْمَةٍ * بين الخليفة والفقير البائسِ

ابن الحَجَّاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول

* وربَّ كلامٍ تُستثار به الحربُ *

وقال أيضا

* خَوْدُ تُزْفٍ إِلَى ضَرِيرٍ مُقْعَدٍ *

وقال أيضا

وَاللُّوزَةُ الْمُرَّةُ يَا سَادَتِي * يَفْسُدُ فِي الطَّعْمِ بِهَا السَّكَّرُ

وقال أيضا

مَا زِلْتُ أَسْمَعُ كَمَ مِنْ وَاقِفٍ يَجْجِلُ * حَتَّى أَتَلَيْتُ فَكُنْتُ الْوَاقِفَ الْخَجَلَا

وقال أيضا

وَبِى مَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ حَالِ السَّعْلِيلَةِ مِنْهُمَا يَبْنَى بِحَالِي

إِذَا عَاجَلْتُ هَذَا جَفَّ كِبْدِي * وَإِنْ عَاجَلْتُ ذَلِكَ رَبِّي طَحَالِي

أَبُو الْحَسَنِ الْمَوْسَوِيُّ النَّقِيبُ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى يَقُولُ

أَمْسَيْتُ أَرْحَمُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَغْبِطُهُ * لَقَدْ تَقَارَبَ بَيْنَ الْعَزِّ وَالْهُونِ

وَمَنْظَرِ كَانَ بِالسَّرَّاءِ يَضْحَكُنِي * يَا قَرَبَ مَا عَادَ بِالضَّرَّاءِ يُبْكِنِي

وقال أيضا

وَالْحَزَنُ مِنْ حَذَرِ الْهَوَا * نَ يَزَاوِلُ الْأَمْرَ الْجَسِيَا

وَهُوَ الْعَظِيمُ وَغَيْرُ بَذْ * عَجَّ مِنْهُ إِنْ رَكِبَ الْعَظِيَا

وقال أيضا

مَا السُّؤْدُ الْمُطْلُوبُ إِلَّا دُونَ مَا * يُؤْمَى إِلَيْهِ السُّؤْدُ الْمَوْلُودُ

فَإِذَا هُمَا آتَفَقَا تَكَسَّرَتِ الْقَنَا * إِنْ غَالَبَا وَتَضَعُضَ الْجُحْمُودُ

وقال أيضا

اشْتَرَى الْعَزَّ بِمَا بَيْعَ * فَمَا الْعَزَّ بِنَفَالِي

٥

١٠

١٥

٢٠

بالقصار البيض إن شئت * أو السمر الطوال

ليس بالمغبون عقلا * مشتر عزّا بمال

إنما يُذخر المال * لحاجات الرجال

والفقى من جعل الأثـوال أثـمان المعالي

أبو طالب المأمونى يقول

لى فى ضمير الدهر سرّ كامن * لا بد أن تستلّه الأقدار

وقال أيضا

وما شرف الإنسان إلا بنفسه * أكان ذووه سادة أم مواليا

وقال

١٠ إذا الغيث وقى الروض واجب حقه * وزاد فإن الغيث للروض ظالم

(٣١)

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبى عبد الله الحسين بن محمد ، عرف

بأبن العميد ، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداوىج توفى أبى العميد بالرّى فى محزم

سنة ستين وثلاثمائة يقول

لن يصرف الدهر من سجيته * أرب أريب وحول ذى حيل

١٥ أى مَعِين صفا على كدر الدهر وأى النعيم لم يزل

وقال أيضا

من يُشَف من ذا بآخر مثله * أثرت جوانحه من الأدواء

داوى جوى بجوى وليس بحازم * من يَسْتَكف النارَ بالحلفاء

الصاحب بن عباد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد، توفي في صفر سنة خمس
وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمى بالصاحب لصحبة ابن العبد يقول
* بقدر المموم تكون الهمم * * كم صارم جرب في خنزير *

وقال أيضا

لقد صدقوا والراقصات الى منى * بأن مودات العدا ليس تنفع
ولو اتنى داريت دهرى حبة * اذا آستمكنت يوما من اللسع تلسع

الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي يقول

* القلب يدرك ما لا يدرك البصر * * يملك الأحرار بالإيناس *

أبو الحسن علي

وقال أيضا

وما أعجبتني قط دعوى عريضة * ولو قام في تصديقها ألف شاهد !

وقال أيضا

يقولون لي فيك أنقباض وإنما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد أرى * ولكن نفس الحتر تحتمل الظما

وقال أيضا

وقالوا أضطرب في الأرض فالرزق واسع * فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن في الأرض حر يعينني * ولم يك لي كسب فن أين أرزق ؟

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي يقول

* ومن عجب الأيام ترك التعجب *

وقال أيضا

* لكل صناعة يوما مديل *

وقال أيضا

واذا مدة الشقى تناهت * جاءه من شقائه متقاضى

وقال أيضا

عليك بإظهار التجلّد للعدا * ولا تظهرنّ منها الدتوفتحقرا

بديع الزمان أبو الفضل الهمدانيّ، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد توفى
سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما وأوفى على الأربعين سنة يقول

يا حريصا على الغنى * قاعدا بالمراصد !

لست فى سعيك الذى * خضت فيه بقاصد

إن دنياك هذه * لست فيها بخالد

بعض هذا فإنما * أنت ساع لقاعد

إسماعيل الناشئ يقول

* وللشباب نراعى حرمة الكتم *

وقال أيضا

وكنت أرى أن التجارب عدّة * نخانت ثقات الناس حتى التجارب

وقال أيضا

فركضاً فى ميادين التصابى * أحقّ الخيل بالركض المعار

وقال أيضا

ولا تجزعنّ على أيكّة * أبت أن تظلك أغصانها

أبو الفتح عليّ بن محمد البستيّ يقول

إذا مرّ بي يوما ولم أتخذ يدًا * ولم أستفد علما فما ذاك من عمري!
وقال أيضا

أنا كالورد فيه راحة قوم * ثمّ فيه لآخرين زكام!
وقال أيضا

لا ترجُ شيئا خالصا نفعه * فالغيث لا يخلو من العيث
وقال أيضا

ولم أر مثل الشكر جنة غارس * ولا مثل حسن الصبر جنة لايس
وقال أيضا

ولن يشرب السمّ الزعاف أخوالجي * مُدلاً بدرياقٍ لديه مجرب
وقال أيضا

ما استقامت قناة رأيي إلا * بعد أن عوج المشيب قناتي
وقال أيضا

وطول حمام الماء في مُستقرّه * يفيّره لونا وريحاً ومطعماً
وقال أيضا

إذا حيوانٌ كان طعمةً ضده * توقاه كالفار الذي يتقّ المراً
ولا شك أن المرء طعمةٌ دهره * فما باله يا ويحه يأمن الدهرا!
وقال أيضا

لا تحقر المرء إن رأيت به * دمامةً أو رثامةً الحُلل
فالنحل لا شك في ضؤولته * يشتارُ منه الفتي خيرَ العسل

الباب الثاني

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أوابد العرب

ومعنى الأوابد هاهنا : الدواهي ؛ وهي مما حى الله تعالى هذه الملة الإسلامية منها، وحذر المؤمنين عنها . فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) وقال تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) وقال تعالى (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُخْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا) وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطيرة . فمنها :

البحيرة :

قالوا : كان أهل البر يعطون لآلهمتهم من اللحم ، وأهل المدر يعطون لها من الحرث ، فكانت الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس مالم يكن ذكرا فشقوا أذنبا ، فتلک : البحيرة ؛ فربما اجتمع منها هجمة من البحر فلا يُعْزُّ لها وبر ولا يذکر عليها إن ركبت اسم الله ، ولا إن حمل عليها شيء . فكانت ألبانها للرجال دون النساء .

الوصيلة :

كانت الشاة إذا وضعت سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فإن كان ذكرا ذبح ، وإن كانت أنثى تُرکت في الشاء ، فإن كان ذكرا وأنثى قيل : وَصَلَتْ أَخَاهَا ، فخرّما جميعا ، وكانت منافعها ، ولبن الأثنى منها للرجال دون النساء .

السابعة :

كان الرجل يسبب الشيء من ماله ، إما بهيمة أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ،
منافعها للرجال دون النساء .

الحامى :

كان الفحل اذا أدركت أولاده فصار ولده جذا قالوا : حى ظهره ، آتروه فلا يحمل
عليه ، ولا يركب ، ولا يمنع ماء ، ولا مرعى ، فاذا ماتت هذه التى جعلوها لآلهم ،
أشترك فى أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ
خَالِصَةٌ لِّدُكُونَنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) قالوا : وكان
أهل المدر والحريث اذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطوا فى وسطه خطأ ،
فقسموه بين اثنين فقالوا : مادون هذا الخط : لآلهم ، وما وراءه : لله ، فإن سقط
مما جعلوه لآلهم شيء فيما جعلوه لله ردوه ، وإن سقط مما جعلوه لله فيما جعلوه
لآلهم أفزوه ، واذا أرسلوا الماء فى الذى لآلهم ، فانفتح فى الذى سموه لله سدوه ،
وإن أنتفتح من ذلك فى هذا قالوا : آتروه فإنه فقير اليه ، فأنزل الله عز وجل
(وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ) .

الأزلام :

قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الامر فيه
ولم يصح لهم أخذوا قداحا لهم فيها : أفضل ولا أفعل لا يفعل ، نعم لا خير ، شر بطيء
سريع ، فاما المداراة فإن قداحا لهم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يحيلونها فن خرج

سهمه فالحق له، وللخضر والسفر سهمان ؛ فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول
السادن : اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لفلان ، فيرضى بما يخرج له ، فإذا شكوا
في نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها : صريحٌ، وملصقٌ ؛ فإن خرج الصريح ألحقوه
بهم، وإن خرج الملصق نفوه، وإن كان صريحا فهذه قداح الاستقسام .

الميسر :

قالوا في الميسر : إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجُرُورَ بينهم، فيفصلونها على
عشرة أجزاء ؛ ثم يؤتى بالخرصة وهو رجل ينأله عندهم لم يأكل لحما قط بئس ،
ويؤتى بالقداح وهو أحد عشر قدحا ، سبعة منها لها حظٌ إن فازت ، وعلى أهلها
غرم إن خابت، بقدر مالها من الحظ إن فازت ، وأربعة يُنقل بها القداح، لاحظظ
لها إن فازت، ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التي لها الحظ : فأولها القُدُّ في صدره حرٌّ واحد؛ وإن خرج أخذ نصيبا، وإن
خاب غرم صاحبه ثمن نصيب، ثم التوأم . له نصيبان إن فاز، وعليه ثمن نصيبين
إن خاب، ثم الضَّريب، وله ثلاثة أنصباء، ثم الحِلْسُ وله أربعة، ثم النافِس،
وله خمسة، ثم المُسْبِل، وله ستة، ثم المَعْلَى وله سبعة . قالوا : والمسبِلُ يسمى :
المُصَفَّحُ، والضريب يقال له : الرقيب .

وقد جمع صاحب بن عباد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال
إن القِداحَ أمرُها عَجيبُ * الفُدُّ، والتوأمُ، والرقيبُ،
والحِلْسُ، ثم النَّافِسُ المصِيبُ * ، والمُصَفَّحُ المشتهر العجيبُ،
ثم المَعْلَى حظُّه التَّريُّبُ * هالك فقد جاء بها الترتيبُ،

وأما الأربعة التي يُنقل بها القِداحُ فهي : السَّقْفِيح، والمَنِيح، والمُضْعَف،
والوُغد .

قال ابن قتيبة : والمنيع له موضعان : أحدهما لاحظ له ، والثاني له حظ ،
فكانه الذي يُمنح حظُّه ، وعلى ذلك دلَّ قول عمرو بن قبيصة
بأيديهمُ مقرومةٌ ومغَالقُ * يعودُ بأرزاق العيال مَنِحها

قالوا : فيؤتى بالقِداح كلها وقد عرف كلَّ ما آختر من السبعة ولا يكون الأيسار
إلا سبعة ، لا يكونون أكثر من ذلك ، فإن نقصوا رجلا أو رجلين ، فأحب الباقون
أن يأخذوا ما فضل من القِداح ، يأخذ الرجل القِدح والقِدحين فيأخذ فوزهما إن
فازا ، ويغرم عنهما إن خابا ويدعى ذلك : التَّمِيمُ قال النابغة
إني أتمم أيسارى وأمنحهم * من الأبادى وأكسوا الجفنة الأذما

فيعمدوا الى القِداح ؛ فتشَدَّ مجموعة في قطعة جِلْدٍ ثم يعمد الى الحُرْضة فيلف
على يده اليمنى ثوبا لثلا يحْدَمَس قِدح له في صاحبه هوى ، فيحاطبه في إخراجِه ، ثم
يؤتى بثوب أبيض يُدعى . المِجْوَلُ ، فيبسط بين يدي الحُرْضة ، ثم يقوم على رأسه
رجل يدعى : الرقيب ، ويدفع رِبابَةَ القِداح الى الحُرْضة وهو محوّل الوجه عنها ،
والرِّبابَةُ : ما يجمع فيها القِداح ، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب ، فينكر
القِداح بشماله ، فاذا نهد منها قِدح تناوله فدفعه الى الرقيب . فإن كان مما لاحظ له
رُدُّ الى الرِّبابَةِ ، فإن خرج بعده المُسْبِلُ ، أخذ الثلاثة الباقية ، وغرم الذين خابوا ثلاثة
أنصباء من جزور أخرى ، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب ، فربما تحروا
عدة جزور ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئا ، وإنما الغرم على الذين خابوا ولا يحل

للتائين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا، فإن فاز قدحُ الرجل فأرادوا أن يعيدوا قدحه ثانية على خطر فعلوا ذلك به .

ومنها : نكاحُ المقت : كان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فالتقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال، فأنزل الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) .

ومنها : رمى البعرة : كانت المرأة في الجاهلية اذا توفى عنها زوجها ، دخلت حَفَشًا، والحَفَشُ : الخُص ، ولبست شُرثابها ولم تمس طيبا ولا شيئا، حتى تمرَّ لها سنةٌ ثم تؤتى بدابة : حمار أو شاة أو طير فتفتش به أى تمسح به، فقلما تفتش بشيء إلا مات ، ثم تخرج على رأس الحول ، فتعطى بعرة فترمي بها ، ثم تراجع .
وما شاعت من طيب أو غيره ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هين عليها مثل البعرة المرمية ، فنسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

ومنها : ذبح العتائر : قالوا : كان الرجل منهم يأخذ الشاة ، وتسمى العتيرُ والمعتورة فيذبحها ويصب دمه على رأس الصنم ، وذلك يفعلونه في رجب ، والعتَرُ قيل : هو مثل الذبح، وقيل : هو الصنم الذى يُعتر له . قال الطرماح * نغز صريعا مثل عاترة النسك

أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السِّلَعِ والعُشِيرِ : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فاذبح عنها كذا ،
فاذا بلغت ضنّ بها ، وعمد الى الطّباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر ، قال الشاعر :
عَتَا باطلاً وزوراً كما يُفْتَرُّ عن حَجَرَةِ الرِّبِيضِ الطّباءُ

ومنها : حبس البلايا : كانوا اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره ، ويعكسون
رأسها الى ذنبها ، وينظون رأسها بوليّة وهي البردعة ، فإن أفلتت لم تُردّ عن ماء
ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليركبها صاحبها في المعاد ، ليحشر
عليها ، فلا يحتاج أن يمشى ، قال أبو زيد
كالبلايا رءوسها في الولايا * مانحات السموم حرائدود

ومنها : خروج الهامة : زعموا أن الإنسان اذا قُتل ، ولم يطالب بثأره ، خرج
من رأسه طائرٌ يسمى : الهامة ، وصاح على قبره : آسقوني ! آسقوني ! الى أن
يطلب بثأره ، قال ذو الإصبع
يا عمرو إن لا تدع شتمى ومنقصتى * أضربك حتى تقول الهامة : آسقوني

ومنها : إغلاق الظهر : كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة ، عمّد الى البعير الذى
أماه به ، فأغلق ظهره لثلاث يركب ، ويعلم أن صاحبه حى ظهره ، وإغلاق ظهره
أن يتزع سناسن فقرته ويعقر سنامه .

ومنها : التعمية والتفقيّة : وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ، قال الشاعر
وهبتّها وأنت ذو أمتنان * تفقأ فيها أعين البُعران
فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى ، فهو التعمية .

ومنها : بَكاءَ المقتول : كان النساء لا يكيين المقتول إلا أن يُدرك بثأره، وإذا أدرك بثأره بكينه ؛ قال شاعر

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * يلطمن حر الوجه بالأمسحار

ومنها : رمى السنّ في الشمس : يقولون : إن الغلام إذا نغر، فرمى سنّه
في عين الشمس بسبّابه وإبهامه وقال : أبدلني أحسن منها، أمن على أسنانه العوج،
والفَلَج ، والثعل ؛ قال طرفة
بدلته الشمس من منيته * بردا أبيض مصقول الأثر

ومنها : خضاب النحر : كانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها،
خضبوا صدره بدم الصيد علامة له ؛ قال الشاعر

كان دماء العاديات بنحره * عصارة حناء بشيب مرجل

ومنها : التصفيق : كانوا إذا ضلّ الرجل منهم في الفلاة، قلب ثيابه، وحبس
ناقته، وصاح في أذنها كأنه يومئ الى إنسان، وصفق بيديه : الوحا الوحا، النجا
النجا، هيكل، الساعة الساعة، الى الى، عجل ؛ ثم يحرك الناقة فيمتدى ؛ قال
الشاعر

وأذن بالتصفيق من ساء ظنّه * فلم يدر من أىّ الدين جوابها

يعنى : يسوء ظنّه بنفسه اذا ضل .

ومنها : جز النواصي . كانوا اذا أسروا رجلا، ومثوا عليه فأطلقوه، جزّوا ناصيته
ووضعوها في الكئانة ؛ قال الحطيئة

فَدَنَا سَلَوَلْ فَسَلَوُوا مِنْ كَنَاتِهِمْ * مجدا تليدا ونُبلا غير أنكاس
يعنى بالنبل : الرجال ؛ وقالت الخنساء
جززنا نواصى فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا تُجزأ

ومنها : كى السليم عن الجرب : زعموا أن الإبل إذا أصابها العرُ فأخذوا
الصحيح وكواه زال العرُ عن السقيم ؛ قال النابغة

٢٤

وَكَلَّفَتْنِي ذَنْبَ أَمْرِي وَتَرَكْتَهُ * كَذَى الْعُرْيُكُوَى غَيْرُهُ وَهَوْرَاتُهُ
ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدوى .

ومنها : ضرب الثور : وزعموا أن الجنَّ تركب الثيران فتصدَّ البقر عن الشرب ؛
قال الأعشى

وإني وما كلفْتُمَايَ وَرَبِّكُمْ * لَيَعْلَمُ مِنْ أَمْسَى أَعَقُّ وَأُحْوِيَا
لكالثور والجنّي يركب ظهره * وماذنبه إن عافت الماء مشربا
وماذنبه إن عافت الماء باقر * وما إن تعاف الماء إلا يُضربا

وقال آخر

كَذَاكَ الثَّورُ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوَى * إذا ما عافت البسقر الظَّاهُ

ومنها : كعب الأرنب : كانوا يعلقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فعل
ذلك لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك أن الجنَّ تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من
مطايا الجنِّ لأنها تحيض ؛ قال الشاعر

ولا ينفع التعشير إن حُم واقع * ولا زعرع يفنى ولا كعب أرنب

وقيل لزيد بن كُثُوءَ : أحقُّ ما يقولون : إن من علّق على نفسه كعبَ أرنب لم يقربه جنُّ الحى وعُثمَار الدار ؟ فقال : إى والله ! ولا شيطان الحمّاطة ، الحمّاطة : شجرة التين ، وجان العُشرة ، وغول العُقر ، وكلّ الخوافى ، إى والله يطفى نيران السَّعالى .

- ٥ ومنها : حيض السَّمرة : يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة ، فعلق عليه سنّ ثعلب ، أو سنّ هرة ، أو حيض سَمرة ، أمن ، فإن الجنّة إذا أرادته لم تقدر عليه ، فإذا قال لها صواحباتها فى ذلك ، قالت
كانت عليه نُفَرَةٌ * ثعلبٌ وهِرَّةٌ
والحيض حيض السَّمرة *

- ١٠ ومنها : الطارف والمطروف : يزعمون أن الرجل إذا طرف عين صاحبه ، فهاجت فمسح الطارف عين المطروف سبع مراتٍ وقال فى كلّ مرة : بإحدى جاءت من المدينة ، بأنّى جاءت من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة ، الى سبع ، سكن هيجانها .
ومنها : وطء المقاليت : يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلا شريفا بقى أولادها ، وفى ذلك يقول بشر بن أبى خازم

١٥ تظلّ مقاليتُ النساءِ يطأنه * يقلن ألا يلقى على المرء مِترُ

ومنها : تعليق الحلى على السليم : كانوا يعلقون الحلى على المسووع ويقولون إنه إذا علّق عليه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرّعات ، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم ، قال النابغة

يُسَهَّدُ فى وقت العشاءِ سليمُها * لحلى النساءِ فى يديه قَعاقعُ

ومنها : ذهاب الخدّر : يزعمون أن الرجل اذا خدرت رجله فذكر أحب الناس اليه ذهب عنه ؛ قال كثير

اذا خدرت رجلى دعوتك أشتنى * بذكراك من مذل بها فيهن
وقالت امرأة من كلاب

اذا خدرت رجلى ذكرتُ ابنُ مُصعب * فإن قلتُ : عبد الله ، أجلي فتورُها
وقيل ذلك لابن عمر وقد خدرت رجله فقال : يا مجتهد .

ومنها : الحَلَأُ : زعموا أنه اذا ظهرت بشفة الفلام بشور ، يأخذ مُنْخَلا على رأسه ويمزج بين بيوت الحى ، وينادى : الحَلَأُ الحَلَأُ ، فيلقى فى منخله من ها هنا ثمرة ، ومن ها هنا كسرة ، ومن ثم بضعة لحم ، فاذا أمتلأ ، تثره بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وذلك البثر يسمى : الحَلَأُ .

ومنها : التعشير : يزعمون أن الرجل اذا أراد دخول قرية ، يخاف وباءها ، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشركا ينهى الحمار ، ثم دخلها لم يصبه وباءها ؛ قال عروة ابن الورد

لعمري لئن عشت من خشية الردى * نهاق الحمير إننى للجزوع !

ومنها : عقد الرِّثَم : كان الرجل منهم اذا أراد سفرا ، عمد الى رِثَمٍ ففقدته ، والرثم : نت ، فإن رجع ورآه معقودا ؛ زعم أن امرأته لم تخنه ، وإن رآه محلولاً زعم أنها قد خانتها ؛ قال الشاعر

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم * كثرة ما توصى وتعقأ الرِّثَم ؟

وقال آخر

خانتها لما رأت شيئا بمفرقه * وغره حلفها والعقد للرِّثَم

ومنها : دائرة المهقوع : وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمى : الهقعة ،
يزعمون أنه اذا عرق تحت صاحبه ، أغتمت حليته وطلبت الرجال ، قال الشاعر
اذا عرق المهقوع بالمرء أنعطت * حليته وأزداد حراً عجائها

ومنها : شق الرداء والبرقع : زعموا أن المرأة اذا أحببت رجلاً أو أحبها ثم لم
تشق عليه رداءه ، ويشق عليها برقعها ، فسد حبهما ، فاذا فعل ذلك دام حبهما ؛
قال الشاعر

اذا شق برد شق بالبرد برقع * دوالك حتى كلنا غير لابس

فكم قد شققنا من رداء محير * ومن برقع عن طفلة غير عانس

ومنها : نوء السماء : كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ؛ قال الشاعر

ليت السماء ونوءه لم يخلق * ومشى الأفيق في البلاد سليماً

ومنها : النسيء : وقد تقدم خبره في الفن الأول من الكتاب .

ومنها : وأد البنات : وقد نهاهم الله عز وجل عنه في قوله : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) . وكانوا يقتلوهن خشية الإملاق أو من الإملاق ؛

وقد قيل : إنهم كانوا يقتلوهن خوف العار أو أن يُسيبن ، فمن قتلهم خشية الإملاق

ما روى عن صعصة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق : أنه لما أتى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملاً في الجاهلية ، أفينفعني ذلك

اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ قال : أضللت ناقتين عشراوين ، فركبت جملاً ومضيت

في بغائهما فوقع لي بيت جريد ، فقصدته فاذا رجل جالس بفائه ، فسألته عن الناقتين ،

فقال : ما نارهما ؟ قلت : ميسم بن دارم ، قال : هما عندي ، وقد أحيا الله تعالى

بهما قوما من أهلك من مضر، وإذا عجوز قد خرجت من كسر البيت، فقال لها :
 ما وضعت؟ فان كان سقبا شاركنا في أموالنا، وإن كانت حائلا وأدناها، (معنى قوله
 سقبا أى ذكرا، وحائلا أى أنثى) فقالت العجوز : وضعت أنثى، فقلت : أتبيعها؟
 قال : وهل تبيع العرب أولادها؟ قال قلت : أحكم، قال بالناقتين والجل، قلت :
 لك ذلك ، على أن تبلغنى الحمل وإياها ففعل ، فأمنت بك يا رسول الله ، وقد
 صارت لى سنة على أن أشتري كل موءودة بناقتين عشراوين وجل ، فعندى الى
 هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 لا ينفعك ذلك ، لأنك لم تبغ به وجه الله تعالى ، وإن تعمل فى إسلامك عملا
 صالحا تُتب عليه ، فى ذلك يقول الفرزدق مفتخرا

وجدى الذى منع الوائدين * وأحبي الوئيد قلم تؤد!

١٠

ومن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المنقرى وكان من وجوه قومه ومن ذوى
 الأموال فيهم وكان يثد بناته وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما منعه بنو تميم
 الإتاوة التى كانت تؤديها له جهز اليهم أخاه الريان بن المنذر، ومعه بكر بن وائل
 ففزعاهم ، فأستاق النعم وسبي الذرارى ، فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقاء
 عليها، فقال النعمان

١٥

ما كلف ضرتيما لو تعمدها * من فضلنا ماعليه قيس غيلان

فأناب القوم وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباه ردت اليه
 وإن اختارت صاحبها تركت عليه ، فكلهن اخترن أباهن إلا أبنه لقيس بن عاصم
 اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج ، فنذر قيس لا يولد له أبنه إلا قتلها ، فأعتل
 بهذا من وأد وزعم أنه حية .

٢٠

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة

- ويتصل به الزجر والفأل والطيرة والفراصة والذكاء ، وكانت كهنة العرب
- لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار ، فيلقونها لمن يتبعهم ،
- ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام ، فُنعت الشياطين من آسراق
- السمع ، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز (وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْهَابًا رَصَدًا) فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام
- بكاهن ، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال
- في الوحى . فمن أخبار الكهنة ، خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبدالمسيح
- وهو يعالج الموت ، فأخبره خبر ما جاء لأجله ، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد
- فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم آرتجس إيوان كسرى ، وسقط منه أربع عشرة شُرْفَةً ،
- ونحمت نَارُ فارس ، ولم تكن نحدث قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة ، ورأى
- الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وآنشرت في بلاد فارس ،
- فلما أصبح كسرى تصبّر تشجّع ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومُرزبته ، فلبس
- تاجه ، وقعد على سريره ، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب
- بجود النار فأزداد غمًا وسأل الموبدان وكان أعلمهم فقال : حادِثٌ يكون من قِبَلِ
- العرب ، فكتب كسرى الى الثمان ابن المنذر : أن وجهه الى رجلًا عالمًا بما أريد أن

أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح بن حسان بن ثقيلة الغساني فقال له كسرى :
أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال : ليخبرني الملك فإن كان عندى منه علم ،
وإلا أخبرته بمن يُعلمه ، فأخبره بما رآه فقال : عِلْمُ ذَلِكَ عند خَلِّ لى يسكن مشارق
الشام يقال له : سَطِيح ، فأرسله كسرى اليه فورد على سَطِيح وقد أشفى على الموت
فسلّم عليه وحيّاه فلم يُجِر سَطِيحُ جواباً فأشدد يقول

أُصمّ أم يسمع غَطْرِيفُ اليمن * أم فاز فأزلمّ به شأؤ العَسنّ؟
يا فاصل الخطّة أعيّت مَنْ وَمَنْ * وكاشف الكربة عن وجه الغَضنّ
أتاك شيخ الحى من آل سنن * وأمنه من آل ذنب بن حجنّ
أزرق مُمهيّ الناب صرار الأذن * أبيض فضفاض الرداء والبدنّ
رسول قيل المُعجم يسرى بالوسن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمنّ
يجوب فى الأرض على ذات شجنّ * ترفعى وُججاً وتهوى بى وُجُنّ
حتى أتى عارى الجأجى والقطنّ * تلقه فى الريح بَوغاءُ الدمنّ
* كأنما حُمِيت من حَضْنى ثَكَنّ *

ففتح سَطِيح عينيه ثم قال : عبد المسيح ، على جَمَلٍ مُشيع ، أتى الى سَطِيح ، وقد أوفى
على الضريح ، بعثك مَلِكُ بنى سَاسان ، لأرتجاس الإيوان ، ونمود النيران ، ورؤيا
المُؤبَذان ، رأى إبلا صِعباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة وأنشرت فى بلاد
فارس ، يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه ، وبُعث صاحب الهراوه ، وفاض وادى
السماء ، وغاصت بحيرة ساوه ، ونحّدت نار فارس ؛ فليس الشام لسَطِيح شاما ،
ولا بابل للفرس مُقاماً ، يملك فيهم ملوك وملكات ، بعدد الشُرُفات ، وكلّ ما هو
أت آت ؛ ثم قضى سَطِيح لوقته ، فنار عبدُ المسيح الى رحله وهو يقول

شمر فإنك ماضى العزم شمر * لا يفزعك تفريق وتغيير
 إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوار دهاير
 فربما ربما أضخوا بمنزلة * تهاب صولهم الأسد المهاير
 منهم أخوال الصرح بهرام وإخوته * وألهرمران وسابور وشابور
 والناس أولاد علات فن علموا * أن قد أقل فمحذور ومهجور
 وهم بنو الأثم أما إن رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
 والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قص الخبر على كسرى قال: الى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور؛ فلك
 منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون الى زمن عثمان رضى الله عنه .

ومن أخبارهم: أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تطرقت وتكهنت
 ١٠ وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه، روى عنه أنه قال: لما زوج النبي صلى الله
 عليه وسلم أبنته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتني الحسرة
 أو كالحسرة أن لا أكون سبقت إليها ثم لم ألبث أن آنصرفت الى منزلى فألفيت
 خالتي فلما رأتني قالت

١٥ أبشروحييت ثلاثا ترى * ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
 ثم يا أخرى كى تتم عشرا * أذاك خير ووقيت شرا
 نكحت والله حصانا زهرا * وأنت بكر ووليت بكرا
 وافيها بنت نفيس قدرا * بنت نبي قد أشاد ذكرا

قال عثمان: فعجبت من قولها، وقلت: ماذا تقولين؟ فقالت

٢٠ عثمان يا ابن أخت يا عثمان * لك الجمال ولك البيان

هذا نبي معه البرهان * أرسله بحقه الديان

وجاء التنزيل والفرقان * فأتبعه لا تحتالك الأوثان

فقلت : يا خالة ! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدتنا فأنتبيه لي ، فقالت :
إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو إلى الله ، مصباحه
مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ،
ما ينفع الصباح ، لو وقع الذباح ، وسُلت الصفايح ، ومدّت الرماح ، قال : ثم قامت
فأنصرفت ووقع كلامها في قلبي ، وجعلت أفكر فيه ، وذكر بعد ذلك إسلامه وترويجه
رقية ؛ فكان يقال : أنهما أحسن زوجين أنفاقا وجالا .

ومنها أن هنداً بنت عُتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان
قريش ، وكان له بيت الضيافة ، خارجا من البيوت ، تغشاه الناس من غير إذن ؛ فخلا
البيت ذات يوم وأضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن
كان يغشى البيت فوجّهه ، فلما رآها ولّى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها
برجله وقال لها : من هذا الذي نخرج من عندك ؟ قالت : ما رأيتُ أحدا ،
ولا آتيتُ حتى أُنهتني ! فقال لها : أرجعي إلى أبيك ، وتكلم الناس فيها ، فقال
لها أبوها : يا بنية ! إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئيني نبأك ، فإن يكن الرجل
عليك صادقا دسست عليه من يقتله ، فتقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذبا حاكتته
إلى بعض الكُهان ، فقالت : لا والله ! ما هو عليّ بصادق ؛ فقال له : يا فاكه ! إنك
قد رميت أبنتي بأمر عظيم ، فحاكني إلى بعض كُهان اليمن ؛ فخرج الماكه في جماعة
من بني مخزوم ، وخرج عُتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند ونِسوة ، فلما
شارفوا البلاد ، وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تنكرت حال هند ، فقال لها عُتبة : إني أرى

٥

١٠

١٥

٢٠



ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فهلاً كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا؟ فقالت: لا والله! ولكني أعرف أنكم تأتون بَشْرًا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمى ميسماً يكون على سُبَّةٍ فقال: إني سوف أختبره لك، فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حَبَّةَ حَبْطَةٍ وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدوا قال له عتبة: قد جئناك في أمر وقد خباننا لك خبيثاً أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمره، في كَرَمِهِ. قال إني أريد أئين من هذا، قال: حَبَّةُ بُرٍّ في إحليل مُهرٍ، قال: أنظر في أمر هؤلاء النسوة، بفعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، أنهضى، حتى دنا من هند فقال لها: أنهضى غير سحاء ولا زانية، ولتلدن ملكاً أسمه معاوية، فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت: اليك عني فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك؛

١٠ فترجها أبو سفيان.

ومنها. أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم: إني أنافرك على خمسين ناقة سود الحَدَقِ، نخرها بمكة أو الجلاء عن مكة عشرين، فرضى أمية وجعل بينهما الخُزاعى الكاهن وخرجا إليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا: نخبأ له خبيثاً فإن أصابه تحاكننا إليه، وإن لم يصبه تحاكننا إلى غيره، فوجدوا أبا هَمَّامَةَ وكان معهم أطباقٌ بجميعه، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأنشأوا ببابه وكان منزله بعُسقان فقالوا: إنا قد خباننا لك خبيثاً فأنبتنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بهتامة من تهمة، وما بنجد من أكمة، لقد خبانتم لي أطباق بجميعه، مع القَلَنْجِ أبي هَمَّامَةَ، فصدقوا: صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتاً ونفساً، قال: والقمر الباهر،

٢٠

والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالحق من طائر ، وما آهتدى بعلم مُسافر ،
من مُنجد وغائر ، لقد سبق هاشم أُمّية الى المآثر ، أولا منه وآخر ، فأخذ هاشم
الإبل ونحرها وأطعمها من حضر ونرج أُمّية الى الشام فأقام بها عشر سنين ؛ فيقال :
لِهَا أَوَّلُ عَدَاوَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَيْنَ بَنِي أُمِّيَّة .

- ٥ ومنها : أن بنى كلاب وبنى رُبَاب من بنى نَضْرَ خاصموا عبدَ الْمُطَّلِبِ في مال قريب
من الطائف فقال عبدُ المطلب : المال مالى فسلونى أعطكم ، قالوا : لا ، قال : فاختاروا
حاكماً قالوا : ربيعة بن حُذَارِ الأَسَدِىّ فتراضوا به وعَقَلُوا مائة ناقة في الوادى
وقالوا : الإبل والمال لمن حُكِمَ له ، ونحروا ونرج مع عبدِ المطلب حَرْبُ بن أُمّية
فلما نزلوا بربيعة بعث اليهم بجزائر فنحرها عبدُ المطلب ، وأمر فصنع جزرا وأطعم
من أُنَاه ، ونحر الكلابيون والنضريون وشقوا فليل لربيعة فقال : إن عبد المطلب
أمرؤ من وَلَدِ نَزِيمَةٍ فَتَى يُمَلِّقُ يَصْلُهُ بَنُو عَمِّهِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَنْ أَخْبَأُوا لى خَيْبَةً فَقَالَ
عبد المطلب : قَدْ خَبَأْتُ كَلْبًا اسْمُهُ سَوَّارٌ فِي عُنُقِهِ قِلَادَةٌ ، فِي خِرْزَةِ مَزَادَةٍ ، وَضَمَمْتُهَا
بِعَيْنِ جَرَادَةٍ ، فَقَالَ الْآخَرُونَ : قَدْ رَضِينَا مَا خَبَأْتَ وَأَرْسَلُوا إِلَى رَبِيعَةٍ فَقَالَ : خَبَأْتُ خَيْبَةً
حَيًّا قَالُوا : زِدْ ، قَالَ : ذُو بُرْثَنٍ أَغْبَرٍ ، وَبَطْنٍ أَحْمَرٍ ، وَظَهْرٍ أُنْمَرٍ ، قَالُوا : قَرِيبٌ ، قَالَ : سَمَا
فَسَطَعَ ، ثُمَّ هَبَطَ فَلَطَعَ ، فَتَرَكَ الْأَرْضَ بَلْقَعٌ ، قَالُوا : قَرِيبٌ فَطَبَّقَ قَالَ : عَيْنُ جَرَادَةٍ ،
١٥ فِي خِرْزَةِ مَزَادَةٍ ، فِي عُنُقِ سَوَّارِ ذِي الْقِلَادَةِ ، قَالُوا : زَهْ زَهْ أَصَبْتَ فَأَحْكَمْ لَأَشْدَنَّا طِعَانًا ،
وَأَوْسَعْنَا مَكَانًا ، قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ : أَحْكَمْ لَأَوْلَانَا بِالْخِيَرَاتِ ، وَأَبْعَدْنَا عَنِ السَّوَاتِ
وَأَكْرَمْنَا أُمَهَاتٍ ، فَقَالَ رَبِيعَةُ : وَالْغَسَقُ وَالشَّقَقُ ، وَالْخَلْقُ الْمُتَفَقُّ ، مَا لِبَنَى كَلَابٍ
وَبَنَى رُبَابٍ مِنْ حَقٍّ ، فَاَنْصَرَفَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ عَلَى الصُّوَابِ ، وَلَكَ فَصْلُ الْخُطَابِ ؛
٢٠ فَوَهَبَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ الْمَالَ لِلْحَرْبِ بَنِ أُمِّيَّة .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملةً تقف عليها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السفر الرابع عشر من كتاب الأصل.

الزَّجَر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير : إن العلماء بهذا الفن قالوا :
 ٥ إذا خرجت من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب امرأةً ، فنَعَبْ غرابٌ عن يمينك
 وعن يسارك أو سَنَحْ أو برج فامض فإنك مُدْرِك حاجتك إن شاء الله تعالى ،
 فإن نعب أمامك أو فوقك فارجع ففيها تأخير .

وإن خرجت تريد خصومةً فنعب فوق رأسك فامض فإنك مُدْرِك حاجتك إن
 شاء الله تعالى .

١٠ فإن خرجت تطلب دابةً فنعب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع ، فامض
 لحاجتك ، فإن نَعَبْ أمامك فارجع .

وإن خرجت تطلب مالا ضلّ عنك أو سُرِق ، فنَعَبْ غرابٌ على شجرة يابسة
 فلا تطلبه فقد آسَتهلك وقد يأتيك بعضه ، فإن نعب على جدار جديد أو شجرة
 خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى .



١٥ فإن خرجت تريد الضَّالَّ فنَعَبْ من ورائك ، فارجع فليس لك في ذلك خيرة ،
 وإن نعب عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجت تريد الصيد فنعب من فوقك فارجع فإن نعب أمامك فامض فإنك
 تدرك خيرا .

وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثم طار ثم نعب أدركت منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك فلا خير فيه .

وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يسمح متقاره على الأرض فإنك تصيب أو تأتيك هدية من مكان بعيد .

وإن خرجت تطلب حاجة فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق الى يسارك فنعب فإنك تدرك حاجتك عجلًا إن شاء الله تعالى ! فإن نعب فوق رأسك فارجع فإني أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سلطاناً فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك فإني أخاف عليك .

فإن خرجت فرأيت غراباً ينفض ريشه، فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غراباً ينفض فامض لحاجتك، فإنك تدرك أملاك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد السلطانَ فوق غرابٍ على شيء فنعب ثلاث مرات فامض لحاجتك، فهو خيرٌ عاجل ويسيرٌ للحوائج إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت فرأيت غراباً ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع يومك .

وإن خرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك فامض، وإن نعب فأجابه الآخر فهو جيد صالح .

وإن نخرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك أو نفتح فامض ؛ فإنك تلقى في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن نخرج جماعةً وفيهم رجل شريف ففتح غراباً على رأس الشريف ، ثم أتوا ملكاً فلأنهم يصيبون خيراً إن شاء الله تعالى .

وإن نخرج يطلب حاجةً إلى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يبيض في تلك الحاجة ، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثم وقع فهو يدرك حاجته .

وإن نخرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غراباً يطير قليلاً ؛ ثم يقع فيلقط من الأرض شيئاً فليمض فإنه يصيب سلطاناً ويلي قوماً ، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض فإن بعض أهله يموت سريعاً ، وإن رآه يتقر في الأرض فذلك ملك .

وإن نخرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينبعب ، فذلك ١٠ غم يصيبه إلا أن يدفع الله عز وجل عنه .

وإن نخرج فرآه ينتفض ثم ينبعب ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج ؛ والعلم عند الله .

وإن نخرج فرأى غراباً يطير ثم يقع فذلك خير وسرور يأتيه .

وإن نخرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذلك هم يصيبه شديد . ١٥

وإن نخرج فلقى بقراً فليرجع فإن لقي من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا بأس بها .

وإن نخرج يعود مريضاً فنهي حمار عن يمينه أو عن يساره فالمريض صالح ، وإن نهى خلفه فقد آشتد بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

وإن خرج يريد حاجةً فاستقبله غلامٌ يبكي وهو متلطّخٌ بعذرةٍ وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإن حاجته تقضى ، وإن استقبله غلام يعدو ويتلهف فإن حاجته تعسر وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى ورشاشاً يطير، يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته، وإن رآه يطير مستعلياً فليرجع، وإن رأى حمامةً مسرولةً تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته مقضيةٌ بعد ببطءٍ ومطلّ ، وإن رأى حمامةً هايدةً واقعةً تقع وتطير فإن ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازةٌ وجماعةٌ فليرجع يومه ذلك ولا يعود لحاجته فإنها غير مقضية ، وإن كانت الجنازة قد جاوزته مُدبرةً فليذهب لحاجته ؛ فإن ذلك صالح . وإن رأى نسوةً إلى المقابر وهنّ مقبلات نحوه فليقمعد حتى يمضين عنه فإنه أنجح لحاجته وإن رآهن مُدبرات فليمض في حاجته فإنها مقضية .

وإن خرج من داره فرأى في أرضها نملًا كثيرًا وفي حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى دُبابًا كثيرًا مجتمعًا على حائط وهو يسمع لهنّ ديبًا فذلك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعضَ أهله . ومن رأى دُرًا كثيرًا وقرودانًا فذلك فرح وورق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دَجَاجتين يقتتلان بنقر بعضهما فذلك يدل على أنه يقع بينه وبين امرأته كلامٌ وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى ورشاشين يقتتلان في جوف السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يُسرّبه . وإن رأى كلبسةً والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضها فإن كان عليه دين قضاه الله عنه وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك وإن أراد شيئًا يسره الله له وإن أراد سفرًا تهيأ له ورجع سالمًا .

وإن خرج فرأى على رجل قربة ثم آنشقت فليرجع الى منزله ويتعوذ بالله من شر ذلك اليوم فإنه مكروه جدا .

وإن خرج فرأى رجلاً وهو يريد أن يملأ قربة فليمض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلا إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حمارا أو بغلا عليه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى جملا عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات النجاح في الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليه صاحبه فإن ذلك خير يأتيه وينى اليه بعض أهله من مكان بعيد .

قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه مناخا يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويخبر عن شيء مما يحب من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفوره بعدوه وأنتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قردا يتقلب والناس حوله فليمض لحاجته فإنها مقضية .

وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلب ظهرها لبطن في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلمانا يلعبون بالأكرة ويتسابقون فليمض في وجهه ذلك فإنه يصيب رفةً وشرقاً وتمكنا من السلطان ويصيب مالا عظيما .

وإن خرج فراهم يلعبون بالصوالجة فهو رفعة ويدل على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان ويركب أمرا عظيما من عمله فليتيق الله .

وإن رأى جوارى يلعبن بالطرق كأنهن يزفن عروسا فهو خير وسرور ودخول في أمر شريف وإنه يربح ربحا عظيما وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلقتان الحب فهو صالح، وإن رآهما يتسافدان فهو خير يناله في يومه، وإن رآهما مدبرين فليمض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتعلق بشو به شيء فليرجع؛ فإنى أكره له أن يذهب في حاجته تلك .

وإن خرج فرأى حداة تسفد حداة وهى تصيح فهو نجاح فليمض لحاجته .

وإن خرج فعثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤخرها .

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة .

فمن ذلك ما حكى أن أمية بن أبى الصلت الثقفى بينا هو يشرب مع إخوان له في قصر عيلان بالطائف إذ سقط غراب على شرفة القصر فتعب نعبه فقال أمية :

بفك الكنكث أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنك اذا شربت

الكأس التى بيدك مت ، ثم نعب نعبه أخرى ، فقال أمية كمثلته الأولى فقال

أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المذبله فى أسفل القصر فيستثير عظاما

فيتلعه فيشجى به فيموت ، فوقع الغراب على المذبله فأنار العظم وأبتلعه فشجى

فات ، فأنكر أمية ووضع الكأس من يده وتغير لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

٥

١٠

١٥

مثل هذا وكان باطلا وألحوا عليه حتى شرب الكأس قال فأغمى عليه ثم أفاق فقال :
لا برىء فأعذر ، ولا قوى فأنصبر ، ثم خرجت نفسه .

وزعموا أن رجلا من كعب خرج في جماعة ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه
فعطش فأناخ ليشرب فاذا غراب ينعب فأنار راحلته ، ثم سار فلما أظهر أناخ
ليشرب ، فنعب الغراب وتمزغ في التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فاذا فيه أسود
ضخم فقتله ، ثم سار فاذا غراب واقع على سِدرة فصاح به فوقع على سَلَمة فصاح به
فوقع على صخرة فاتهى إليها فأنار كَنزاً ، فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟
قال : سِرْتُ صدر يومى ، ثم أنحْتُ لأشرب فنعب الغراب ، قال أثرها وإلا فلست
بابى ! قال : أثرتُها ، ثم أنحْتُ لأشرب فنعب الغراب وتمزغ في التراب قال : أضرب
السقاء وإلا لست بابى ! قال : فعلتُ ، فاذا أسود ضخم قال : ثم مه ! قال : ثم رأيتُ
غرابا على سِدرة قال : أطره وإلا فلست بابى ! قال : فعلتُ فوقع على سَلَمة قال :
أطره وإلا فلست بابى ! قال : فعلتُ فوقع على صخرة قال : أحدِ بابى ! فأحده

ومن الزجر : ما يروى أن كسرى أبرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين
بعث زاجرا ومصورا وقال للزاجر : أنظر ما ترى فى طريقك وعنده ، وقال للمصور :
إئتني بصورته ، فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها
كسرى على وسادته ، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقال : لم أرا ما أزره حتى الآن
وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك .

وقيل : إن كَثِيرًا تشق امرأة من خُزاعة يقال لها : أم الحُوَيرث ، فشَبَّ بها فكُفِرتُ
أنسب بفضحها كما فضح عَزَّة فقالت له : إنك رجل فقير لا مال لك فابتغ مالا ،

ثم تعال فاخطبني كما يخطبُ الكرامُ قال : فاحلفي لي ووثقني أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك فحلفتُ ووثقتُ له فمدح عبد الرحمن بن الأزدي ونحرج اليه ؛ فلقى طباءً سوانح ، ولقى غراباً يفحص التراب بوجهه فتطير من ذلك حتى قدم على حمى من لَهَب فقال : أَيْكُمْ يَزْجُرُ؟ قالوا : كلنا ! فمن تريد ؟ قال : أعلمكم بذلك ! قالوا : ذلك الشيخ المنحني الصُّلب ، فأتاه فتصَّص عليه القصَّة فكرِه ذلك له وقال : قد ماتت أو تزوجت رجلا من بنى عمها فقال كثير

تيممتُ كُتُبا أبتغي العلمَ عندهم . وقد رُدَّ علمُ العائمين الى لَهَب ! فيممتُ شيخاً منهم ذانحالة * بصيراً بزجر الطير مُنحني الصُّلب ! فقلتُ له : ماذا ترى في سوانح * وصوتِ غراب يفحص الأرض بالترِب ؟ فقال : جرى الطير السنيح بينها * ونادى غرابٌ بالعراق وبالسلب ١٠ فإن لا تكن ماتت فقد حال دونها * سؤال خليل باطن من بنى كعب قال : ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه حيراً ، ثم قدَّم عليها فوجدوها قد تزوجت رجلاً من بنى عمها فأخذه الهُلاس فكشَّح جنباه بالنار ، فلما آندمل من علته ووضع يده على ظهره فاذا هو برقتين يقال : ما هذا ؟ قالوا : أخذك الهُلاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا بالكشَّح بالنار فكشَّحت بها فأنشأ يقول ١٥

عفى الله عن أم الحويرث ذنبها * علام تعنّيني وتكبي دوائيا ؟

ولو آذنوني قبل أن يرقوا بها * لقلتُ لهم : أم الحويرث دائماً

وحكى أن صاحب الروم بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له : أنظر أين تراه جالسا ، ومن الى جانبه ، وأنظر ما بين كتفيه حتى انحلت الشامة ؛ فقدم

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على تَشْرِيزٍ واضعاً قدميه في الماء، وعن يمينه على عليه السلام ؛ فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : « تحوّل فانظر ما أمرت به » فنظر ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر فقال : ليعلوّن أمره وليلمكّن ماتحت قدمي وقال : بالنشر العلوّ وبالماء الحياة .

- ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب الهذليّ قال : إنّه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفةً عليه فبتُّ بلبلة ثابتة النجوم طويّلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يطلّع نورها حتى اذا قُرب السّحر غفوتُ فهتف لى هاتف يقول

خَطْبُ أَجَلِ أَنَاخٍ بِالْإِسْلَامِ * بين النخيل ومَعَقَدِ الآطَامِ

- ١٠ قُبُضَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَيُونَا * تَذَرِي الدَّمْعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

- قال أبو ذؤيب : فوثبتُ من نومي فرعاً فنظرتُ الى السماء فلم أدر إلّا سعد الذابح ففجأْتُ به ذبحاً يقع في العرب، وعلمتُ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميتٌ من علته، فركبتُ ناقتي وسرْتُ حتى أصبحتُ فطلبتُ شيئاً أزجره ، فعن لى شَيْهٍمٍ قد أَرَمَ على صِلٍّ وهو يتلوّى عليه والشيهم يقضمه حتى أكله فزجرتُ ذلك شيئاً مهماً فقلت : تَلَوَّى الصَّلِّ : آفَتَالُ النَّاسِ عَنِ الْحَقِّ عَلَى الْقَائِمِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَوَّلْتُ أَكَلَ الشَّيْهَمِ إِيَّاهُ : غَلَبَةُ الْقَائِمِ عَلَى الْأَمْرِ فَخَشْتُ نَاقَتِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْعَلِيَّةِ زَجَرْتُ الطَّيْرَ فَأَخْبَرَنِي بِوَفَاتِهِ . ونعب غراب سانحاً بمنى ذلك فتعوذتُ من شرِّ ما عن لى في طريقى ، ثم قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَأَهْلُهَا ضَجِيجٌ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ أَهْلُوا جَمِيعاً بِالْإِحْرَامِ فَقُلْتُ : مه ! قالوا قُبُضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَشْتُ الْمَسْجِدَ فَأَصْبَتَهُ خَالِياً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصْبَتْ بَابَهُ مُرْتَجِماً وَقَدْ
- ٢٠

خلا به أهله فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة صاروا الى الأنصار
 فجئتُ السقيفة فوجدتُ أبا بكر، وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عبيدة ، وسالمًا ،
 وجماعة من قريش ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ومعهم شعراءهم وأمامهم
 حسان بن ثابت ، وكعب في ملائمتهم فاويتُ الى الأنصار فتكلموا فأكثروا وتكلم
 أبو بكر فله من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل ، والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامعٌ إلا أنقاد له ومال اليه ، وتكلم بعده عمر رضى الله عنه بكلام دون
 كلامه ، ومد يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضى الله عنه ورجعتُ معه ، فشهدتُ
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدتُ دفنه قال : ولقد بايع الناس
 من أبى بكر رجلا حل قدامها ولم يركب دُنا بابها وأنصرف أبو ذؤيب الى باديته
 وثبت على إسلامه .

١٠

ومنه : ما روى عن مُصعب بن عبد الله الزبيري أنه حدث عن رجل قال :
 شردتُ لنا إبلًا فأتيتُ حليسا الأسدي فسألته عنها فقال لبنت له : خُطى ، فخطت ونظرتُ
 ثم أقبضت وقامت مُنصرفة فنظر حليس في خطها فضحك وقال : أتدرى لم قامت ؟
 قلت : لا ، قال : رأيتُ أنك تجدد إبلك وأنك تتزوجها فاستحييت فقامت ، فخرجتُ
 فأصبتُ إبلًا ثم تزوجتها بعد .

١٥

القال والطيرة

حكى أنه لما وُلد لسعيد بن العاص عنبسة قال سعيد لأبنيه يحيى : أى شئ تجله ؟
 قال : دجاجة بفرار يجمها ، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمه كانت أمة فقال سعيد :
 إن صدق الطير ليكون أكثركم ولدًا فكان كذلك .

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد آعترضه بالقيوم قوم من العرب فسأل رجلاً : ما أسمك ؟ فقال منصور بن سعد : وأنا من سعد العشيرة ، فتبسم تفاؤلاً به وتيمناً وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطيرة : ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به رجلٌ من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! فقال رجل من خلفه : دعاه بأسم ميت ! مات والله أمير المؤمنين ، ولا يقف هذا الموقف أبداً ! فالتفت إليه فاذا هو اللهيُّ ، فقتل عمر قبل الحول .

وحكى أن عمر رضى الله عنه نرج الى حرة واقم فلقى رجلا من جُهينة فقال له : ما أسمك ؟ قال : شهاب ، قال : آبن من ؟ قال : آبن جُمرة ! قال : ومن أنت ؟ قال : من الحُرقة ! قال : ثم من ؟ قال : من بنى ضرام ! قال : وأين منزلك ؟ قال : بجمرة لىلى ! قال : وأين تريد ؟ قال : لظى ودعوصع ! فقال عمر : أدرك أهلك ، فما أراك تُدركهم إلا وقد احترقوا ، قال : فأدركهم ، وقد أحاطت بهم النار .

وقال المداينى : وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هاربا منه فنزل قرية من الصعيد يقال لها : شكر ، فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك فقال له عبد العزيز : ما أسمك ؟ قال طالب بن مُدرك ! فقال : أوه ! ما أراى راجعا الى القسّطاط أبداً ، ومات فى تلك القرية .

وقيل : بينا مروان بن محمد فى إيوان له يُنقذ الأمور ، فانصدعت زُجاجة الأموال ، فوقعَت الشمسُ منها على منكب مروان وكان هناك عياف فقال : صدعُ الزُجاج

أمر منكر على أمير المؤمنين، ثم قام فاتبعه ثوبان مولى مروان . فقال له : ويحك ! ما قلت ؟ قال . قلت : صَدْعُ الزجاج صَدْعُ السلطان، ستذهب الشمس بملك مروان، بقوم من الترك أو تُحراسان، ذلك عندي واضح البرهان ! قال : فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبي مُسلم .

وقال إبراهيم بن المهدى : أرسل الى محمد الأمين في ليلة مُقمرة من ليالى الصيف فقال : يا عمي ! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فصر الى فاني اليك مشتاق بغيته وقد بُسِطَ له على سطح، وعنده سليمان بن جعفر، وعليه كساء رُوذباري، وقلنسوة طويلة، وجواريه بين يديه وضعف جاريته عنده . فقال لها : غنّيني فقد سررت بعمومتي فأندفعت تغنيه

١٠ هُم قتلوه كي يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرارته !
بنى هاشم كيف التّواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه ؟
هكذا غتته، وإنما هو

* وعند على سيفه ونجائبه *

فغضب وتطير، وقال : ما قصّتك ؟ ويحك ! غنّيني ما يسرّني ؛ فغنّت
هذا مقام مطرّد * هُدمت منازل ودوره !

١٥

فازداد تطيرا، ثم قال : ويحك ! أنتهى غنى غير هذا فغنّت

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها : قومي الى لعنة الله ، فوثبت ؛ وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه إياه يسميه محمدا باسمه ، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فأنكسر،

فأقبل عليّ وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كلاً ! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك ، قال : ودجلةٌ والله هادئةٌ ما فيها صوتٌ يجداف ، ولا أحدٌ يتحرك ؛ فسمعتُ هاتفاً يهتف : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لى : سمعتَ يا عم ؟ فقلتُ : وما هو ؟ وقد والله سمعته ، فاذا الصوت قد عاد فقال : أنصرف بيتك الله بخير فحال أن لا تكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ ، فأنصرفت وكان آخر المهد به .

وشبه بهذا ما حكى عن علوية المغنّي قال : كنتُ مع المأمون لما خرج الى الشام ، فدخلنا دِمَشْقَ فطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ، ويتبع آثارهم ، فدخلنا صحناً من صحونهم ، مفروشا بالرخام الأخضر ، وفيه بركة ماء فيها سمك ، وأماما بستان ، فاستحسن ذلك وعزم على الصُّبُوح ودعا بالطعام والشراب ، وأقبل على فقال : غنّني ونشطني ، فكأن الله تعالى أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت من شعر عبد الله بن قيس الرُّقَيَات

لو كان حولي بنو أمية لم تنطق رجالٌ أراهم نطقوا
من كلِّ قَرْمٍ محيض ضرابه * عن منكيه القميص ينخرقُ

قال : فنظر الى مُغْضَبًا ، وقال : عليك وعلى بني أمية لعنة الله ، وبلك ! أقلْتُ لك سرّني أو سؤني ؟ ألم يكن لك وقت تذكريه بني أمية إلا هذا الوقت تُعرض بي ؟ فجلدتُ عليه وعلمتُ أنّي قد أخطأتُ ، فقلت : أنلومني على أن أذكر بني أمية ؟ هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له ، ويملك ثلثمائة ألف دينار [وهبوا له سوى الخيل والضياع والرقيق ^(١)] : وأنا عندكم أموت

جوعاً، فقال: أو لم يكن لك شيء تذكّرني به نفسك غير هذا؟ فقلت: هكذا حضرنى حين ذكّرتهم، فقال: أعرض وتبّه على إرادتي وغنّ فأناسني الله كلّ شيء أحسنه إلا هذا الصوت

الحين ساق الى دِمَشق وما * كانت دِمَشقُ لأهلنا بلدا

قادتك نفسك فاستقدت لها * وأرتك أمرَ غَوَايةٍ رَشدا

فرماني بالقدح فأخطاني وأنكسر القدح، وقال: قم الى لعنة الله وحرّ سَقَر! فركب، وكانت تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حيى فى قِيلة المتوكل ، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين وقال للفتح بن خاقان : أحب أن نصطبح ، فأحضر المغنين وفيهم أحمد بن أبي العلاء فقال له : غنّ فغنى

يا عاذلى من الملام دعانى * إن البلية فوق ماتصفان

زعمت بُيُنة أن فرقنا غدا * لا مرحبا بغدٍ فقد أبكاني

فتطير المتوكل منه ، وقال : أحمد ! كيف وقع لك أن تغنى بهذا الشعر ، قال : فُشِغِل قلبُ ابن أبي العلاء لما أنكر عليه ، ثم ذهب ليغنى غيره ، فغناه ثانية ، فقال المتوكل : نسأل الله خير هذا اليوم ، وصرف المغنين وقام لصلاة الظهر ، فلما فرغ قال له الفتح : يا سيدي أتمم يومك ، فدعا بالشراب وقال : أين ابن أبي العلاء ؟ فأحضر فقال له : غنّ ، فأغنى عليه فأعاد البيتين فاغتم المتوكل غاية الغمّ وقُتِل فى الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضى أبو على الجُويى : حضرت بين يدي سيف الدولة أبى الحسن صدقة ابن منصور بن دُبَيْس ، وأبناه أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذى مات فيه

وقد أتى بديوان أبي نصر بن نباته فتصفحه فوقع بيده وقال : يعزى سيف الدولة
أبا الحسن ويرثى آبنه أبا المكارم محمد، فأخذتُ المجلد وأطبقتُه فعاد فتصفحه فخرج
ذلك، ومن القصيدة التى عنها قوله

فإن بيمًا فارقين حُفَيْرَةً * تركًا عليها ناظر الجود داما

تضمّنها أيدى فنى ثكلت به * غداة ثوى أماننا والأمانيا

ولما عدنا الصبر بعد محمد * أتينا أباه نستفيد التعازيا

وحكى : أن أبا الشمقمق شَخَصَ مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل ،
فلما أراد الدخول إليها أَدَقَّ لوائه فى أول درب منها ، فطير من ذلك وعظم عليه ،
فقال أبو الشمقمق

ما كان مندق اللواء لريبة * تُخَشَى ولا أمرٍ يكون مبدلاً

لكنّ هذا الرمح ضَعَفَ مَتْنَهُ * صَغَرَ الولاية فاستقل الموصلًا

فسرى عن خالد، وكتب صاحبُ البريد بذلك الى المأمون، فزاده ديار ربيعة
وكتب اليه : هذا التضعيف الموصل متن رحك ، فأعطى خالدُّ أبا الشمقمق عشرة
آلاف درهم .

وقيل : لما توجه المسترشد للقاء السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ،
وقع على الشمسية التى تُرْفَع على رأسه طائرٌ من الجوارح وألح، كلما نُقِرَ عاد، فنفاهل
الناس له بذلك وسُرُّهوه به، فقال إنسان يُعرَف بِمَلِكْدَار : هذا جارح ومنقبض الكف
وليس فيه بشرى بل ضدها ، وأقبل السلطان فى جيشه فكانت الكسرة وقُضِض
على المسترشد وقُتِل من بعد .

خرج بعض ملوك الفُرس الى الصيد، فكان أول من استقبله أعورُ فامر بضربه وحبسه، ثم خرج وتصيد صيداً كبيراً، فلما عاد استدعى الأعورَ وأمر له بصلّة، فقال الأعور: لا حاجة لى فى صلتك، ولكن أئذن لى فى الكلام، فقال: تكلم! قال: لقيتني فضربتني وحبستني، ولقيتك فصدت وسأمت فأيتنا أشام؟ فضحك وخلاه.

الفراسة والذكاء

يقولون: عظم الجبين يدل على البَلَه، وعرضُه يدل على قلة العقل، وصِغَرُه على لطيف الحركة، والحاجبان اذا اتصلّا على استقامة دلّا على تخنيت وأسترخاء، واذا تزعجا نحو الصّدين دلا على طَنَزٍ وأستزاء، والعين اذا كانت صغيرة الموق دلت على سوء دخلة، وخُبت شمائل، واذا وقع الحاجب على العين دلّ على الحسد، والعين المتوسطة فى حجمها دليل فطنة وحسن خُلق ومروءة، والناتئة على اختلاط عقل، والطائرة على حِدّة، والتي يطول تحديقها على خفة وحق، والتي تكسر طرفها على خفة وطيش، والشعر على الأذن يدلّ على جودة السمع، والأذن الكبيرة المنتصبة تدلّ على حمق وهذيان.

وحكى: أن أبا موسى الأشعريّ وجّه السائب بن الأقرع فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مهرجا بعد أن فتحها ودخل دار الهرمزان بعد أن جمع السبي والغنائم، ورأى فى بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبي وهو مشير بإحدى يديه الى الأرض، فقال السائب: لأمرٍ ما صُوّر هذا الظبي هكذا، إن له لشأنا، فأمر بحفر الموضع الذى الإشارة اليه فأفضى الى موضع فيه حوض من رخام، فيه سَقَطُ جوهر فأخذه السائب وخرج به الى عمر رضى الله عنه.

- وقيل : كان المعتضد يوما جالسا في بيت يُبنى له وهو يشاهد الصُّنَّاعَ فرأى في جملتهم عبدا أسود منكرا لخلق ، شديد المرح ، يصعد على السلالم مرقاين مرقاين ويحمل ضِعْفَ ما يحمل غيره ، فأنكر أمره ، وأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فلجلج فقال لوزيره : قد تخمَّنتُ في هذا نخمينا ما أحسبه باطلا ، إنا أن يكون معه دنائير قد ظفر بها من غير وجهها ، أو لصا يتستر بالعمل ، ثم قال : على بالأسود فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدقه ليضربن عنقه ، فقال الأسود : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ، قال : نعم ! إلا ما كان من حد ، فظن أنه قد أتمنه ، فقال : كنت أعمل في أثون الأجر ، منذ سنين ، فأنا منذ شهر جالس إذ مر بي رجل في وسطه كيس فتبعته وهو لا يعرف مكانى فخلَّ الهميان وأخرج منه دينارا فتألمته فاذا كله دنائير فكشفتُه وسددتُ فاه وأخذت الهميان وحملتُه على كتفى وطرحته في التَّور ١٠ وطينتُ عليه ، فلما كان بعد أيام أخرجتُ عظامه وطرحتها في دجلة والدنائير معي تقوى قلبي قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنائير ، وإذا على الكيس : لفلان بن فلان ، فدادى في المدينة ، فحضرت أمراته وقالت : هذا زوجى وقد ترك طفلا صغيرا خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب الى الآن ، فسلم الدنائير إليها وأمرها أن تعتد ، وضرب عنق الأسود وأمر أن يوضع ١٥ في الأتون .

- وقيل : جلس المنصور في إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوبا مهموما يحول في الطُّرقات ، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج في تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله به ، فدفعه الى أمراته ، فذكرت المرأة أن المال سُرق ولم يرتقبا ولا تسلفا ، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة ، قال : فبكرا أو ثيبا ؟ ٢٠

قال ثيباً، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا، قال : شابة أم مسنة ؟ قال :
شابة، فدعا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيب بهذا، فهو يذهب همك،
فأخذها وأقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته : أقعدوا على أبواب
المدينة، فمن مرّ بكم وعليه شيء من هذا الطيب فأتوني به، وأشمهم من ذلك الطيب،
ومضى الرجل بالطيب، فدفعه الى أمراته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلما شمته
بعثت به الى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت اليه المال فتطيب به، ومرّ بمجانزا
ببعض الأبواب، فأخذ وأتى به الى المنصور، فقال له : من أين آستفدت هذا
الطيب ؟ فلجلج لسانه، فسأله الى صاحب شرطته وقال : أن أحضر الدناير وإلا
فاضربه ألف سوط، فإ هو إلا أن جُرد وهُدّد، فأحضر الدناير على حالتها فأعلم
المنصور بذلك، فدعا صاحب الدناير وقال : أرأيتك إن رددت عليك متاعك بعينه
أنحكىنى فى أمرأتك ؟ قال : نعم ! قال : خذ دنائرك وقد طلقتُ أمرأتك وخبره
الخبر .

٥

١٠

ودخل شريك بن عبد الله القاضى على المهديّ فأراد أن ينجّره فقال للخادم : آئتِ
القاضى بعود، فذهب بجاء بالعود الذى يُلهى به، فوضعه فى حجر شريك، فقال شريك :
ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عود أخذه صاحبُ العَسَس البارحة فأحببنا أن
يكون كسره على يد القاضى، فقال شريك : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به
الأرض فكسره ثم أفاضوا فى حديث آخر حتى نُسئ الأمر ثم قال المهديّ لشريك :
ما تقول فيمن أمر ويكلاً له أن يأتى بشيء بجاء بغيره فتلف ذلك الشيء ؟ فقال :
يضمّن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم : أضمن ما تلف .

١٥

الباب الرابع

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الكايات والتعريض

والكايات لها مواضع ؛ فأحسنها العدول عن الكلام القبيح الى ما يدل على معناه
 في لفظ أبهى منه . ومن ذلك أن يُعْظَم الرجل فلا يدعى باسمه ويُكْنَى بِكُنْيَتِهِ ،
 أو يَكْنَى بِأَسْمِ ابْنِهِ صِيَانَةً لِأَسْمِهِ ، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فنها قوله ﴿ ١٤٤ ﴾
 تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) أى كَنِيَّاهُ . وقد كُنِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على بن أبى طالب رضى الله عنه : بأبى تراب ؛ وقال البحرى

يتشاغفن بالصغير المسمى * موضعاتٍ والكبير المكنى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل ؛ وقول ابن الرومى

بكت شجوها الدنيا فلما تبيّنت * مكانك منها استبشرت وتبّنت

وكان ضئيلا شخصها فتناولت * وكانت تسمى ذلةً فتكنت

وقال أبو صخر الهذلى

أبى القلب إلا حُبُّه عامريةً * لها كنيةٌ: عمرو، وليس لها عمرو

ومن عادة العرب وشأنهم ؛ استعمال الكايات في الأشياء التى يستحي من

ذكرها ، قصدا للتعفف باللسان ، كما يتعفف بسائر الجوارح ، قال الله عز وجل

تأديا لعباده (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) فقرة عفة البصر

بقعة الفرج ؛ وفي القرآن كُتِبَتْ عَلَيْهَا مِنَ الْعَذَابِ أَلْجُنَاحُ مَا رَأَوْنَهَا وَفِي الصُّلْبِ نَسَبُهُمُ الْوَالِدَانِ فَاتُوا بِحُرْمَتِهِمْ أَنَّي سِتْتُمْ) وقال أبو عبيد : هو كناية ، شبه النساء بالحرث ، وقوله تعالى : (وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدْتُمْ عَلَيْنَا) ، قيل : هو كناية عن الفروج ، وفي موضع آخر : (يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقوله تعالى : (أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الضِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) ، وقوله تعالى : (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) قال المفسرون : هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما يصير إليه ، وهو الحدّث ، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث . ثم قال : (أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ) وهذا من ألطف الكناية ، ومنه قوله تعالى : (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُ النِّسَاءَ) فالغائط : المطمئن من الأرض ، وكانوا يأثونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة . ومن لم ير الوضوء من لمس النساء جعل الملاسة هاهنا كناية عن الفعل .

ومن الكايات في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو وإن كان قد ورد في الأمثال
أشبه بالكاية - منها قوله صلى الله عليه وسلم ”إياكم وخضراء الدمن“ يريد بها المرأة
الحسنة في المنبت النسوة، وتفسير ذلك : أن الريح تجمع الدمن، وهو البعر في البقعة
من الأرض فإذا أصابه المطر نبت نبتاً غصناً يهتر ويحتته الدمن الخبيث، يقول :
فلا تنكحوا هذه المرأة الحسنة لجمالها، ومنبتها خبيث كاللأمن؛ فإن أعراق السوء
تزرع أولادها؛ وقال زُفر بن الحارث

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حرازات النفوس كما هيا!

وقوله صلى الله عليه وسلم : ”حَمَى الْوُطَيْسُ“ قاله لما جال المسلمون يوم حُنين، والوطيس : حفيرة تحتفر في الأرض شبيهةً بالتَّنُورِ ؛ وقال الحسن : لبث أيوب عليه السلام على المذبة سبع سنين، وما على الأرض يومئذ خلقٌ أكرم على الله منه ، فما سأل الله العافية إلا تعريضا في قوله : (إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب تكنى عن الفضلة المستقدرة بالألفاظ كلها كنايات، منها : الرَّجِيْعُ وَالنَّجْوُ وَالْبَرَازُ وَالْعَائِطُ .
وَالْعِدْرَةُ وَالْحُشْحُشُ ، فبعض هذه الألفاظ يراد بها نفس الحدث ، وبعضها يراد بها المواضيع التي يأتي إليها المحدث ، وكذلك استعملوا في إتيان النساء : الجامعة ، والمرافعة ، والمباشرة ، والملامسة ، والمماسّة ، والخلوة ، والإفضاء ، والغشيان ، والتغشى ، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن .

- وَحَكِي : أن رجلا من بنى العبر كان أسيرا في بكر بن وائل ، وعزموا على غزو قومه ، فسألهم رسولا الى قومه ، فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم ، وحيء بعيد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إني لعاقِل ! قال : ما أراك عاقلا ! ثم أشار بيده الى الليل ، فقال : ما هذا ؟ قال : الليل ! قال : أراك عاقلا . ثم ملا كَفْيِهِ من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لأدري وإنه لكثير ، قال : أيما أكثر ؟ النجوم أم النيران ؟ قال : كلٌ كثير ، فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليُكرموا فلانا ،
يعنى أسيرا كان في أيديهم من بكر ، فإن قومه لى مكرمون وقل لهم : إن العَرَبَ قد أدبى ، وشكّت النساء ، وأمرهم أن يُعَرِّوا ناقاتى الحمراء ، فقد أطلوا ركوها ، وأن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلتُ معهم حَيْسًا ، وآسالوا عن خبرى أنحى الحارث ؛

فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : قد جُنَّ الأعورُ ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ، ولا جملاً أصهبَ ، ثم سرحوا العبدَ ودعوا الحارثَ فتصوّوا عليه الفِصَّةَ ، فقال : قد أنذركم ؛ أمّا قوله : قد أدبني العرغُ ؛ يريد : أن الرجال قد استلثموا ولبسوا السلاح ، وقوله : وشكّت النساءُ ؛ أى اتخذن الشكَّاءَ للسفر ، وقوله : الناقة الحمراء ؛ أى ارتحلوا عن الدهناء وأركبوا الصَّيَّانَ وهو الجمل الأصهب ، وقوله : بآية ما أكلت معكم حيساً أى أخلاط من الناس وقد غزروكم ؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقَطَ ، فأمتثلوا ما قال ، وعرفوا لحنَ كلامه . وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده الى مجالد ابن سعيد عبد الملك بن عمر قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة ، فأرسل الى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة ، فسمرنا عنده . ثم قال : ليحدثني كل رجل منكم أحدوثه . وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصالح الله الأمير ، أحدث الحق أم حدث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق ، قلت : إن أمرأ القيس الى ألية أن لا يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعين ، فجعل يخطب النساء فاذا سألن عن هذا ، قلن أربعة عشر ، فبينا هو يسير في جوف الليل اذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة ، كأنها البدر لثمّه ، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة وأثنان ؟ فقلت : أما ثمانية فأطبّاءُ الكلبة ، وأما أربعة فأخلافُ الناقة ، وأما أثنان فتديا المرأة ، فخطبها الى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوف اليها مائةً من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ؛ ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له الى المرأة ، وأهدى لها نَحِيًّا من سمن ، ونَحِيًّا من عسل ، وحلّة من قصب ، فنزل العبد

- على بعض المياه، فنشر الحلة فلبسها فتعلقت بِسَمُرَةٍ فأنشقت، وفتح النّحّين فاطعم أهل الماء منهما فنقصا، ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسألها عن أيها وأما وأخيها، ودفع إليها هديتها فقالت له: أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا، ويبعد قريبا، وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخى ذهب يراعى الشمس، وأن سماءكم أنشقت، وأن وعاءيكم نضبا، فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال: أما قولها: أن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا: فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها: ذهبت أمى تشق النفس نفسين: فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء، وأما قولها: ذهب أخى يراعى الشمس: فإن أخاها فى سرج له يراعه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وقولها: أن سماءكم أنشقت: فإن البرد الذى بعثت به أنشق، وأما قولها: أن وعاءيكم نضبا: فإن النّحّين نقصا؛ فاصدقنى؛ فقال: يامولاي!
- ١٠ إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألونى عن نسبي، فأخبرتهم أنى أبى عمك، ونشرت الحلة فلبستها وتجلت بها، فتعلقت بِسَمُرَةٍ فأنشقت، وفتحت النّحّين فاطعمتُ منهما أهل الماء. فقال: أوّلَى لك؛ ثم ساق مائه من الإبل، وخرج ومعه الغلام ليسقى الإبل، فمعجز؛ فأعانه أمرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها: قد جاء زوجك! فقالت: والله ما أدرى أزوجى هو أم لا؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا؛ فأكل ما أطعموه، قالت: أسقوه لبنا حازرا (وهو الحامض) فسقوه؛ فشرب، فقالت: أفرشوا له عند القرث والدم، ففرشوا له؛ فنام. فلما أصبحت أرسلت إليه: أريد أن أسالك عن ثلاث، قال: سلى عما بدا لك، فقالت: لم تختلج شفتاك؟
- ١٥

قال : من تقبيل إياك ! قالت : لم تختلج نخذاك ؟ قال : لتوركي إياك ! قالت : فلم يختلج كشحاك ؟ قال : لا لآترامى إياك ! قالت : عليكم العبد ! فشدوا أيديكم به ، ففعلوا ؛ قال : ومزقوم فاستخرجوا أمراً القيس من البئر ، فرجع الى حيّه وآستاق مائةً من الإبل وأقبل الى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك ، قال : وأين الكبد والسنام والملحاء ؟ فأبى أن يأكل ، فقامت : آسقه لبنا حازرا ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصريف والرئيشة ؟ فقالت : آفرشوا له عند القرث والدم ، ففرشوا له ؛ فأبى أن ينام وقال : آفرشوا الى فوق التلعة الحمراء وآضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت اليه : هلم شريطتى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل اليها : سلىنى عما شئت ، فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشعشات ؛ قالت : فلم يختلج كشحاك ؟ قال : للبس الحبرات ؛ قالت : فلم يختلج نخذاك ؟ قال : لركض المطهّمت ؛ قالت : هذا زوجى لعمرى ! فعليكم به ، وأقتلوا العبد فقتلوه ، ودخل أمرؤ القيس بالجارية ؛ قال آبر بن هُبيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحداً بأعجب منه ، فقمنا فانصرفا وأمر الى بجائزة .

١٥

وقيل : بعث بشامة بن الأعور العنبرى الى أهله بثلاثين شاةً ونحى صغيره سمن ، فسرق الرسول شاة ، وأخذ من رأس الحى شيئا ، فقال لهم الرسول : ألكم حاجةٌ أخبرُ بها ؟ فقالت امرأته : أخبره أن الشهر محاف ، وأن جدينا الذى كان يطالعنا وجدناه مرثوما ، فأرتجع منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طيءٌ غلاما ، فقدم أبوه ليفديه ، فاشتطوا عليه . فقال أبوه :
 لا والذي جعل الفرقدين يُسيان ويصبحان على جبل طيء ! ما عندي غير ما بذلته ،
 ثم أنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خيرٌ فهمه . كأنه قال : إلزم الفرقدين
 على جبل طيء ، ففهم الأبَن تعريضه وطرده إبلا لهم من ليلته ونجا .

- ومن التخليص المتوسَّط اليه بالكآبة ما روى عن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي ،
 أنه قال يوما في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ألا تعجبون لهذا ؟ أشعر برُّكأيولَّى
 مثل هذا المصر ، والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين . فبلغ ذلك الوليدَ فقال على
 المنبر : أنشد الله رجلا سمانى أشعر برُّكا إلا قام ، فقام عدى بن حاتم فقال : أيها
 الأمير ، إن الذي يقوم فيقول : أنا سميكت أشعر برُّكا لجرىء ، فقال له : اجلس
 يا أبا طريف ! فقد برأك الله منها ، بخلس وهو يقول : ما برأني الله منها .

١٠

وقيل : كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض ، فلما خرج من عنده أرسل اليه
 مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى ، قال مسروق :
 إنه صاحب مرض ، فارجع اليه وأسأله ما يأمر وينهى ، قال : يأمر بالوصية
 وينهى عن النوح .

- خطب رجل الى قوم فجاءوا الى الشعبي يسألونه عنه ، وكان به عارفا ، فقال : هو
 والله ما علمت نافذ الطعنة ، ركين الحلسة ، فزوجوه ؛ فاذا هو خياط فاتوه فقالوا :
 غررتنا فقال : ما فعلت وإنه لكما وصفت .

١٥

وخطب باقلاقي الى قوم وذكر أن الشعبي يعرفه فسأله فقال : إنه لعظيم الرماد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتم ؟ فقال أحدهما
أنا ابن الذي لا يُنزل الدهر قدره * وإن نزلت يوما فسوف تعودُ
تري الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ !
وقال الآخر

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما بين غزومها وهاشمها
تأتيه بالذل وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها !

فظنوهما من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما ؛ فإذا الأول ابن طبّاخ والثاني
ابن حجام . ١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أى الطعام أحب اليك ؟
قال : الزبد والكأّة . فقال : ما هما بأحب الطعام اليه ، ولكنه يحب الخصب
للمسلمين .

وقال لقمان لابنه : كُلْ أطيب الطعام ، وَنَمْ على أوطأ الفرش ؛ كُنْى عن إكبار
الصيام ، وإطالة القيام . ١٥

ومن جيد التورية وغريبها مع توتنى الصدق فى موطن الخوف : قولُ أبى بكر
الصديق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفُه عامَ
الهجرة ، فقبل له : من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهدينى السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وصيةً لرجلٍ بمالٍ أمر أن يُتَّخَذَ به حصون . فقال : آشتروا به خيلاً للسبيل ، أما سمعتم قول النخعيّ
ولقد علمت على تجنبي الردى * أن الحصون الخيلُ لامدّر القرى
فيل كان البراء بن قبيصة صاحبَ شرابٍ ؛ فدخل على الوليد بن عبد الملك ،
وبوجه أثر ، فقال : ما هذا ؟ قال فرس لى أشقر ، ركبته فكبأى ، فقال :
لو ركبته الأشهبَ لَمَا كَبَأَ بك ؛ يريد الماء .

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير : مانأبت من الأسماء ! ليس بأسم رجل
ولا امرأة ، قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لى لو كان آسمى الى ، لسميتُ نفسى
زينب ، يُعْرَضُ به ؛ فإنه كان يعشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها ؛
فقال : لا أوسخ نفسى بأثى الذبان .

قال ثُمَيْرَى لفقعسى : إني أريد إتيانك فأجد على بابك جروا ، فقال له الفقعى :
أطرح عليه تراباً وأدخل ؛ أراد الثميرى قول الشاعر
ينام الفقعى وما يُصَلِّى * ويخربى فوق قارعة الطريق
وأراد الفقعى قول الآخر

ولو وُطِئتُ نساءُ بنى نَمِيرٍ * على تُرْبٍ خَلْبَتِ التراباً
قال عبد الله بن الزبير لامرأة عبد الله بن حازم السلمى : أخرجى المَال الذى وضعته
تحت آسِكَ ، فقالت : ما ظننت أن أحداً يلى شيئاً من أمور المسلمين يتكلم بهذا ،
فقال بعض من حضر : أما ترون الخلعَ الخفى الذى أشارت إليه ؟ فلما أخذ الحاج
أم عبد الرحمن بن الأشعث تجنّب ما عيبَ على ابن الزبير ، فكفى عن المعنى فقال لها :
عمدت الى مال الله فوضعتَه تحت ذيلك .

ماتت للهدلى أم ولد، فأمر المنصور الربيع بأن يعزيه ويقول له : إن أمير المؤمنين
يوجه اليك بجارة نفيسة لها أدب وظرفٌ تُسليكَ عنها، وأمر لك بفرس وكسوةٍ وصالَةٍ ؛
فلم يزل الهدلى يتوقعها، ونسيها المنصور، ثم حجّ ومعه الهدلى فقال له وهو بالمدينة :
أحب أن أطوف الليلة في المدينة، وأطلب من يطوف بي فقال : أنا لها يا أمير
المؤمنين ؛ فطاف به حتى وصل الى بيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين ! وهذا بيت
عاتكة الذى يقول فيه الأحوص

* يا بيتَ عاتكة الذى أتعزّل *

فأنكر المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه ؛ فلما رجع أمر القصيدة
على خاطره فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * منق الحديث يقول ما لا يفعل
فتذكر الموعد وأنجزه وأعذر اليه .

اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب ، فترجل بياز فقال رجل من بني
تميم لآخر من بني نعيم : هذا البازى ! فقال النيمى : إنه يصيد القطا ؛ عرض
الأول بقول جرير

أنا البازى المطل على نعيم * أتبع من السماء لها أنصبابا
وأراد الآخر قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلّت
قال عمر بن هبيرة الفزارى لأيوب بن زليان النيمى وهو يسايره : غص من بغلتك !
فقال : إنها مكتوبة ، أراد بن هبيرة قول جرير

فغص الطرف إنك من نعيم * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النيرى قول ابن دارة

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ * عَلَى قُلُوبِكَ وَأَكْتُبُهَا بِأَسْيَارِ

وقيل : كان العزيز بن المعز العبيدى أحد الخلفاء بمصر يلعب بالجمام فتسابق هو وخدام له فسبق طائر الخادم طائر الخليفة ، فبعث الى وزيره ابن كلس اليهودى

يستعلمه عن ذلك فاستحي أن يقول : إن طائر الخليفة سُبِقَ ، فكتب إليه

يَا بْنَ الذِّى طَاعَتْهُ عَصْمَةٌ * وَحُبُّهُ مَقْتَرَضٌ وَاجِبُ

طَائِرِكَ السَّابِقُ لَكِنَّهُ * جَاءَ وَفِي خِدْمَتِهِ حَاجِبُ

جاءت امرأة إلى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجى ، خير أهل

الأرض إلا رجلاً سبقه لعمل ، أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يُصْبِحَ ، ويصوم

النهار حتى يُمَسِيَ ، ثم أخذها الحياء فقالت : أَقْلَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فقال : جِزَاكَ

الله خيراً ! فقد أَحْسَنْتِ النَّهْأَ ، فلما وَلَّتْ قَالَ كَعْبُ بْنُ شُورٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ

أَبْلَغْتَ إِلَيْكَ فِي الشَّكْوَى ، فَإِنَّهَا كُنْتُ بِذَلِكَ عَنْ عَدَمِ الْمُبَاضَعَةِ .

الباب الخامس

من القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأنغاز والأحاجى

١٥

قالوا : وَأَشْتَقُّقُ اللَّغْزَ مِنْ أَلْغَزِ الْبَرْبُوعِ وَلَغَزَ : إِذَا حَفَرَ لِنَفْسِهِ مَسْتَقِيماً ، ثُمَّ أَخَذَ يَمْنَةً

ويسرة ليوارى بذلك ويعتقى على طالبه . وَلَغَزَ أَسْمَاءُ فَمِنْهَا : الْمُعَايَاةُ ، وَالْعَوِيصُ ،

وَالرَّمْزُ ، وَالْمُحَاجَاةُ ، وَأَبْيَاتُ الْمَعَانِ ، وَالْمَلَّاحِنُ ، وَالْمَرْمُوسُ ، وَالتَّائَوِيلُ ، وَالْكَيْفَاةُ ،

والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعنى، والمُثَلِّ، ومعنى الجميع واحد، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته، فأنك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعابيك، أى يُظهر إعياءك وهو التعب، سميته : معاياة، وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه وأعتياص استخراجه، سميته : عويصا، وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سميته : لُغَزَاً، وفعلك له : إلغازا، وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت : رَمَزَ، وقريب منه الإشارة، وإذا اعتبرته من حيث إن غيرك حاجاك أى أستخرج مقدار عقلك، سميته : محاجة، وإذا اعتبرته من حيث إنه أستخرج كثرة معانيه، سميته : أبيات المعانى، وإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهمك شيئا ويريد غيره، سميته : لحنا وسميت فعلك : الملاحن، وإذا اعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورُمس فهو : المرموس، والمرس : القبر، وإذا اعتبرته من أن معناه يؤوّل اليك، سميته : مؤوِّلا، وسميت فعلك : تاويلا، وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصريح بفرضه، سميته : تعريضا وكماية، وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سميته : الموجّه، وسميت فعلك : التوجيه، وإذا اعتبرته من حيث إنه مغطّى عليك، سميته : مُعَمَّى .

٥

١٠

قال الحكيم أمير الدولة المعروف بابن التلميذ في الميزان

١٥

ما واحد مختلف الأسماء؟ * يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الرشاد كل رائي
أخرس لا من علّة وداء * يُفني عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو أمّراء * بالرفع والخفض عن النداء
* يفصح إن علّق في الهواء *

٢٠

شعر



قوله : مختلِف الأسماء يعني ميزان الشمس ، والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد، وهو معنى قوله : يحكم في السماء . وميزان الكلام : النحو، وميزان الشعر : العروض ، وميزان المعاني : المنطق ، وهذه الميزان والذراع والمكيال .

وقال آخر فيه

- ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء ، وعلّق في الهواء ، له عينٌ عمياء ، وكفٌ شلاء ،
ليس له إن عدل ثواب ، ولا عليه إن جار عقاب ، خلّق من ثلاثة أجناس ، تضعضعه
الأنفاس ، جسمه عاير من غير لباس ، أنخرسُ اللسان ، في أذنه نُحُصان ، مكرّر الذكر
في القرآن ، ينطوى إذا نام كالصِّل ، وفعله المستقبل معتلّ ، وله في الآخرة أكبر محلّ .

وقال أبو نصر الكاتب في الخاتم

- ومنكوج إذا ملكته كف * وليس يكون في هذا مرأى
له عينٌ تخلّ لها ضياء * فإن خلّكت فللميل العما
يظلّ طليعةً للوصل هونا * وللخاشي بزورته آحتاء
وقد أوضّخته وأبنت عنه * ففسّره فقد برح الخفاء
أراد بقوله : تخلّ لها ضياء أي أنها مفتوحة وكلّها بالإصبع ؛ وقد يبعث المحبوب
بجناحه علامةً للزيارة أو رهنًا عليها وهو أمانٌ للجاني .

وقال ابن الرومي في فتيلة السراج

ما حيّة في رأسها دُرّة * تسبح في بحر قليل المدى ؟
إن غيّبت كان العمى حاضرا * وإن بدت لاح طريق الهدى !

وقال السرى الرقاء فى شبكة الصياد

وكثيرة الأحداق إلا أنها * عمياء ما لم تنغمس فى ماء
وإذا هى أنغمست أفادت ربها * ما لا يُنال بأعين البصراء

وقال آخر فى النوم

وحاملٍ يحملنى * وما له شخصٌ يرى !
إذا حصلتُ فوقه * وهو لذيدُ الممتطى !
سريتُ لا أدرى أفى * أرض سريتُ أم سما !

وقال أبو العلاء المعرى فى ركابى السرج

خليلانِ نيظاً فى جوانبِ مجلس * جداراه قدام له ووراء !
متى يضع الرجلين ما يشاء عليهما * يزلُّ عنه فى وشكٍ خفاً وحفاً !

قوله : خليلانِ لتشابههما ، والمجلس : السرج ، وجداراه : قريوسه ورادفته ،
والحفا مقصور : وجعُ الرجل ، وممدود : من مشى الرجل حافياً بغير نعل .

وقال آبن القاسم عبد الصمد بن نائل فى القفل

مُجامعٌ يعقدُ عقدَ الكلبة * إن رامه غيرك جرّ نكبة
ينام كالأمرد لا كالقحبة * حتى إذا شكَّ القمءُ جنبه
وعالج الجذبة بعد الجذبة * وأنحلَّ بالحقنة لا بالشربة
ألقي جنبنا تقبته العزبة * ثم إذا عاد إليه أشبه
بعض حروفِ المعجمِ المنكبة * يفيض وهو صادق المحبة
يعتقد السلم وينوى حربة * وهو على ذلك طويل الصلبة

شَبَّهَ بالمجامع : لدخول الفَراش في بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلبة : في عُسر المفارقة ، وإن فتحه غيرك جرّ نكبة عليك لسرقة ما فيه ، ينام كالأمرد : لأنكابه ، والقُمْدُ : الذكر وهو المفتاح ، والحنين : الفراش ، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف .

وقال في أسم سعيد

° يسم عن أول أسمه حَيَّ * ثم بثاني حروفه يسي
ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى يدا ، صورة أسمها تُبَي
أربعة نصفها بكملتها * في العد لم تنقص ولم تُرَبِ
هذا وفيه أسم يوم آتفت * مفاحِرُ العُجم فيه والعُربِ
فأعمل الفكر في تأمله * وأركب به كلَّ مَرَكَبٍ صعبِ

١٠ شَبَّهَ السين بالثغر ، وثانيه العين وهي تسبي القلوب ، والحرفان يد وهي أربعة في العدد وستة في الصورة ، وإذا أخذت السين والعين فهي أربعة وهي جملة العدد ، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللبوس .

وقال ابن أبي البَغل الكاتب في القلم

١٥ اصم عن المنادى لا يحيبُ * به تخبو وتتستعل الخطوبُ
ضليل الجسم "أعلم" ليس تخفى * عليه غيوبُ ما تُخفى القلوبُ
تراه راجلاً لا روح فيه * ويُحييه ويُنطقه الرُكوبُ
يبين لسانه ما كنّ سوداً * معارفه ويُخرسه المشيبُ
يقسم في الوري يؤسى ونعمى * ويحكم والقضاء له مجيبُ
عجبت لسطوة فيه وضعف * وكلّ أموره عجبٌ عجيبُ

٢٠ أراد بقوله : أعلم : مشقوق الشفة .

وقال أبو العلاء المعزى فى الملح

وبيضاء من سرّ الملاح ملكتها * فلما قضت إزبى جوت بها صهي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل * تحثم بعد الطعام على الشرب
قوله : سرّ أى خالصة ، والملاح جمع ملح ، والإرب : الحاجة .

وقال آخر فى عودى الغناء والبخور

وما شيطان إسمهما سواءً * وأصلهما معا عند أنساب
إذا حضراك بتّ قرير عين * بلا طعم يلدّ ولا شراب
وما أن يوجدان النفع إلّا * بضرب أو بضرب من عذاب
معنى أسمهما سواء ظاهر ، وأصلهما خشب ، والضرب الأول : ضرب العود ،
والثانى : من العذاب وهو الإحراق .

وقال آخر فى الحرب

ما ذات شوكة لها جناح * يختطف الناس عن قريب
وهى عقيم ترى بنينا * من بين مُردٍ وبين شيب
ياكل بعض البنين بعضا * طلوع شمس الى غروب
تصحيفها الداء غير شك * قد يُحسم الداء بالطبيب
والدواء معكوسه مكان * يصلح للطائر النجيب
يعرفها من يكون طبّا * بالشعر والنحو والغريب

هذا لفظ معمى فى الحرب ، وشوكها : السلاح ، وجناحها : جانبها ، وعقيم :
لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها ، وأكلهم : قتلهم ، وتصحيفها : الجرب ، وعكسه :

وقال آخر في الندى

- وما أخوان مشتهانِ جدًّا * كما أشتبهُ الغرابة والغرابُ
يَضْمَهُما على مرّة اللبالي * وما آجتماعُ ولا افتراقُ إهابُ
لذلك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شرابُ
يصونهما عن الأبصارِ دين * ويضرب دون نيلهما حجابُ
هما : ثديا المرأة، ويضمّهما إهاب : وهو الجلد .

وقال آخر في الفخ

وما مَيّت كَفْتُهُ ودَفَنَتْهُ * فقام الى حقّ صحيح فأوثقَهُ

وقال آخر وهو لغز

- حلف الحبيبُ على لا سَمِيَّتُهُ * فكُنَيْتُهُ ولطفَت خوفَ تَغاضِيَةٍ
ظني ! اذا ما زارني حلّ أسمه * قلبي وذلك من عجيبِ عَجائِيَةٍ
ويكون إن رَحِمَتْهُ وَخَرَمَتْهُ * وَقَلْبَتُهُ ما تشتهى من صاحِبَةٍ
ويكون إن صَحَّفَتْ مبدأه الذي * أَصْبَحَتْ تهواه لعين مراقِبَةٍ
وتراه بعد الجزم إن مَيَّزَتْ في التصحيف مقلوبا أَشَدَّ معائِيَةٍ
وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعبٍ حاسِبَةٍ
فاطلبه سادس سادس ثانيه ثا * نيه وثالثه كذلك لَطالِيَةٍ
وتمامه من بعد مثل حروفه * في البيت صحّ أسم الحبيب لقاليَةٍ

هو لغز في فرجة ، والترخيم : حذف الآخر ، والحرم : حذف الأول ؛ فإذا رخم
ونحرم وقلب بقي : حر ، وإذا قلبت الفاء قافا بقي : قرحة لعين المراقب ، وإذا صحفته
مقلوبا ، وجزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثنان ، وهما جذر جميع
حروفه ، وقوله : فأطلبه سادس سادس : يعني البيت السادس .

وقال آخر في سلمى

سل ماهراً بالقريض والأدب * ما أسم فتاة قعيدة النسب
قد صرح الشعر باسمها فتي * فكُرتَ فيها ظفرتَ بالعجب
الاسم : سلمى ، وهو ظاهر في أول البيت .

وقال آخر في الكوة

ومضروبة تحيا إذا ما ضربتها * وإن تُركت من شدة الضرب ماتت

وقال أبو عبد الله بن المغلس في السراج

وداع الى نفسه في الظلام * وما سمعتُ أذنه صوته
إذا هو بيض وجه الطريقِ سؤد في وجهه بيته

وقال آخر في الصدى

وساكين يسكن في الفلاة * ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الجن ولا الحيات * ولا الخيام الشعر والأبيات
ولا بذى جسم ولا حياة * كلا ! ولا يدرك بالصفات
بلى ! له صوت من الأصوات * يُسمع في الأحيان والأوقات

وقال ابن المغلس في النخلة

وقائمة أبدا لا تنام * وما قعدت قطّ مذ قامت

تعيش إذا غسلوا رجلها * وإن حلقوا رأسها مات

وقال آخر

- ما يقول سيدنا الشيخ : في شيء نزل من السماء ، وركض في الهواء ، وخيم في البيداء ،
نطق على نفسه فأفصح ، وتكلم فيّين وأوضح ، أفقر وأغنى ، وأمات وأحيا ، له شوارق
من غير غضب ، ورقصات على غير طرب ، يسبق الفرس السريع ، ويسبقه الطفل
الرضيع ، مختلف الألوان ، يوجد في كلّ زمان ، ما أكثر لغاته ! وأعمّ في البشر ذكر
صفاته ! وهو خفيف ثقل ، كثير قليل ، كبير صغير ، طويل قصير ، غال رخيص ،
قوى ضعيف ، سريع بطيء ، بارد حارّ ، نافع ضارّ ، أبيض أسود أزرق ، قريب
بعيد ، قديم جديد ، متحرك ساكن ، ظاهر باطن ، يتجبر ويتكسر ، ويتعوج
ويتدور ، سلطانه في الشمال وبه يذلّ ، وضعفه في الجنوب وبه يعزّ ، نحيل يخفى
جثة الفيل في طيه وعطفه ، ويتخلّل جفن العين الرمدة برفقه ولطفه ، يمشى على
الحديق فلا يؤلمها ، ويطأ القلوب فلا يكلمها ، على أنه يقطع الطريق ، ويخيف
الفريق ، كم أهلك من قوم وما راق ولا سفك ! يحمل ألف قطار ، ويعجز عن حمل
دينار ، وهو ليلئله نهارئ ، عربئ عجمئ ، برئ بحرئ ، سهلئ جبلئ ، روميئ نوبئ ،
هنديئ حبشيئ ، صينيئ جاهليئ إسلامئ ، كان مع آدم في الجنة ، وصحب نوحا في السفينة ،
وتوسّط النار مع إبراهيم ، كم له مع موسى من خبر ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حمل
المسيح على غير ظهره ، وما سار في برّ ولا بحر ، أخرجه النبيّ صلى الله عليه وسلم من
جسده ، وفزقه على صحابته ، إذا نطقت به كان بعض أحد خلفاء بني العباس السبعة

٢٠

وقال آخر

❁ ما شئٌ وجهه قبر، وقلبه حجر إن علقته ضاع، وإن أدخلته السوقَ أبى أن يباع،
وإن فككته دعا لك، وإن ركبت نصفه هالك، وربما كثر أموالك، وإن حذفت
آخره، وشددت ثانيه، أورتك الألم عند الفجر، والضجر عند العصر : هو الدملج
الفضة .



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

فمن ذلك : أمرأتان ألتقتا برجلين قالتا لهما : مرحبا بابنينا وزوجينا وأبني زوجينا،
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر فهما أبناهما وزوجاهما وأبنا زوجيهما .

رجلان كل واحد منهما عم الآخر وأبن أخيه، وذلك : أن كل واحد من أبيهما ١٠
تزوج بأم الآخر، فُرِز كل واحد منهما ولدا فكل من الولدين عم الآخر وأبن أخيه .

رجلان كل واحد منهما خال الآخر وأبن أخته، وذلك : أن كل واحد من
أبيهما تزوج بابنة الآخر، فوزق كل واحد منهما ولدا فكل من ولديهما خال الآخر
وأبن أخته .

١٥ رجل وأمرأتان هو خال أحديهما، وهي خالته وعم الأخرى، وهي عمته،
وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه،
فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدته عمته وهو عمها، وهذا أصل
الآبيات المنظومة في ذلك

ولى خالة وأنا خالها * ولى عمّة وأنا عمّها

رجلان كلّ واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته، وذلك : أن كلّ واحد من أبيهما تزوج بأخت الآخر، فزوّج كلّ منهما ولدا، فكل من ولديهما ابن خال الآخر وابن عمته .

رجلان كلّ واحد منهما عمّ والد الآخر، وذلك : أن كلّ واحد من أبيهما تزوج بأمّ أب الآخر، فكلّ من أولادهما عمّ أب الآخر .

رجلان كلّ واحد منهما عمّ أمّ الآخر، وذلك : أن كلّ واحد من أبيهما تزوج بابنة ابن الآخر، فكلّ من أولادهما عمّ أمّ الآخر .

رجلان كل واحد منهما خال أمّ الآخر، وذلك : أن كلّ واحد من أبيهما تزوج بابنة بنت الآخر، فكلّ من أولادهما خال أمّ الآخر .

١٠. رجلان أحدهما عمّ الآخر والآخر خاله، وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما امرأة وتزوج الآخر ابنة أبنها، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عمّ ابن الابن، وابن الابن من أمّ امرأة الأب، هو أخوها وخال أبنها .

رجلان أحدهما عمّ الآخر وخاله، والآخر ابن أخيه وابن أخته، وذلك : أن رجلاً له أخ لأب وأخت لأبم فزوّج أخاه لأبيه بأخته لأبمه فولدها ولدا فهما كذلك .

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والمُلح، والخمر، والمُعاقرة،

والندَمَان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

في المدح، وفيه ثلاثة عشر فصلاً

حقيقة المدح وما قيل فيه، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، ما قيل في الإعطاء

قبل السؤال، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل في وفور العقل، ما قيل

في الصدق، ما قيل في الوفاء والمحافظة، ما قيل في التواضع، ما قيل في القناعة والزهادة

ما قيل في الشكر والثناء، ما قيل في الوعد والإنجاز، ما قيل في الشفاعة، ما قيل

في الاعتذار والاستعطاف .

فأما حقيقة المدح، فقد عبر عنها الحمدوني في "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله :

حقيقة المدح : وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها، ويكون نعتاً حميداً .

قال الله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

الْفُحْشِ مُغْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ) وقال

عز وجل : (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم “ وقد أولوا الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ” إذا رأيتم المذّاحين فاحثوا في وجوههم التراب “ قال العتبيّ هو المدح الباطل والكذب .

- وأما مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، ومما يعزّض هذا أن العباس بن عبدالمطلب وكعب بن زهير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ، مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد أنه حثا في وجه أحد منهم ترابا .

وقيل في حثو التراب معنيان : أحدهما التغليظ في الرد عليه ، والثاني يقال له : بفيك التراب .

- ١٠ وللشعراء عادة في تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقّه حتى إن ذلك أفضى بكثير منهم الى الكفر والخروج عن الحدّ أعاذنا الله من ذلك ؛ وقال أبو شروان : من أثنى عليك بما لم تولّه فغير بعيد أن يذمك بما لم تحبه . وقال وهب بن منبه : من مدحك بما ليس فيك ، فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك .

وأنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قول زهير بن أبي سلمى في هيرم بن سنان

- ١٥ دع ذا ! وعدّ القول في هيرم * خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر
ولأنت أوصل من سمعت به * لنوائل الأرحام والعمر
ولنعم حشو الدرع أنت اذا * دُعيت تزال ولجّ في الدغر
فقال عمر رضى الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضر أبا بكر الصديق رضى الله عنه الوفاة ؛ قالت عائشة رضى الله عنها
وهو يغمض

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمّال اليتامى عصمة للأرامل
فنظر اليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخر

ولو كنت أرضاً كنت ميثاء سهلة * ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء غمامة * ولو كنت يوماً كنت عريسة الفجر
وقال محمد بن هاني

أغير الذى قد خط فى اللوح أبتنى : مديحاً له إني إذا لعنود
وما يستوى وحى من الله منزل * وقافية فى الغابرين شروء

١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمتمم بن نورية صف لى أخاك فإني أراك
تمدحه ، فقال : كان أنى يجبس المزاد بين الصوحين فى الليلة القرّة معقلاً للريح
الخطل ، عليه الشملة القلوب ، يقود الفرس الحرون فيصبح ضاحكاً مستبشراً :
الخطل : الطويل المضطرب ، والقلوب : التى لا تنضم على الرجل لقصرها .

وسأل عبد الله بن عباس صمصمة بن صوحان العبدى عن إخوته فقال : أما زيد
فكما قال أخو عبس

١٥

فتى لا يبالى أن يكون بوجهه * إذا نال خلان الكرام شعوب

ثم قال : كان والله يابن عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأبوة ، جليل القدر ، بعيد
الشر ، كمش العروة ، زين النذوة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

ذاكراً لله تعالى في طَرْفِ النَّهَارِ وزُلْفَا من الليل، الجوع والشَّبع عنده سِيَان، لا منافس في الدنيا، ولا غافل عن الآخرة، يطيل السكوت، ويدبُّ الفكر، ويكثر الاعتبار، ويقول الحق، ويلهج الصدق، ليس في قلبه غير ربه، ولا يهجمه غير نفسه، فقال ابن عباس: ما ظنك برجل سبقه عضو منه إلى الجنة؟ رحم الله زيدا! فأين كان عبد الله منه؟ فقال: كان عبد الله سيِّداً شجاعاً، شيخاً مُطاعاً، خيره وسَّاع، وشره دِفَاع. لئن التحيزة، أحوذَى الغريزة، لايُنْهِنه مُنْهِنه عما أَرَادَ، ولا يركب إلا ما أعتاد، سِمَامُ العدى، فَيَاضُ النَّدَى، صعب المَقَادَة، جزل الرِّفَادَة. أخو إخوان، وفقى فتيان، ثم أنشد شعر حسان بن ثابت

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل * بُمُلْتَقَطَاتٍ لا يرى بينها فصلاً

١٠. قضى فشنى ما في النفوس فلم يدع * لذي إربة في القوم جدًا ولا هزلاً

ودخل ضَرَارُ بن صَمْرَةَ الكِنَانِي على معاوية بن أبي سفيان فقال له: صِفْ لِي علياً فقال له: أوتعفيني؟ فقال: لا أعفيك؟ قال: أما إذ لا بد، فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتطق الحكمة نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خَشُن، كان والله كأحدنا يديننا إذا أتيناها، ويحينا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبةً له، فإن تبسم فعن مثل لؤلؤ منظوم، يُعْظَم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى في باطله، ولا يأس الضعيف من عدله.

وذكر عمرو بن معديكرب بن سليم فقال : بارك الله على حتى بن سليم ما أصدق في الهيجاء لقاءها ! وأثبت في النوازل بلاءها ! وأجزل في الثوابات عطاءها ! والله لقد قابلتهم فما أجبتهم ، وهاجيتهم فما أغمتمهم ، وسألتهم فما أبجلتهم .

وقال بعض العرب : فلان حثف الأقران غداة النزال ، وربيع الضيفان عشيّة النزول .

وقال آخر: فلان ليثٌ اذا غدا ، وبدر اذا بدا ، ونجم اذا هدى . وسُمّ إذا أردى .
ودخل على النعمان بن المنذر بن أمريئ القيس ابن عمرو بن عدى الحمصي فحيّاه بتحية الملوكة ثم قال : أيفانرك ذوفانث وأنت سائس العرب ، وعروة الحسب والأدب ، لأمسك أمين من يومه ! ولعبدك أكرم من قومه ، ولقفاك أحسن من وجهه ، وليسارك أجود من يمينه ، ولظنك أصدق من يقينه ولوعدك أنلج من رفته ، ونخالك أشرف من جدّه ، ولنفسك أمنع من جُنده ، وليومك أزهر من دهره ، ولفترك أبسط من شبره ، ثم قال

نَحْلَتِ

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ * فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَفَرِ

٥٢

مُتَوَجِّعٌ بِالْمَعَالِ فَوْقَ مَقَرِّقِهِ * وَفِي الْوَغَى ضَيْغِمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ

إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَاهُ بِصَارِمِهِ * كَمَا يُحِلُّ زَمَانُ الْحُلِّ بِالْمَطَرِ

١٥

فتلّ وجه النعمان سروراً ، ثم أمر أن يُحشى فوه دزاً وكُيّبَ أبواب الرضى وكانت حجاب أطواقها الذهب بقصب الزمرد . ثم قال النعمان : هكذا فليمدح الملوكة .
وذوفانث : هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يَحْصَب بن مالك وكان النابغة

مُتَّصِلًا بِهِ قَبْلَ اتِّصَالِهِ بِالنَّعْمَانِ ، وَلَهُ فِيهِ مَدَائِحُ كَثِيرَةٌ فَاقْتَصَصَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّعْمَانِ
 أَبْنُ الْمُنْذَرِ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا حُكِيَ أَنَّهُ دَخَلَ حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ عَلَى الْجَفْنِيِّ فَقَالَ : أَنْعَمَ
 صَبَاحًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ! السَّمَاءُ غَطَاؤُكَ ، وَالْأَرْضُ وَطَاؤُكَ ، وَوَالِدِي وَوَالِدَتِي فِدَاؤُكَ ،
 أَتَى يَنَافِسُكَ أَبْنُ الْمُنْذَرِ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ ذَاكَ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَأَمْتُكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ ،
 وَلِظَلِّكَ خَيْرٌ مِنْ شَخْصِهِ ، وَلِصَّمْتِكَ أَبْلَغُ مِنْ كَلَامِهِ ، وَلِشِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ ٥
 قَذَاكَ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ * وَأَمْتُكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذَرِ
 وَيُسْرَى يَدِيكَ إِذَا أَعْسَرْتُ * كَيْمُنِي يَدِيهِ فَلَا تَمْتَرِي
 أَخَذَ الْمَعْنَى الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فَقَالَ

بَابِي أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ غَرِيرٍ * بَدَّ حَسَنَ الْوُجُوهِ حَسَنُ قَفَاكَ
 وَنَظَرَ بَعْضَ الشَّعْرَاءِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ يَمْدَحُ زُبَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ١٠
 الْمَنْصُورِ أُمَ الْأَمِينِ

أَزْبِيدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ * طَوْبَى لَزَائِكَ الْمُنَابِ
 تَعْطِينَ مِنْ رَجْلِكَ مَا * تَعْطَى الْأَكْثَفُ مِنَ الرِّغَابِ
 فَلَمَّا أُنْشِدَ ذَلِكَ تَبَادَرُ الْعَبِيدُ لِيُوقِعُوا بِهِ فَقَالَتْ زُبَيْدَةُ : كَقَوْا عَنْهُ فَلَمْ يَرِدْ إِلَّا خَيْرًا ،
 وَمَنْ أَرَادَ خَيْرًا فَأَخْطَأَ خَيْرَ مَنْ أَرَادَ شَرًّا فَأَصَابَ ، إِنَّهُ سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ : قَفَاكَ ١٥
 أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ غَيْرِكَ ، وَشِمَالُكَ أُنْدَى مِنْ يَمِينِ سَوَاكَ ، فَقَدَّرَ أَنَّ هَذَا مِثْلَ ذَاكَ ،
 أَعْطَوْهُ مَا أَمَلَ ، وَعَرَّفَوْهُ مَا جَهِلَ ؛ وَمِثْلُهُ : مَدَحَ شَاعِرٌ أَمِيرًا فَقَالَ
 أَنْتَ الْهَمَامُ أَبْنُ الْهَمَا * مِ الْوَاسِعِ أَبْنُ الْوَاسِعَةِ
 فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَهَا؟ قَالَ : قَدْ جَرَّبْتُهَا فَقَالَ : أَسْوَأُ مِنْ شَعْرِكَ ، مَا أَتَيْتَ
 بِهِ مِنْ عَذْرِكَ !

قال دخل خالد بن عبد الله العنبري على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فانت قد زيتها ، ومن يكن شرفه فقد شرفتها ، وأنت كما قال الشاعر

وإذا الدّر زان حسنَ وجوه * كان للدّر حسنُ وجهك زينا

٥ فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِيَ صاحبكم مَقُولًا ، ولم يُعْطِ مَقُولًا . ولما دخل عبد الله المأمون بغداد تلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ! بارك الله لنا في مَقْدَمِكَ ، وزادك في نعمتك ، وشكرك على رِعيتِكَ ، تقدّستَ من قبلك ، وأتعبت من بعدك ، وأياستَ أن تُعَايِنَ مثلك ، أما فيمن مضى فلا نعرفه ، وأما فيمن بقي فلا نرجوه ، فنحن جميعا ندعوك ، ونُثْنِي عليك . خَصِبَ لنا جانبك ، وعَدْبَ شراك ، وحَسُنْتَ نُصْرَتُكَ ، وكرُمْتَ مَقْدَرَتُكَ . جبرتَ الفقيرَ ، وفككتَ الأسيرَ ، فانت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

عَلِيّ

مازلت في البذل للنوال وإطلاق لعاف بجرمه عَلِيّ

حتى تمنى البراء أنهم * عندك أمسوا في القَدِّ والحَلَقِ

١٥ وقال رجل للحسن بن سَهْل : لقد صرت لا أستكثر كثيرَكَ ، وإن قليلك أكثر من كثير غيرك . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! المديح كله دون قدرك ، والشعر فيك فوق قدرى . وليكني أستحسن قول العتّابي

ماذا عسى مَادِحٌ يُثْنِي عليك وقد * ناداك في الوحي تَقْدِيسٌ وتَظْهِيرُ

فَتُ الْمَادِحِ إِلَّا أَنْ أَلْسَنًا * مستنطقات بما تخفى الضمائر!

وقال رجل في خالد بن صفوان : قريع المنطق ، جزل الألفاظ ، عربيُّ اللسان ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشبائل ، كثير الطلاوة ، صموتا قوولا ، يَهْنا الحرب ، ويداوى الدبر ، ويفك الحزء ، ويطبق المِفْصَل ، لم يكن بالزمر في مروءته ، ولا بالهذر في منطقته ، متبوعا غير تابع ، كأنه عَلم في رأسه نار .

- وقيل لبعض الخلفاء : إن شَيْب بن شَيْبَة يستعمل الكلام ليستعد به ؛ فلو أمرت به أن يصعد المنبر بُحَاءَةً لَأَقْنَضَح ، قال : فأمر من أخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة ؛ فمنها : الأسد الخادر ، والبحر الزائر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر ، فأشبه منه صولته ومضاؤه . وأما البحر الزائر ، فأشبه منه جُوده وعطاؤه . وأما القمر الباهر ، فأشبه منه نوره وضياؤه . وأما الربيع الناضر ، فأشبه منه حسنه وبهاؤه ، ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بحاجتك ؛ فقال : يبيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ! قال : تكلم بحاجتك ؛ فإنك لا تقدر على مثل هذا المقام في كل حين . قال : والله يا أمير المؤمنين ! ما أستقصر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتم مالك ، وإن عطاءك لشرف ، وإن سؤالك لزين ، وما بأمرئٍ بذل اليك وجهه نقص ولا شين ، فأحسن جائزته وأكرمه .

وقال محمد بن مالك القرطبي من رسالة : ما رأيتُ وجها أسمع ، ولا حلما أرحم ، ولا سجيّة أسمع ، ولا بشرا أبدي ، ولا كفاً أندى ، ولا غرةً أجمل ، ولا فضيلةً أجل ،

ولا خُلُقًا أصفى، ولا وعدًا أوفى، ولا ثوبًا أطهر، ولا سِتْمًا أوفر، ولا أصلًا أطيب،
ولا رأيا أصوب، ولا لفظًا أعذب، ولا عِرْضًا أُنْقَى، ولا بناءً أبْقَى، تَمَّا خَصَّ اللهُ بِهِ
ثالث القمرين، وسِرَاجِ الخافقين، وعِمَادِ الثَّقَلَيْنِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ .

وقال بعض الكُتَّاب : إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنَبِّئِ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ ،
ولا يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ ، ولا يَحْذَرُ أَنْ يَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ ، ولا يَتَّبِعِي بِهِ الْمَدْحُ إِلَى
غَايَةٍ ، إِلَّا وَجَدَ فِي فَضْلِكَ عَوْنًا عَلَى تَجَاوُزِهَا . ومن سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَكَ
لَا يَعْدِمُ كَثْرَةَ الْمَشَايِعِينَ لَهُ ، وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ .

وقال آخر : إِنِّي فِيمَا أُتَعَاطَى مِنْ مَدْحِكَ كَالْمَخْبِرِ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الْبَاهِرِ ، وَالْقَمَرِ
الزَّاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَازِلٍ ، وَأَبْقَنْتَ أُنَى حَيْثُ آتَيْتَنِي بِبَيِّنَاتٍ إِلَى الْعِجْزِ
مَقْصُرٌ عَنْ الْغَايَةِ فَانْصَرَفْتُ عَنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدَّعَاءِ لَكَ ، وَوَكَلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى
عِلْمِ النَّاسِ بِكَ .

وقال أبو عبد الله محمد بن الحياط من رقعة طويلة في المظفر في أولها : حَسْبُ اللَّهِ
عَنِ الْحَاجِبِ الْمَظْفَرِ أَعْيَنَ النَّائِبَاتِ ، وَقَبْضُ دُونِهِ أَيْدِي الْحَادِثَاتِ ؛ فَإِنَّهُ مَذْكَانٌ
أَنُورٌ مِنَ الشَّمْسِ ضِيَاءً ، وَأَكْمَلٌ مِنَ الْبَدْرِ بَهَاءً ، وَأَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ كَفًّا ، وَأَحْمَى مِنَ
اللَّيْلِ أَنْفَاءً ، وَأَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ بَنَاءً ، وَأَمْضَى مِنَ النَّصْلِ لِسَانًا ، وَأَنْجَبَهُ الْمَنْصُورُ بِحُرَى
عَلَى سَنَنِهِ ، وَأَذَبَ فَأَخَذَ بِسُنَّتِهِ ، وَكَانَتْ الرِّيَاسَةُ عَلَيْهِ مَوْقُوفَةً ، وَالسِّيَاسَةُ إِلَيْهِ مَصْرُوفَةً ،
قَصُرَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ كُنْهِ فَضْلِهِ ، وَعَجَزَتْ الْأَقْلَامُ عَنْ وَصْفِ مِثْلِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْفَضَائِلَ
لَا بَدَّ مِنْ نَشْرِهَا ، وَالْمَكَارِمَ لَا عَذْرَ فِي تَرْكِ شِكْرِهَا .

فهذه نبذة كافية مما ورد في المشور فلنذكر ما ورد من المنظوم في ذلك .

قال أبو هلال العسكري : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول :
 امدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر
 ألم تر أن الله أعطاك سُورة ؟ * ترى كُلَّ ملكٍ دونها يتذبذب
 بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبدأ منها كوكبُ

وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة مدح عمرو بن هند
 تكاد تميم الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبة وهو عاتبُ
 هو الشمس وافت يوم سعيد فافضلت * على كل ضوء والملوك كواكبُ
 وقال نصيب

هو البدر والناس الكواكب حوله * وهل يشبه البدر المضيء كواكبُ

وقالوا : أبداع بيت قيل في المديح قول النابغة
 فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المتأى عنك واسعُ
 وقوله : ” أخلاقُ مجدك “ — الأبيات وقد تقدمت — وقد تداول الناس قول النابغة
 * فإنك كالليل الذي هو مُدركي *

فقال الفرزدق

١٥ فلو حملتني الريحُ ثم طلبتني * لكنك كشيءٍ أدركته مقادرةُ
 وقول النابغة أبلغ ، لأن الليل أعم من الريح ، والريح يُمتنع منها بأشياء ، والليل
 لا يُمتنع منه بشيء . وأخذ سلم الخاسر قول الفرزدق فقال
 فانت كالدهر مبهوثا حبائله * والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ
 ولو ملكتُ عنانَ الريحِ أصرفه * في كل ناحية ما فاتك الطلبُ

وقالوا : أجدو شئ قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين والمحدثين
قول أبي العتاهية يمدح الرشيد بن المهديّ وولده

بنو المصطفى! هارون حول سريره * فخير قيام حوله وقعود
تُقلّب الحِصَاصَ المهابة بينهم * عيونُ ظباء في قلوب أسود

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطّمحان القينيّ

أضأت لهم أحسابهم ووجوهم * دجى الليل حتى نَفَّامَ الحَزْغِ نَاقِبُهُ
نجوم سماء كَلَبَا آنَقَضَ كوكبٌ * بدا كوكب ياوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسودٌ * تسير المنايا حيث سارت ككائبُهُ

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بَحِيرُ بْنُ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ ، ابنَ لَأْمِ الطائِي ،

وكان أسيراً في يده ، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جرّ ناصيته ؛ وأول القصيدة

إذا قيل : أى الناس خيرُ قبيلة ؟ * وأصبر يوماً لا توارى كواكبُهُ ؛
فإن بنى لَأْمِ بن عمرو أرومة ، * علت فوق صعبٍ لا تُتال مرابته !

أضأت لهم أحسابهم الأبيات .

ومثله قول ابن أبي السَّمْط

فتى لا يبالى المدبلجون بنسوره * الى بابهِ أن لا تضىء الكواكبُ
له حاجبٌ من كلِّ أمرٍ يَشِينُهُ * وليس له عن طالب العُرف حاجبُ



ومثله قول الحُطَيْثَةِ

نمشى على ضوء أحساب أضأن لنا . * كما أضأت نجومُ الليل للسارة

ومثله قول الآخر

وجوهٌ ، لو أن المدبلجين آعشوا بها * صدعن الدجى حتى يرى الليلُ يخيلي

وقال عيسى بن أوس يمدح الجنيد بن عبد الرحمن

الى مستنير الوجه طال بسؤدد * تقاصر عنه الشاهق المتطاوُلُ
مدحك بالحق الذى أنت أهله * ومن مدح الأتوام حق وباطلُ
يعيش الندى مادمت حياً فإن تمت * فليس لى بعد موتك طائلُ
وما لأمرئى عندى بخيلة نعمة * سواك وقد جادت على تحائلُ

٥

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى

فتى لو ينادى الشمس ألفت قناعها * أو القمر السارى لألقى المقالدا
وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله فى الغلو قول طرئج بن إسماعيل

لو قلت للسيل : دع طريقك والسموج عليه كالهضب يعتلج
لأرتد أوساخ أو لكان له * فى جانب الأرض عنك منرج

١٠

ومن الغلو قول أبى تمام فى المعتصم بالله

يُبْنِ أبى إسحاق طالت يدُ العلى * وقامت قناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أى النواحي أتته * فلجته المعروف والجود ساحله
تعود بسط الكف حتى لو أنه * أراد انقباضاً لم تُطغه أنامله
ولو لم يكن فى نفسه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

١٥

وقال العسكرى

وكيف يبيت الجارُ منك على صدى ؟ * وكفك بحرٌ لجة الجود ساحله

وقال أبو هلال العسكري يرفعه الى الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول : إنكم معاشر أهل الحضرة ، لتخطئون المعنى ، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كأنه الأسد ، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس ، ولم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه ؟ ثم قال : والله لأنشدتك شعرا يكون لك إماما . ثم أنشدني

٥ اذا سألت الورى عن كلّ مكرمة * لم تُلفِ نسبتهإ إلا الى الهول
فتى جوادا أعار النّيل نائله * فالتّيل يشكر منه كثرة النّيل
والموت يرهب أن يلقى منيته * فى شدة عند لف الخيل بالخيّل
لو عارض الشمس ألقى الشمس مظلمة * أوزاحم الصّم أبلهاها الى الميّل
أو بارز الليل غطته قوادمه * دون الخوافى كمثل الليل فى الليل
١٠ أمضى من النجم إن نابته نائبة * وعند أعدائه أبرى من السيل

ومثله قول الآخر

علم الغيث الندى حتى اذا * ما حكاه علم البأس الأسد
فله الغيث مقر بالندى * وله الليث مقر بالجلد

وقال أمية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جُدعان

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الكريم ولا مساء
فارضك أرض مكرمة بتها * بنو تيم وأنت لها سماء

ونحوه قوله

لكل قبيلة شرف وعز * وأنت الرأس تقدم كل هاد

وقال ابن الرومي

قوم يحلون من مجد ومن شرف * ومن غناء محلّ البيض واليَلَب
حلّوا محلّهما من كلّ جُمجمة * نفعا ودفعاً وإطلالاً على الرتب
قوم هم الرأس إذ حسّادهم ذنب * ومن يمثّل بين الرأس والذنب

وقال أبو هلال العسكري

فابشر فإنك رأس والعلی جسد * والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم تك الأيام منقبّة * تسمو اليها ولا للدهر مفتخر

وقال علي بن جبلة

لولا أبو دؤب لم تحي عارفه * ولم ينؤ نوء مأمول بآمال
يا بن الأكارم من عدنان، قد علموا * وتالد المجد بين العم والخال
وناقل الناس من عُدَم إلى جدّة * وصارف الدهر من حال إلى حال
أنت الذي تُزِلّ الأيام منزلها * وتُمسك الأرض عن خسيف وزلال
وما مددت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بآمال وأجال
تزوّر سخطا فتمسى البيض راضية * وتستهلّ قنكى أوجه المال

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول زهير

تراه إذا ما جئته متللاً * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل الممدوح يفرح بغرض يناله ، وليس هذا

صفة كبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي

ولئن فرحت بما يُنيلك إنه * لبما ينيلك من نداء أفرح

ما زال يعطي ناطقا أو ساكنا * حتى ظننت أبا عَقيِلَ يمزح

ومثله قول أبي تمام

أَسْأَلُ نَصِيرَ لَا تَسْأَلُهُ فَإِنَّهُ * أَحْنَى إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ

وقالوا : أمدح بيت قائله العرب قول الحُطَيْبَةِ

مَتَى تَأْتَاهُ تَعْشَوُا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ * تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

وقال القاسم بن حنبل

مَنْ الْبَيْضِ الْوَجْهَ بْنَ سِنَانٍ * لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا آسْتَقَلَّتْ * وَنُورٌ لَا يَغِيْبُهُ الْعَمَاءُ
هُمْ حُلُوهَا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى * وَمِنْ حَسْبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ * وَمَكْرَمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ

وقالوا أيضا : أمدح بيت قيل قول الأول أيضا

قَوْمٌ، سِنَانٌ أَبُوهُمْ حِينَ تَنْسِبُهُمْ * طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلِدُوا
لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرِيمٍ * قَوْمٌ بَعَزَّهُمْ أَوْ مَجْدُهُمْ قَعْدُوا
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَتْ مِنْ نَعِيمٍ * لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا لَهُ حُسِدُوا

وقالوا : أمدح بيت قاله محدث ، قول مروان بن أبي حفصة في معن

أبن زائدة

بَنُو مَطِيرٍ يَوْمَ الْلِقَاءِ كَأَنْتُمْ * أَسْوَدُهَا فِي غِيلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ
هُمْ الْمَنْعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا * لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائَيْنِ مَنَزِلُ
بَهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ * كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمِ، إِنْ قَالُوا أَصَابُوا، وَإِنْ دُعُوا * أَجَابُوا، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

وقال العسكري: وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال: لو أستعمل
الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر وهو

إذا أبو أحمد جادت لنا يده * لم يُحمِد الأجودان: البحرُ والمطرُ
وإن أضأت لنا أنوارُ غُرَّتِه * تضائل النيران: الشمسُ والقمر
وإن مضى رأيه أو جدّ عزمته * تأخّر الماضيان: السيفُ والقدرُ
من لم يكن حَذِرًا من حدّ صولته * لم يدرك ما المزعجان: الخوفُ والحذرُ
حُلُوًّا، إذا أنت لم تبعث مرارته * فإن أمرًا خَلُوْا عنده الصبرُ
سهل الخلائق إلا أنه خَشِنٌ * لَينُ المهزّة إلا أنه حجر
لا حية ذَكَرُ في مثل صولته * إن صال يوما ولا الصمصامة الذَكَرُ
إذا الرجال طغَتْ آراؤهم وعموا * بالأمر ردّ اليه الرأى والنظر
الجود منه عيانٌ لا آرتياب به * إذ جود كلّ جوادٍ عنده خبر

وقال: ومن المديح القليل النظير، قول علي بن محمد الأفوه

أوفوا من المجد والعلياء في قُلَيْلٍ * شُمُّ قواعدهنّ البأس والجودُ
سُبُطُ اللقاء إذا شِمت مخائِلهم * بُسْلُ اللقاء إذا صيد الصناديدُ
مُحْسَدون، ومن يعلق بجلبهم * من البرية يضبح وهو محسودُ

وقالوا: أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة في أبي دُلف

إنما الدنيا أبو دُلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولّى أبو دُلف * ولّت الدنيا على أثره

وهي من القصائد المشهورة، وأولها

زاد ورد النى عن صدره * وأرعوى، واللَّهُم من وطّره

٥

١٠

١٥

٢٠

جاء منها في مدحه

يادواء الأرض إن فسدت * ومجير اليسر من عُسْرِهِ
كل من في الأرض من عَرَبٍ * بين بادية الى حَضْرَةٍ
مستعير منه مكرمة * يكتسيها يومَ مفتخرِهِ
إنما الدنيا أبو دلف *

٥

قال العسكرى : ومن المديح البارع قول بشار

ألا أيها الطالبُ المبتغى * نجومَ السماءِ بسعى أُمِّ
سمعتَ بمكرمةِ ابنِ العلاءِ * فأنشأتَ تطلُّبها لستَ ثمَّ
إذا عَرَضَ الهمُّ في صدره * لها بالعطاء، وضرب الهمِّ
فقل للخليفة إن جئتُه * نصيحاً ولا حيرَ في المَهمِّ
إذا أيقظتك جسامُ الأمورِ * فنبّه لها عُمرًا ثمَّ نَمَّ
فتى، لا يبيت على دِمنة، * ولا يشرب الماء إلا بدمِّ
يحبُّ العطاءَ وسفك الدماءِ * فيغدو على نعيمٍ أو نَقَمِّ

١٠

قال ومن المديح القليل النظير : قول أمانة بنت الجلاح الكلبية

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته * بكلِّ معدى وكلِّ يمانى
وَوَيْهِمْ جوداً وحلماً وسؤدداً * وبأساً، فهذا الأسود بن قنان
فتى، كالفتاة البكر، يُسفرُ وجهُهُ * كأنَّ تلالِي وجهه القمران
أغرَّ أبرَّ أبى نزار ويعربُ * وأوثقهم عَقداً بقول لسان
وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً * وأعلامهم فعلاً بكلِّ مكانٍ .

١٥

وأضرُّهم بالسيف من دون جاريه * وأطعنهم من دونه بسنان

كأنَّ العطايا والمنايا بكفه * سحابانِ مقرونانِ مؤتلفانِ

ومن المدح البارع قول أبي تمام

رأيت لعياش خلأثق لم تكن * لتكحلَّ إلا في اللباب المهذب

له كرمٌ لو كان في الماء لم يَغْضُ * وفي البرق ما شام أمرؤ برق خُلب

أخو عزيماتٍ بذله بذلٌ محسنٍ * إلينا ولكن عذره عذر مذب

يهولك أن تلقاه في صدر محفيلٍ * وفي نحر أعداءٍ وفي قلب موكب

وما ضيقُ أقطار البلاد أضافي * إليك ولكن مذهبي فيك مذهبي

وهذي بنات المدح فأجرر ذبولها * عليك وهذا مركب الحمد فأركب

وقد أحسن التَّنوُّخَ في قوله

وفنية من خيرٍ حُرِّ الطُّبَى * بيض العطايا حين يسودُّ الأمل

شموس مجدي في سموات عُلَى * وأسند موتٍ بين غاباتٍ أسَل

وقالت الخنساء في أخيها صخر



طويل النجاد رفيع العما * دساد عشيرته أمردا

إذا القوم متوا بأيديهم * إلى المجد مدَّ إليه يدا

فقال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مُصْعِدا

فكلفه القوم ما عالم * وإن كان أصغرهم مَوْلدا

تري الحمد يهوى إلى بيته * يرى أفضل الكسب أن يُحمدا

وقال آنر

وَمُضْعِدِ هَضْبَاتِ الْمَجْدِ يَطْلَعُهَا * كَأَنَّهُ لِسُكُونِ الْجَاشِ مَنْحَدُرُ
ما زال يسبق حتى قال حاسدُهُ * له طريقٌ إلى العِلياءِ مُحْتَصِرُ

وقال إبراهيم بن العباس

تَلَجَّ السُّنُونُ بِيُوتَهُمْ وَتَرَى لَهَا * عَنْ بَيْتِ جَارِهِمْ أَزُورَارِ مَنْكَبِ
وَتَرَاهُمْ بِسُيُوفِهِمْ وَشَفَارِهِمْ * مُسْتَشْفِرِينَ لِرَاغِبٍ أَوْ رَاهِبِ
حَامِينَ أَوْ قَارِينَ حَيْثُ لَقِيْتَهُمْ * نَهَبَ الْعَفَاةَ وَنَزَهَةَ لِلرَّاهِبِ

وقال أيضا

إِذَا السَّنَةُ الشَّهَاءَ مَدَّتْ سَمَاءَهَا * مَدَدَتْ سَمَاءً دُونَهَا فَتَحَلَّتْ
وَعَادَتْ بِكَ الرِّيحُ الْعَقِيمُ لَدَى الْقَرَى * لِقَاحًا فَدَزَّتْ عَنْ نَدَاكَ وَطَلَّتْ

وقال ابن الرومي

كَأَنَّ مَوَاهِبَهُ فِي الْمَحْوِ * لَآرَأَوْهُ عِنْدَ ضَيْقِ الْحَيْلِ
فَلَوْ كَانَ غَيْثًا لَعَمَّ الْبِلَادَ * وَلَوْ كَانَ سَيْفًا لَكَانَ الْأَجَلُ
وَلَوْ كَانَ يُعْطَى عَلَى قَدَرِهِ * لَأَغْنَى النُّفُوسَ وَأَفْنَى الْأَمَلِ

وقال أبو الحسن بن أبي البغل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدم

ذكر بعضها لأبن أبي طاهر

إِذَا أَبُو قَاسِمٍ جَادَتْ لَنَا يَدُهُ * لَمْ يُجِدْ الْأَجُودَانِ : الْبَحْرُ وَالْمَطَرُ
وَمِنْ أَضَاءَتِ لَنَا أَنْوَارُ غُرَّتِهِ * تَضَاعَلُ النَّيِّرَانِ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَمِنْ بَدَأَ رَأْيُهُ أَوْ جَدَّ عَزَمَتُهُ * تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ : السِّيفُ وَالْقَدَرُ

ينال بالظن ما كان اليقين به * والشاهدان عليه العين والأثر
كأنه وزمام الدهر في يده * يدرى عواقب ما يأتي وما يذر

وقال ذو الرمة

يطيب تراب الأرض إن نزلوا بها * ويختال أن تعلو عليها المنابر
وما زلت تسمو للعالي وتجننى * جنى المجد مذ شئت عليك المآزر
الى أن بلغت الأربعين فألقيت * اليك جماهير الأمور الأكابر
فأحكمتها لا أنت في الحكم عاجز * ولا أنت فيها عن هدى الحق جائر

وقال الشريف الرضي

يا خرس الدهر عن مقاله * كل زمان عليك متهم
شخصك في وجه كل داجية * ضحى وفي كل مجهل علم

وقال أبو الحسن السلامي

إذا زرتّه لم تلق من دون بابي * حجاباً ولم تدحل عليه بشافع
كجاء الفرات الجلم أعرض وردّه * لكل أناس فهو سهل الشرائع
تراه إذا ما جئتّه متهللاً * تهلل أبكار الغيوث الهوامع

وقال محمد بن الحسين الآمدي

من القوم لما استغرب المحجّد غيرهم * من الناس أمسوا منه فوق الغرائب
إذا سالموا كانوا صدور مراتب * وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
جواد متى ما رامت الريح شأوه * كبت دون مرمى خطوه المتقارب
وبحر ندّى لو زاره البحر حدثت * عجائبه عن فعله بالعجائب

وقال الأصمى : كنتُ بالبادية فرأيتُ امرأةً على قبر تبكي وتقول

فمن للسؤال ومن للتوال * ومن للقال ومن للخطب ؟
ومن للحماة ومن للكفاة * اذا ما الكفاة جنوا للركب ؟
اذا قيل : مات أبو مالك * فتي المكرمات قريع العرب
[فقد مات عز بن آدم * وقد ظهر النكد بعد الطرب^(١)]

قال : فلتُ إليها، وسألْتُها عنه، فقالت : فديتُك ! هذا أبو مالك الحجام، ختن
أبي منصور الحائك، فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب .

وقال العباد الأصفهاني

حيون يخفون إحسانهم * ويعتذرون كان قد اساءوا
اذا أظلم الدهر أعدوا عليه * وإن أظلم الخطبُ يوماً أضاءوا
بمثلكمُ قد أقر الرجال * فمثلكمُ لم تلده النساءُ
وللناس من حسن أيامكم * بدولتكم كل يوم هناء

وقال ايضاً

فَلَا تُؤِينِ عَلَى أَغْرٍ مُجَجِّلٍ * عَرْضُ النَّلاَةِ إِلَى أَغْرٍ مُحْتَجِبٍ
لَيْثُ الْوَغَى غَوَتْ الْوَرَى غَيْثُ النَّدَى * بَدْرُ النَّدَى، نَعَمْ ! وَصَدْرُ الْمَوَكِبِ
وَإِذَا أَسْتَوَى فِي دَسْتِهِ مَالَتْ لَهُ * أَعْنَاقُ كُلِّ مَتَوَجٍّ وَمُعَصِّبٍ
وَتُبِيتَ رَأْفَتُهُ حُقُودَ عِدَاتِهِ * وَتَجَلَّ هَيْبَتُهُ عَقُودَ الْمُحْتَبِ
إِنَّ الْمَمَالِكَ مَا تَزَالُ بِرَأْيِهِ * فِي صَائِبٍ وَيَجُودِهِ فِي صَيْبٍ

(١) الزيادة عن أمالي القالي ج ١ ص ٦٣

يحبوك معتذرا اليك فيها له * من محسن تعرفوه نجمة مذنب

يزهى بأصيل في العلاء محيّم * شرفا وفرج بالكرام مطيّب

وقال أحمد بن محمد النامي

له سورة في البشر تُقرأ في العلا * وثبتت في صُحفِ العطاء وتكتب

إذا ما على أمطرتك سماءه * رأيت العلا أنوازها تتحاب

وأزهر يبيض الندى منه في الرضا * وتعمر أطراف القنا حين يغضب

أمير الندى ما للندى عنك مذهب * ولا عنك يوما للرجائب مرغب

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي

سيد شادت علاه له * في العلا آباؤه النجب

وله بيت يمد له * فوق مجرى الأنجم الطنب

حسبه بالمصطفى شرفا * وعلى حين يتنسب

رتبة في العز شامخة * قصرت عن مثلها الرتب

وقال ابن نباتة السعدي

يرى الشمس أماً والكواكب إخوة * وينظر من بدر السماء الى ترب

غنيث عن الآمال حين رأيته * وأصبح من بين الورى كلهم حسي

فلم أطلب المعروف من غير كفه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب؟

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي

لونيّل بالمجد في العليا منزلة * لنال بالمجد أعنان السموات

يرى الخطوب برأي يستضاء به * إذا دجا الرأي من أهل البصيرات

فليس يلقاه إلا عند عارفة * أو واقفا في صدور السمهرات

وقال أبو طالب المأموني

قد وجدنا خطا الكلام فإساحا * بفعلنا النسيب فيك أمتداحا
وأفضنا ما في الصدور ففاض الـ * ممدح قبل النسيب فيك أنفساحا
وعمدنا الى علاك فصغنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من بهـ * ض مساعيك بالندى أوضاحا
كم كسير جبرته وفقير * مستميج رددته مُستباحا
وأمان تُخرس بسطت لها في القول حتى أعدتهن فإصاحا
وبلاد جوامح رُضتَها بالعزم حتى أنسيتهن الجاحا
شهرت منك آل سامان عضبا * يُججح السعى غربه إنجاحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاء * أن يرى طيف مستميج رواحا

٥

١٠

وقال أحمد بن محمد النامي

أمير العلا إن العوالي كواسب * علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمر عليك الحول، سيفك في الطلى، * وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضى عليك الدهر، فعلك للعلأ * وقولك للتقوى، وكفك للرفد

وقال أيضا

١٥

فتى، قسم الأيام بين سيوفه * وبين طريفات المكارم والتلبد
فسود يوما بالعجاج وبالردى * وبيض يوما بالفضائل والحمد

وقال الصاحب بن عباد

أيها الآملون حطوا سريعا * برفيع الهاد وارى الزناد

فهو إن جاد دُم حاتم طيء * وهو إن قال فل قس إياي
واذا ما ربا فأين زياد * من علاه وأين آل زياد

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة

فنتى مُلكتُ بردتاه عُلّا * ونُبلا وفضلاً ومجداً وخيرا
إذا ضمّه الدّستُ أَلَيْتَه * سحّاباً مطيراً وبدراً مُنيرا
وإن أبرزته ونعى خلتَه * حُسّاماً بتورا ولينا هَصورا
وطورا مُعيداً وطورا مُبيدا * وطورا مجيراً وطورا أميرا
تري في ذراه لسانَ المنى * طويلاً وباعَ الليالي قصيرا
تضمّ الأسرّة منه دُكّاء * وتحمل منه المذاكي شيرا

وقال أبو الطيب المتنبي

يمشى الكرام على آثار غيرهم * وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع
من كان فوق محلّ الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريدة

قد حلّ في مدرج العلياء مرتبة * مطامحُ الشهب عن غاياتها تَفُفُ
أَغْرَى بوصف معاليه الورى شغفاً * لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
إن ناصبته العدا فالدهر معتذر * أو أنكروا فضله فالجحد معترف

وقال السلاحي شاعر اليتيمة

يزور نائلُك العافي وصارمك العصا فتحويها أيدي وأعناق
في كلّ يوم لبيت المجد منك غنى * وثروةً وليت المال إملاق
كم خضت من لجة للنفع زاهرة، * ماء المنون بها - حاشاك - دفاق

وقال المتنبي

أنت الجوادُ بلا منٍّ ولا كديرٍ * ولا مطالٍ ولا وعيدٍ ولا مَلِيلٍ

وقال أبو الفرج البغواء

لاغيثُ نعماءٍ في الوري خَلَبِ السَّبَرِ ولا وِرْدُ جوده وشَلُ
جاد الى أنف لم يُبقِ نائلُهُ * ما لآ ولم يَبْقَ للورى أملُ

٥

وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر اليتيمة

ومَن عودته المكماتُ شمائلًا * فليس له عنها — ولو شاء — ناقلُ
وإن راسل الأعداء فبالجود رُسُلُهُ * اليهم وأطراف العوالى الرسائلُ
عظمتُ، فهذا الدهرُ دونك همةً، * وجُدتَ فهذا القطرُ عندك باخلُ

وقال مؤيد الدين الطغرأتى

١٠

لودبَّ رأيك في كهوبِ قنًا * ما مَسَّها طَنَبٌ ولا خللُ
أو كان ضوءُك للغزاة لم * يَحْجُبُ ضياءَ جبينها الطَّفَلُ
أو كان لَطْعُك في الحياة لما * طافت بها الأسقام والعللُ
أنت الذى لولا علاه عَفَّتْ * طُرُقُ الهدى وأستهم السُّبُلُ
في كلِّ شَعْبٍ من رويته * شُعْبٌ ومن آرائه شَعْلُ
يرتد عنه جنُّ حاسده * فكأنه بالنار يكتحلُ
وجهٌ كيوم الصحو مبسمٌ * ويدُّ كلَّيل الدَّجَنِ تَهْمَلُ
مَسَحَتْ على الأنواء راحته * فانساق منها العارضُ الهطلُ
إن ضنَّ غيثٌ أو خبا قمرٌ * بغبينه ويمينه البدلُ

١٥

وقال ابن الرومي

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات - اذا دجون - نجوم
فيها معالم للهدى ومصايح * تجلّو الدجى والانحرىات رجوم

وقال أبو الطيب المتنبي

- ٥ قوم بلوغ الغلام عندهم * طعن نحور الكفاة لا الحلم
كأنما يولد الندى معهم * لا صغر عاذر ولا هرم
اذا تولّوا عداوة كشفوا * وإن تولّوا صنيعة كتموا
تظن من كثرة اعتذارهم * أنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالتخوف حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحكم
١٠ أوشهدوا الحرب لالحا أخذوا * من مهج الدارين ما احتكوا
أوركبا الخيل غير مُسرّجة * فإن أخذهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيم
أعيذك من صروف دهرهم * فإنه في الكرام متهم

وقال أبيض

- ١٥ ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وآتاه فيما يريد قيام
وكل أناس يبتغون إمامهم * وأنت لأهل المكرمات إمام

وقال أبيض

هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى * وأحسن منه كرم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة

يروح الى كسبِ الثناءِ ويغتدى * اذا كان همُّ الناس كسبُ الدراهم
وإن جلس الأقوامُ عن واجبِ الندى * وحقَّ العطايا كان أولَ قائم
يزيد آتِهاجا كلما زار قاصد * كأنَّ به شوقاً إلى كلِّ قادم

وقال السلاحي شاعرها

تُشبهه المذاح في البأس والندى * بمن لو رآه كان أصغرَ خادم
ففى جيشه خمسون ألفاً كعتير * وأمضى وفى نُحرانه ألف حاتم

وقال أبو طالب الماموني من قصيدة

يُعَمُّ بالهندي حين يسأله * أسودَ الوغى بالضرب فوق العائم
فلا ملكَ إلا ما أفت عروشه * ولا غيث إلا ما أفضت لشائم
ولا تاج إلا ما توليت عقده * على جبهة الملك المكنى بقاسم
فرايك نجم في دجى الليل ناقب * وعزمك عصب في طلى كلِّ ناجم

وقال المشوق الشامي

ما زال يبنى كعبةً للعلی * ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا بها * وقبلوا راحته اليمنى

وقال الماموني من قصيدة

همام يبكى المشرفة ساخطا * ويضحك أباكراً الأمانى راضيا
ولو أنَّ بحرا يستطيع ترقياً * إليه لأمَّ البحرُ جدواه راجيا

ذكر ما قيل في الافتخار

قالوا : أنخر بيت قائله العرب قول جرير

إذا غَضِبْتُ عليك بنو تميم * حسبت الناس كلَّهم غضابا

قال : دخل رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل ؟

قال : من الذين قال لهم الشاعر

إذا غضبت عليك بنو تميم ، البيت .

قال : فمن أيَّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل

يزيدُ بنو سعدٍ على عدَدِ الحصى * وأثقلُ من وزن الجبال حُلومُها

قال : فمن أيَّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

بناتُ بنى عوفٍ طَهَّارَى نقيَّة * وأوجهُهم عند المشاهِدِ غُرَّانُ

قال : فمن أيَّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

فلا وأبيك ما ظَلَمْتُ قُرَيْعٌ * بأن يبنوا المكارمَ حيث شاءوا

قال : فمن أيَّهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

قوم هم الأنف والأذنان غيرُهم * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

قال : آجلس ، لا جلست ، والله لقد خفت أن تفخر على !

وقالوا : أنخر بيت قائله العرب قول الفرزدق

ترى الناس ما سِرنا يسرون خلفنا * وإن نحن أومأنا الى الناس وقَّعوا !

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهلي في الافتخار

ونحن الحاكمون إذا أُطعنا * ونحن العائفون إذا عُصينا !

ونحن التاركون لما سَخَطْنَا * ونحن الاخذون لما رَضِينَا !

وقال إبراهيم بن العباس

إما ترينى أمامَ القومِ متَّبَعًا * فقد أرى من وراء الخيل أتَّبَعُ
يوماً أبيحُ فلا أرى على نَسَب * وأستبج فلا أبقي ولا أدعُ
لا تسألِ القومَ عن حَيِّ صَبَحْتَهُمْ * ماذا صنعت؟ وماذا أهله صنعوا؟

وقالوا : من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة

وما أنا فى نفسى ولا فى عشيرتى * بمهتَظِمٍ حَقٍّ ولا قارعٍ سِئى
ولا مُسلمٍ مولاى عند جنائىة * ولا خائفٍ مولاى من شرٍّ ما أجنى
وأنتَ فؤادى بينَ جنبيَّ عالمٌ * بما أبصرتُ عيني وما سمعتُ أذنى
وفضِّلنى فى الشَّعرِ واللُّبِّ أنى * أقول على علمٍ وأعلمُ ما أعنى
فأصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وأبَنه * على اللاس قد فضلتُ خيرَ أبٍ وأبَنِ

وقال أبو هفان

لعمري لئن بُيعت فى دارِ غُربىة * بناتى إذ ضاقت على المآكلِ
فما أنا إلا السيفُ يا كلُّ جفنه، * له حليَّةٌ من نفسه وهو عاطِلُ

قال أبو هلال العسكري : ولا أعرف فى الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو

فقل لرهير إن شمتَ سَرائنا * فلستنا بشتامين للشتَمِ
ولكننا نأبى الظلامَ ونقتضى * بكلِّ رقيق الشفرتين مصمِّمِ
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا * ونشتمُّ بالأفعال لا بالكلمِ

ومن الافتخار قول السموءل بن عاديا من كلمته التى أولها

إذ المرء لم يدنس من اللؤمِ عِرضه * فكلَّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هولم يحمل على النفس ضيمها * فليس إلى حُسنِ الشناء سبيلُ

وقائلة ما بالُ أُسرَ عاديًا * تُنادي وفيها قلةٌ ومُمولُ
 تُعيرنا أنا قليلٌ عديدا * فقلت لها إن الكرام قليلُ
 وما قلٌ من كانت بقاياهم مثلنا * شبابٌ نَسأى للعلا وكهولُ
 وما ضَرنا أنا قليلُ وجارنا * عزيز وجار الأكرين ذليلُ
 وأنا أناس لا نرى القتلَ سُبَّةً * إذا ما رآته عامرٌ وسَلُولُ
 يُقربُ حُبِ الموتِ آجالنا لنا * ونكرهه آجالهم فتطولُ
 وما مات منا سيدٌ حتفَ أنفه * ولا طلَّ منا حيثُ كان قبيلُ
 نَسيلُ على حدِّ الطُباة نفوسنا * وليست على غير الطُباة تسيلُ
 صفونا فلم نكدر وأخلص سِرنا * إناثٌ أطابت حَمَلنا وغُولُ
 علونا إلى خير الظهور وحطنا * لوقت إلى خير البطون نُزُولُ
 فنحن كجاء المُرِن ما في نِصابنا * كَهَمُّ ولا فينا يُعدُّ بنجِلُ
 ونُكر إن شئنا على الناس قولهم * ولا يُنكرون القول حين نقولُ
 إذا سيد منا خلا قام سيد * قوُولُ لما قال الكرامُ فعولُ
 وما أُنمِدت نارُنا دونَ طارق * ولا ذمنا في النازلين نزِيلُ
 وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غُررٌ معلومة ومُجُولُ
 وأسيافنا في كلِّ شرق ومغرب * بها من قِراع الدارعين قُلُولُ
 معودةٌ أن لا تُسلَّ نِصالها * فتُغمَد حتى يُستباح قَبِيلُ
 سلى إن جهلتِ الناس عنا وعنهم * وليس سِواء عالمٌ وجهولُ
 فإن بنى الديان قطبٌ لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتَجُولُ

٥

١٠

١٥

وقال أبو هلال العسكري من قصيدة

وما ضاع مثلي حيث حلت ركابهُ * بلى حيث ضاع المجد مثلي ضائعُ
ومثلي مخضوعٌ له غير أنه * إذا كان مجهول الفضائل خاضعُ
ومثلي متبوعٌ على كل حالة * فإنَّ ينقلب وجه الزمان فتابعُ

وقال عبد الله بن المعتز

سألتكما بالله هل تعلماني؟ * ولا تكتما شيئاً فعندكما خبري
أأرفع نيرانَ القري لُعفاتِها * وأصبر يومَ الروع في ثُغرةِ الثغري؟
وأسال نيلاً لا يُباد بمثله * فيفتحه بشري ويختمه عُذري؟

ومن الانتحار قول بعض الشعراء، ويروى لحسان بن ثابت من قصيدة أولها

أنسيمُ ريحك أم خيارَ العنبرِ * يا هذه، أم ريحُ مسكٍ أرفي؟
قول لطيفك أن يصدَّ عن الحشى * سطواتِ نيرانِ الأسى، ثم أهجري
وأنهى رؤاك أن يُصنَّ مقاتلي * فينال قومك سطوةً من معشري
إنَّا من النَّفَرِ الذين جِبادُهم * طلعت على كسرى برحِ صرصرِ
وسابنِ تابى ملكٍ قيصرَ بالقنا * وأجتزئ بابِ الدرب لابنِ الأصفرِ
كم قد ولدنا من كريمٍ ماجدٍ * دامى الأظافرِ أربيعَ مُمطرِ
حُلِّقتُ أنامله لُفائِمِ مُرهِفٍ * ولَبِذْلُ مَكْرَمَةٍ وَذِرْوَةٌ مِنْبَرِ
يَلْقَى الرِّيحَ بِوَجْهِهِ وبصدره * وَيُقيمُ هامته مقامَ المِنْفَرِ
ويقول للطرفِ أصطبرِ لشبَا الفدا * فهدمت ركنَ المحيد إن لم تصيرِ
واذا تأمل شخصَ ضيفٍ مُقْبِلِ * مُتسرِّيلِ سِرْبَالِ ثوبٍ أغبرِ
أوما الى الكُوماءِ هذا طارقُ * نَحْرَتِي الأعداءُ إذ لم تُنْحَرِ

١٠

١٥

٢٠

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

حقيقة الجود بذل المال ، قال الله عز وجل : (لَنْ تَأْكُلُوا الرِّحَىٰ تَتَّقُوا مِمَّا كُنْتُمْ بِغِيظِكُمْ يُغْيَبُونَ) وقال تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزيّنوا دينكم بهما » وقال صلى الله عليه وسلم : « تجاوزوا عن ذنب السيخى فإن الله عز وجل أخذ بيده كلما عثر وفانح له كلما آفقر » وقال صلى الله عليه وسلم : « الجود من جود الله تعالى بخودوا يهود الله عليكم » . « ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة » . « ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة » . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس في الدنيا الأتخياء . وقال بعض الحكماء : الجود من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره . وقيل لعمر بن عبيد : ما الكرم؟ فقال : أن تكون بمالك متبرعا، وعن مال غيرك متورعا . ويقال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجود وإيثار ، فالسخاء إعطاء الأقل وإمساك الأكثر ، والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل ، والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك بشيء ، وهو أشرف درجات الكرم ، وبه استحسّنوا شاء الله عز وجل عليهم في قوله : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) . ومن كلام ينسب إلى جعفر بن محمد : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تعجيله ، وتصغيره ، وسره . الجود زكاة السعادة ، والإيثار على النفس موجب لأسم الكرم ، وقال : لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه . قال بعض الشعراء

أعط القليل ولا يمنع قلبه * فكل ما سد فقرا فهو محمود



وقال علي بن الحسين : الكريم يتهيج بفضله ، واللئيم يفتخر بماله .

وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما : أيها الناس من جَاد سَاد ، ومن بُحِل رُدِّل ، وأن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجود ؟ قال : أن تُعطى المال من لا تعرف ، فإنه لا يصير اليه حتى يتخطى من تعرف . ٥

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه : لو لم يكن في الكرم ، إلا أنه صفة من صفات الله تعالى ، تَسَمَّى بها فهو الكريم عز وجل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا" . وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت في بذل المال ، قال : إن الله عز وجل قد عَزَدَنِي بِعَادَةِ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيَّ ، وعودته أن أفاضل على عبادته ، وأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني . وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلب : إنك متلاف ، قال : منع الجود ، سوء ظن بالمعبود . قال الله تعالى : (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) . وقال أكرم بن صيفي حكيم العرب : ذَلُّوا أَخْلَاقَكُمْ لِلطَّالِبِ ، وقودوها الى المحامد ، وعلموها المكارم ، ولا تقيموها على خلق تَدُمُّوْنَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ ، وِصَلُوا مِنْ رَغْبِ الْيَكِّ وتخلوا بالجود يُكْسِبُكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل ، تتعجلوا الفقر ، أخذه شاعر فقال ١٥

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعْجَلْتَهُ * وَأَتَرْتِ لِنِفَاقٍ مَا تَجْمَعُ ؟
فَصَرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتِ الْغَنَى * وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

وكتب رجل من البخلاء الى رجل من الأستخياء يأمره بالإففاق على نفسه ويخوفه الفقر ، فأجابه : (الْشَيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا) وإني أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر لعله لا يقع . ٢٠

وكان سعيد بن العاصي يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا ، فلينفق منه سرا وجهرا ، حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين ، إما لمُصْلِح ، فلا يقل عليه شيء ، وإما لمُفسد ، فلا يبقى له شيء . أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال

أسعد بمالك في الحياة فإنما * يبقى خلافاك مصباح أو مفسد
فاذا جمعت لمفسد لم يُغْنِه * وأخو الصلاح قليله يترد
وقال أبو ذر رضى الله عنه : لك في مالك شريكان ، الحدّثان ، والوارث ، فإن
أستطعت أن لا تكون أبخس الشركاء حظّا فأفعل . وقال بزرجمهر الفارسي :
إذا أقبلت عليك الدنيا ، فانفق منها ، فإنها لا تفي ، وإذا أدبرت عليك ، فانفق

منها ، فإنها لا تبق ، أخذ الشاعر هذا المعنى فقال
لا تبخلنّ بدنياً وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولّت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظن بالله ، ولو أن أهل البخل ، لم يدخل عليهم من ضرّ بُخلهم ، ومذمة الناس لهم ، وإطباق
القلوب على بغضهم ، إلا سوء ظنهم برهم في الخلف ، لكان عظيماً ؛ أخذه محمود
الوراق فقال

من ظنّ بالله خيراً جاد مبتدئاً * والبخل من سوء ظنّ المرء بالله
وقيل لأبي عَقبيل البليغ العراقي : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة
إليه ؟ قال : رأيتُ رغبته في الإنعام ، فوق رغبته في الشكر ، وحاجته الى قضاء
الحاجة ، أشدّ من حاجة صاحِبها .

وقال زياد : كفى بالبخيل عارا، أن اسمه لم يقع في حمد قط .

وقال أسماء بن خارجة : «أحبُّ أن أردَّ أحدا عن حاجة طلبها، لأنه لا يخلو أن يكون كريما، فأصون له عِرْضَه، أولثيا، فأصون عِرْضِي منه .

وقال إبراهيم بن المهدي : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يحفّ بيده قلم، ولا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال، وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبرتني عن الحالة التي خفقت عنك الصَّصَب، وهونت عليك التعب، في القيام بحوائج الناس، ما هي ؟ قال : قد والله سمعتُ [تغريد الطير بالأشجار، في فروع الأشجار، وسمعتُ خفق أوتار العيدان ^(١)] وترجيع أصوات القيان، فما طربت من صوت قط، طرّبي من شاء حسن، بلسان حسن، على رجل قد أحسن، ومن شكر حرّ لمنعم حرّ، ومن شفاعه محتسب، لطالب شاكر، قال إبراهيم : فقلت، لله أبوك ! لقد حشيت كرما . وكان طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري من أجود قريش في زمانه، فقالت له امرأته : ما رأيت قوما ألأم من إخوانك، فقال لها : له ؟ وأنى قلت ذاك ؟ فقالت : أراهم إذا أيسرت أنوك، وإذا أعسرت تركوك، قال : هذا والله كرمهم، يأتوننا في حال القوة عليهم، ويتركوننا في حال العجز عنهم .

وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم، وكتبه في حاجة وماشاه، فوضع الشيخ زجَّ عصاه التي يتوكأ عليها، على رجل سعيد حتى أدماها، فما تأوه لذلك، وما نهاه، فلما فارقه، قيل له : كيف صبرت على هذا منه ؟ فقال : خفت أن يعلم جِنايته، فينقطع عن ذكر حاجته .

ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية

وذكر شيء من أخبارهم

(٦)

والذى انتهى اليهم الجود فى الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى، وهريم بن
سنان المُرِّى، وكعب بن مامة الإيادى، وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم.
وكعب هذا: هو الذى جاد بنفسه، وأثر رفيقه بالماء فى المفازة، ولم يشهر له خبر غير
هذا. وأما حاتم فأخبره مشهورة

منها: أنه كان إذا أشد البرد، أمر غلامه يسارا، فأوقد نارا فى بقاع من
الأرض، لينظر إليها من ضلَّ عن الطريق، وفى ذلك يقول

أَوْقَدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ * وَالرِّيحُ يَا وَاقِدَ رِيحٍ صَرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ * إِنْ جَلَبْتَ ضَيْفًا فَأَنْتَ حَرٌّ

١٠

قالوا: ولم يك حاتم يمسك غير سلاحه وفرسه، ثم جاد بفرسه فى سنة أزمة.

قالت النوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة آقسعرت لها الأرض، وأغربتُفُ السَّما،
وضنَّتِ المراضعُ عن أولادها، لا تَبِضُّ بقطرة، وأيقنَّا بالهلاك، فوالله، إنى لفى ليلة
صَبْرَةٍ، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تَصاغى صَبِيتُنَا جوعا، عبد الله، وعدى، وسفانة،
فقام حاتم الى الصَّبِيِّين، وقت الى الصَّبِيَّة، فوالله ماسكتوا إلا بعد هَذَاة من الليل،
وأقبل يعلَّتى، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلما تهوَّرت النجوم، إذا بشيء قد رفع كسَرَ
البيت، فقلت: مَنْ هذا؟ فوالى، ثم عاد آخر الليل، فقال مَنْ هذا؟ فقلت: جارتك
فلانة، أتيتك من عند صَبِيَّة يتعاونون عوى الذئاب، فما وجدتُ مَعُولًا إلا عليك
أبا عدى، فقال: أعجلهم، فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين،

١٥

ويمشى بجانبها أربع كأنها نعامه حولها رثاءها ، فقام الى فرسه ، فوجأ لبته بمُدِيَةٍ ،
نفر ، ثم كَشَطَ عَنْ جِلْدِهِ ، ودفع المديّة الى المرأة ، وقال : شأنك ، فأَجْتَمَعْنَا على
الحمّ تَشْوِي ، ونأكل ، ثم جعل يأتِيهم بيتا بيتا ، فيقول : هَبُوا عَلَيْكُمْ بالنار ، وآلَتِمْ
بشوبه ناحية ينظر اليها ، لا والله إن ذاق منه مضغّة وإنه لأحوج اليه متاً ، فأصبحنا
وما في الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود ، أنه لما تَرَعَرَعَ ، جعل يُخْرِجُ طعامه فإن
وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ، فلما رأى أبوه ، أنه يهلك طعامه ،
قال له : اَلْحَقْ بِالْإِبِلِ ، فخرج إليها ، فوهب له جارية ، وفرسا وفلّوها .

وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القِصّة كانت مع جدّه سعد بن الحَشْرَجِ ،
فلما أتى حاتم الإبل ، طِفِقَ يَتَنَى الناس ، فلا يجدهم ، ويأتى الطريق ، فلا يجد عليه
أحداً ، فبينما هو كذلك ، إذ بَصُرَ بِرُكْبٍ على الطريق ، فأتاهم ، فقالوا : يافتي ، هل من
قِرَى ؟ فقال : تسألوننى عن القِرَى ؟ وقد تَرَوْنَا الإبل ! وكان الذى بَصُرَ بهم ، عَيْد
أَبْنِ الْأَبْرَصِ ، وبُشْر بن أبى خازم ، والنابعة الذُّبْيَانِيّ ، وكانوا يريدون النعمان ، فتنحروا
لهم ثلاثة من الإبل ، فقال عَيْد : إنما أردنا اللبن ، وكانت تكفيننا بَكْرَةً ، إن كنت
لا بدّ متكلّفاً لنا شيئاً ، فقال حاتم : قد عرفتُ ، ولكن رأيت وجوهاً مختلفة ، وألواناً
متفرّقة ، فظننت أن البلدان غير واحد ، فأردت أن يذكركلّ واحد منكم ما رأى ،
إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعاراً آمندحوه بها ، وذكروا فضله ، فقال حاتم : أردت
أن أُحْسِنَ اليكم ، فصار لكم الفضل علىّ ، وإني أعاهد الله أن أضرب عراقيب
إبلى عن آخرها ، أو تقوموا اليها فتقسموها ففعلوا ! فأصاب كل واحد تسعا وثلاثين
بعيراً ، ومضوا على سفرهم الى النعمان ، وأن أباً حاتم أو جدّه ، سمع بما فعل ، فقال :

أين الإبل؟ فقال : يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجدا وكَرَمًا ، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عَوَضًا من إبلك ، فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أباي فعلت ذلك؟ قال : نعم ، قال : والله لأأسألك أبداً ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتماً ، ومعه جاريته وفرسه وفِلوله . قال : فبينما حاتم يوماً نائم ، إذ أنبته ، وحوله نحو مائتي بعير تجول وتخطم بعضها بعضاً ، فساقها الى قومه ، فقالوا : يا حاتم ، أبقى على نفسك ، فقد رزقت مالا ، ولا تعودن الى ما كنت فيه من الإسراف ، قال : فإنها نهب بينكم ، فاتتهبت ، ثم أقبل ركب من بنى أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتماً ، فقالوا له : إنا تركنا قومنا يُثْنُونَ عليك خيراً ، وقد أرسلوا اليك برسالة ، قال : وما هي ؟ فأنشده الأسديون شعراً ، لعبيد ، وأنشده الليثيون شعراً للنابعة ، ثم قالوا : إنا لنستحي أن نسألك شيئاً وإن لنا الحاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا راجل ، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه ، فاحملوا عليها صاحبكم ، فأخذوها ، وربطت الجارية فلولها بثوبها ، فأفلت فاتبعته الجارية لترده ، فقال حاتم : مالحقكم من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفلول والجارية .

وأما هَرَم بن سنان ، فمن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زُهَيْر إلا أعطاه قتل مال هَرَم ، وكان زُهَيْر يمز بالنادى وفيه هَرَمٌ فيقول : أنعموا صابحاً ما خلا هَرَمًا ، وخير القوم تركت ، قالوا : وكان عبد الله بن جُدعان ، حين كُبر ، أخذت بنو تميم على يده ، ومنعوه أن يعطي شيئاً من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه ، قال له : آدن متي ، فإذا دنا منه لطمه ، ثم قال : أذهب فاطلب لطمتك أو رضى ، فترضيه بنو تميم من ماله ، وفيه يقول الشاعر

والذى إن أشار نحوك لَطْمًا * تبع اللطم نائل وعطاءً

- ومن أخبار الكرام : ما حكى أت خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق، كان
يكثّر الجلوس ثم يدعو باليدرو يقول : إنما هذه الأموال ودائع العرب لابد من تفرقتها ،
فقال ذلك مرة ، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خراسان ، فقام ، فقال :
أيها الأمير إن الودائع تُجمع لا تُفرك ، فقال : ويحك ! إنها ودائع المكارم ، وأيدينا
وكلاؤها ، فإذا أئنا الملقى فأغنيناه ، والظمان فأرويناها ، فقد أذينا فيها الأمانة ، ومرّ
يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من سجن عمر بن عبد العزيز ، وهو يريد البصرة ،
فقدّمت له عتزا فقبلها ، ثم قال لابنه معاوية : مامعك من النفقة ؟ قال ثمانمائة دينار ،
قال : أدفعها إليها ! فقال له أبنه : إنك تريد الرجال ، ولا تكون الرجال إلا بالمال ،
وهذه يرضيها اليسير ، وهى بعد لا تعرفك ، فقال : إن كانت ترضى باليسير ، فانا لا أرضى
إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفنى ، فانا أعرف نفسى ، أدفعها إليها ، فدفعها إليها . ١٠
قال الأحنف : كثرت على الديّات بالبصرة ، لما قُتل مسعود ، فلم أجدها فى حاضرة
تميم ، فخرجت نحو يبرين ، فسألت : من المقصود هناك ؟ فأرسلت الى قبة ، فاذا
شيخ جالس يفئناها ، مؤترر بشملة ، مُحْتَبٍ بجبل ، فسلمت عليه ، وأنشبت له ،
فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : تُوِّى ، قال : فما فعل
عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها ؟ قلت : مات ، قال : فأى خبر ١٥
فى حاضرتمك بعدهما ؟ قال : فذ كرت الديّات التى لزمتنا للأزد وربيعه ، قال :
أقم ، فإذا راج قد أراح عليه بألف بعير ، فقال : خذها ، ثم أراح عليه آخر بمثلها ، فقال :
خذها ، قلت : لا أحتاج إليها ، فأنصرفت بالألف ، والله ما أدرى من هو الى الساعة .
وروى عن معن بن زائدة ، قال : لما هربت من المنصور ، خرجت من
باب حرب ، بعد أن أقمت فى الشمس أياما ، وخففتُ لحيتى وعارضى ، ولبست ٢٠

- جبة صوف غليظة، وركبت جملاً، ونحرت عليه لأمضى الى البادية، قال : فبعني أسوداً متقلد سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس، قبض على خظام الجمل فأناخه، وقبض علىّ، فقلت : ما شأنك؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين فقلت له : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين؟ فقال معن بن زائدة فقلت : يا هذا ! آتق الله وأين أنا من معن؟ فقال : دع هذا عنك، فأنا والله أعرف بك، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول، فهذا جوهر حملته معي، بأضعاف ما بذله المنصور، لمن جاءه بي نخذه ولا تسفك دمي، فقال : هاته، فأخرجته اليه، فنظر إليه ساعة، وقال : صدقت في قيمته، لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك، فقلت : قل، فقال : إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالاً كله ! قلت : لا، قال : فنصفه ! قلت : لا، قال : فثلثه ! قلت : لا حتى بلغ العشر فاستحييت ٥
- وقلت : إني أظن قد فعلت هذا، فقال : ما ذاك بعظيم، أنا والله راجل، ورزقي على أبي جعفر، عشرين درهماً، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك، ولجودك المأثور بين الناس، ولتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك، ولا تعجبك نفسك، ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكثمة، ثم رمى بالعقد إلىّ، وخرى خظام الجمل وأنصرف، فقلت : يا هذا ! قد والله فضحتني، وسفك دمي أهون عليّ مما فعلت، نخذ ما دفعته إليك، فإني عنه في غنى، فضحك، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا، فوالله لا أخذه، ولا أخذ لمعروف ثمناً أبداً، ومضى، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلت لمن جاءني به ماشاء، فما عرفت له خبراً، وكأن الأرض آبلتعه، وكان سبب غضب المنصور علىّ معن ١٥
- أبن زائدة : أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمرو بن هبيرة وأبلى في حربه بلاء حسناً. ٢٠

ويقال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا ، فذحه فَهَشَ وبَشَ له وثني له الوِسَادَة وأضافه ورفده وحمله ، فلما أراد الرجل الرحلة ، لم يخدمه أحد من غلمان وهب ، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله ، فعاتب بعضهم ، فقال له الغلام : إنا أئمان نعين النازل على الإقامة ولا نعين الراحل على الفراق .

وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة اليرموك ، وبها أصيب فأثبتته الجراح ، فاستسقى ماء ، فأثني به ، فلما تناوله ، نظر الى عِكرمة بن أبي جهل صريعا في مثل حاله ، فرد الإماء على الساق ، وقال : أمض الى عِكرمة بن أبي جهل ، فضى إليه ، فأبى أن يشرب قبله ، فرجع الى الحارث ، فوجده ميتا ، فرجع الى عِكرمة ، فوجده قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح ، سنذكر ما استجودناه منها .

فن ذلك ما حكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ، قال : كان ببغداد فتى يُحِبُّ ستة أشهر ، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم ، فقال : ثعلب ؟ قلت : نعم ، قال : فأنشدنى فأنشدته

وإذا مررت بقبْرِه فاعقِرْ به * كُومَ الهِجَانِ وكلَّ طَرَفِ سَابِجِ

وأنضِخْ جوانِبَ قَبْرِه بدمائها * فكذا يَكُونُ أخا دم وذبابِجِ

فضحك ، ثم سكت ساعة ، وقال : ألا قال ؟

أذهباً بي إن لم يكن لكَا عَقْرٌ على تُرْبِ قَبْرِه فاعقِرْ أُنِي

وأنضِحا من دمي عليه فقد كا * ن دمي من نَدَاهِ لو تعلمانِ

ثم رآني يوما بعد ذلك فتأملتني ، وقال : ثعلب ! قلت : نعم ، قال : أنشدني

فأنشدته ٢٠

أعار الجَوْدَ نائِلُهُ * إذا ما ماله نَفَدَا
وإن لَيْثًا شَكَا جُبْنَا * أعار فَوَادَه الأَسَدَا

فضحك، وقال : ألا قال ؟

عَلِمَ الجَوْدَ التَّسْدَى حَتَّى إِذَا * ما حَكَاه عِلْمُ البَّاسِ الأَسْدُ
فَلَهُ الجَوْدُ مَقَرٌّ بالسدى * وَلَهُ اللَّيْثُ مَقَرٌّ بِالْجَلْدِ

٥

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إيراد في الشجاعة والكرم
يجود بالنفس إن ضنَّ الجَوَادُ بِهَا * والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ
وأول من أتى بهذا المعنى علقمة بن عبدة حيث قال

تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُيَادُ بِمِثْلِهَا * فَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ خَصِيْبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني : من جاد بنفسه عند اللقاء ، وبماله
عند العطاء ، فقد جاد بنفسه كليهما . قالوا : وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية
يمدح العباس بن محمد

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا أَبْنَ مُحَمَّدٍ * قُلْ "لَا" وَأَنْتَ مَخْلَدٌ مَا قَالَهَا

إِنَّ السَّمَاحَةَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً * حَتَّى حَلَمْتَ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا

١٥

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرَتْ فِي بَلَدَةٍ * كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هِلَالَهَا

فلم يثبه العباس ، فقال

هَزَزْتُكَ هِمَّةَ السَّيْفِ الْمُحَلَّى * فَلَمَّا أَنْ ضَرَبْتَ بِكَ أَنْثَيْتُ

فَهَبَهَا مِدْحَةً ذَهَبَتْ ضَيَاعًا * كَذَّبْتُ عَلَيْكَ فِيهَا وَأَقْرَيْتُ

فلما سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجهدن في حفته ، قال : فتر

٢٠

أبو العتاهية بإسحاق بن العباس ، وقال له إسحاق : أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ * بمن لا يُفيدُ ولا يرفدُ
ألا تسأل الله من فضله * فإن عطاياه لا تنفدُ
إذا جئت أفضلهم للسؤا * ل ردّ وأحشاؤه ترعدُ
كأنك من خشية للسؤا * ل في عينه الحيّة الأسودُ
فقتز إلى الله من لؤمهم * فإني أرى الناس قد أضلّوا
وإني أرى الناس قد أبرقوا * بلؤم النّعال وقد أرعدوا

٥

ثم مضى ، فقيل لإسحاق : إن هذا الشعر له في أهلك ، فقال إسحاق : أولى له ،
لم عرض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ؟

وقد أورد أبو الفرج الأصفهانيّ خبر هذه الأبيات ، فقال : أمتدح ربعة الرقيّ
العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يُسبق إليها حسنا ، وهي
طويلة يقول فيها

١٠

لو قيل للعباس : يا ابن محمّد * قل "لا" وأنت مغلّد ماقالها
ما إن أعدّ من المكارم خصلة * إلا وجدتك عمّها أو خالها
وإذا المملوك تسأرت في بلدة * كانوا كواكبها وكنّت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولة * حتّى حلت براحتك عقالها

١٥

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين ، كاد
أن يُجنّ غضبا ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ إلى الرقعة ، من
حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربعة ، وأمر من كتب
في ظهرها

مدحتك مِدحة السيف المحلّي * لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مِدحة ذهب ضياعا * كذبت عليك فيها وأقريت
فأنت المرء ليس له وفاء * كأني إذ مدحتك قد زينت

﴿٤٤﴾

ثم دفعها إلى الرسول وقال : ضعها في الموضع الذي أخذتها منه ، ففعل ، فلما

كان من الغد ، أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات ، غضب ، وقام من
وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثرا عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد هم أن يخطب

إليه أخته ، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال ماشأناك ؟ قال : هجاني ربعة الرقي ،

فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماص كذا وكذا من أمه أنهجو عمي ، وأثر خلق الله

عندي ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد آمنتدحته

بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء ،

وأكثر الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ، فلما سمع

الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها

فتلأ عليها ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ؟

فأحضرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها وأستجادها وأعجب بها ، وقال :

والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، ولقد صدق ربعة فبر ،

ثم قال للعباس : كم أثبتة عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وغص بريقه ، فقال

ربعة : أنا بنى عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من المودة

عليه ، فقال : بحياتي يارقي كم أنا بك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أنا بنى

إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سوء

لك ! أية حال قعدت بك عن إنايته ؟ أقله مال ؟ فوالله لقد نولتك جهدي ، أم

انقطاع المال عنك ؟ فوالله ما أنقطعتُ بك ، ام أصلك ؟ فهو الاصل الذى لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ لا ذنب لى ، بل نفسك والله فعلت بك ذلك ، حتى فضحت أجدادك وفضحتنى ، وفضحت نفسك ، فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم ، وخلعة ، وأحمله على بغلة ، ثم قال له : بحياتي لا تذكره فى شيء من شعرك تعريضا ولا تصريحاً ، وفتر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج اليه وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا .

وقال محمد بن هاني

الواهب الألف إلا أنها بدر * والطاعن الألف إلا أنها نسق

تأتى عطاياه شتى غير واحدة * كما تدافع موج البحر بصطفق

وقال الرضى الموسوى

ريان والأيام ظمانه * من الندى نشوان بالإشر

لا يمسك العذل يديه ولا * تأخذ منه نشوة الخمر

وقال أيضا

ذخائره العرف فى أهله * ونزات أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى يمدح عبد الله بن جعدان

أذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك إن شيمتك الحياء

وعلمك بالأمور وأنت قزم * لك الحسب المهدب والسناء

كريم لا يغيره صباح * عن الخلق السنى ولا مساء

إذا أنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال الشَّاحِ بنِ ضَرَّار

نَزُورُ أَمْرٍ يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ * وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمُحَامِدِ يُجَمِّدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ، مَنْ تُعْطِهِ الْيَوْمَ نَائِلًا * بِكَفِّكَ، لَا يَمْنَعُكَ مِنْ نَائِلِ الْغَدِ
تَرَى الْجُودَ لَا يُدْنِي مِنَ الْمَرْءِ حَتْفَهُ * كَمَا الْبَخْلُ وَالْإِمْسَاكُ لَيْسَ بِجُحْدِ
مُفِيدٍ وَمِثْلَافٍ، إِذَا مَا سَأَلْتَهُ * تَهَلَّلَ، وَأَهْتَرَأَهْتَازَ الْمَهْنَدِ
مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ * تَجْدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ
قَالَ : وَلَمَّا سَمِعَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : كَذَبَ ، تِلْكَ نَارُ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقال السريّ الرِّقَاءُ

كَالْفَيْثِ وَاللَيْثِ وَالْهَلَالِ إِذَا * أَقْرَبَ بَأْسًا وَهَجَةً وَنَدَى
نَاسٍ مِنَ الْجُودِ مَا يَجُودُ بِهِ * وَذَاكَ كَرُّ مِنْهُ كَلِمًا وَعَدَا
وقال أبو الفرج الوأواءُ

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَنَامِ فَمَا * أَنْصَفَ فِي الْحَكْمِ بَيْنَ أَشْنَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاحِكًا أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا جَادَ بِأَكْيَ الْعَيْنِ

وقال ابن نباتة السعدى من قصيدة

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَؤْمَلُهُ * تَرَكْتَنِي أَحْصَبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي الْإِعْطَاءِ قَبْلَ السُّؤَالِ

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي : قَبِحَ اللَّهُ الْمَعْرُوفَ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ أَبْتَدَاءً مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ،
فَمَا الْمَعْرُوفُ عَوَضٌ مِنْ مَسْأَلَةِ الرَّجُلِ ، إِذَا بَذَلَ وَجْهَهُ ، فَقَلْبُهُ خَائِفٌ ، وَفَرَاثِصُهُ
تَرْتَدُّ ، وَجَبِينُهُ يَرْتُخِ ، لَا يَدْرِي أَيْرَجُ بِنُجْحِ الْطَلَبِ أَمْ بِسُوءِ الْمُنْقَلَبِ ، قَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ

يتحمل على فراشه ، يعاقب بين شقيقه ، مرة هكذا ، ومرة هكذا ، من حاجته ؟ فخطرتُ
بباله أنا أو غيري ، فثقل أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من حاجته ، ثم عزم على ، وترك
غيري ، قد انتقع لونه ، وذهب دُم وجهه ، فلو خرجتُ له مما أملك لم أكافئه ، ودو
على آمن متى عليه ، اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظ فلا تجعل لي حظاً في الآخرة .

وقال أكرم بن صفي : كل سؤال وإن قل ، أكثر من كل نوال وإن جل .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له إلى منكم حاجة ،
فليرفعها في كتاب ، لأصون وجوهكم عن المسألة .

وقال عبد العزيز بن مروان : ما تأملني رجل قط ، إلا سأله عن حاجته ، ثم كنت
من ورائها .

وقال حبيب

عطاؤك لا يمتني ويستغرق المنى * وتبقى وجوه الراغبين بماها

وقال أيضا

ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهي إذا أفنيتُه عوض

وقالوا : من بذل اليك وجهه ، فقد وفاك حق نعمته .

وقال معاوية لصعصعة بن صوحان : ما الجود ؟ فقال : التبرع بالمال ، والعطاء

قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه

كريم على العلاتِ جزل عطاؤه * يُبذل وإن لم يُعتمد لنوال

وما الجود من يُعطي إذا ما سأله * ولكن من يُعطي بغير سؤال

وقال حبيب الطائي

لئن مجدُّك ما أوليتَ من كَرِّم * إني لنفي اللؤم أمضى منك في الكرم
أنسى أبئسأُكـ والألوانُ كاسفَةٌ * تبسمَ الصبح، في داجٍ من الظلم
رددتَ رونقَ وجهي في صفيحتَه * ردَّ الصَّقالِ صفاءَ الصَّارمِ انلحِمْ
وما أبالي — وخيرُ القولِ أصدقه — * حقنتَ لي ماءَ وجهي أم حقنتَ دمي ٥

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده، إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية » .

وقالوا : حدَّ الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة .

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جيلةٌ نفس أبيّة، قيل له : فما النجدة؟ قال : ١٠
ثقة النفس عند آسترسالها الى الموت، حتى تمجد بفعلها دون خوف .

وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب :
الرجال ثلاثة : فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس : الذي يشد إذا شدوا، والشجاع :
الداعى الى البراز والمجيب داعية، والبطل : الحامى لظهور القوم اذا ولّوا .

قال يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة في أربع ١٥
طبقات، تقول : رجلٌ شجاعٌ، فاذا كان فوق ذلك، قالوا : بطلٌ، فاذا كان فوق ذلك،
قالوا : بهمةٌ، فاذا كان فوق ذلك، قالوا : اليّس .

وقال بعض الحكماء : جسمُ الحرب : الشجاعة، وقلبها : التسدير، ولسانها :
المكيدة، وجناحها : الطاعة، وقائدها : الرفق، وسائقها : النصر .

قالوا : لما ظفر المهلب بن أبي صفرة بالخوارج ، وجّه كعب بن معَدَّان إلى
الحجاج ، فسأله عن بنى المهلب ، فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى يزيد
فارسا شجاعا ، وجوادهم وشيخهم : قَيْصَةُ ، ولا يستحيي الشجاع أن يفتر من
مُدرك ، وعبدُ الملك : سمُّ ناعمٌ ، وحبيبٌ : موتٌ زعافٌ ، ومحمدٌ : ليثٌ غابٌ ،
وكفالك بالمفضل نجدةً ، قال : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال : خلفتهم بخير ،
قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال :
كانوا حُماة السَّرج نهارا ، فإذا أليلوا ففرسان البيات ، قال : فأيهم كان أنجده ؟ قال :
كانوا كالحلقة المفرغة ، لا يُدرى أين طرفُها ، قال : فكيف كنتم أتم وعدوكم ؟
قال : كما إذا أخذنا ، عفونا ، وإذا آجتهدوا ، آجتهدنا فيهم ، فقال الحجاج : (إِنَّ أَلْعَابَةَ
لِلْمُتَّقِينَ) .

١٠

وقالوا : أشجعُ بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس السلمي
أَشَدُّ عَلَى الْكِتَابَةِ لَا أَبَالِي * أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمْ سِوَاهَا ؟
وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلها ، وأوسعوا في ذلك ، فمن ذلك قول المتنبي
شجاعٌ كَأَنَّ الْحَرْبَ عَاشِقَةٌ لَهُ * إِذَا زَارَهَا فَدَنَّتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ
وقال أيضا

١٥

وكم رجالٌ بلا أرضٍ لكثرتهم * تركت جمعهم أرضًا بلا رجلٍ
ما زال طِرْقُك يجرى في دماهم * حتى مشى بك مشى الشارب الثمل
وقال العماد الإصفهاني

قوم إذا لیسوا الحديدَ إلى الوغى * ليس الحِدادُ عدوهم في المهربِ
المُصدِّرون الدَّهْمَ عن وِردِ الوغى * سُقْرًا تُجَلَّلُ بِالْعَجَاجِ الْأَشْهَبِ

٢٠

وقال أبو الفرج البيهقي

واليوم من غَسَقِ الْعَجَاجَةِ لَيْلَةٌ * وَالكَرُّ يَخْرَقُ سَجْفَهَا الْمُدُودَا
وعلى الصَّفَاحِ مِنَ الْكِفَاجِ وَصِدْقِهِ * رَذَعُ أَحَالٍ بِيَاضِهَا تَوْرِيدَا
وَالطَّنُّ يَنْتَصِبُ الْجِيَادَ شِيَاتَهَا * وَالضَرْبُ يَقْدَحُ فِي التَّلِيلِ وَقُودَا
وعلى النفوس من الحِمَامِ طَلَانُوعٌ * وَالْخَوْفُ يَنْشُدُ صَبْرَهَا الْمَقْقُودَا
وأجل ما عند الفوارس حُثًّا * فِي طَاعَةِ الْهَرَبِ الْجِيَادَ الْقُودَا
حتى إذا ما فارق الرأى الهوى * وَغَدَا الْيَقِينُ عَلَى الظُّنُونِ شَهِيدَا
لم يُغْرِغْ غَيْرُ أَبِي شَجَاعٍ وَالْعَلَا * عَنْهُ تَسَاحَى النُّصْرُ وَالتَّأْيِيدَا

٣٦٦

وقال أيضا ورؤى للبحترى

١٠ مِنْ كُلِّ مَنَسِّعِ الْأَخْلَاقِ مَنَسِّمٌ * لِلخُطْبِ إِنْ ضَاقَتْ الْأَخْلَاقُ وَالْحِيلُ
يسعى به البرق ، إلا أنه فَرَسٌ * فِي صُورَةِ الْمَوْتِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ
يلقى الرماحَ بِصَدْرِ مَنْ لَيْسَ لَهُ * ظَهْرٌ وَهَادِي جَوَادٍ مَا لَهُ كَفَلُ

وقال البحتري

معشر أَمْسَكَتْ حُلُومُهُمُ الْأَرْ * صَ وَكَادَتْ لَوْلَاهُمْ أَنْ تَمِيدَا
١٥ فَإِذَا الْجَدْبُ جَاءَ كَانُوا غَيُوثَا * وَإِذَا النِّقْعُ ثَارَ ثَارُوا أَسْوَدَا
وَكُنَّ الْإِلَهِ قَالَتْ لَهُمْ فِي السَّحَرِ كُونُوا حِمَارَةً أَوْ حَبِيدَا

وقال مسلم

لَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَنَةً * مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا
قَوْمٌ إِذَا حَمَى الْوَطِيسُ لَدَيْهِمْ * جَعَلُوا الْجَمَاجِمَ لِلسَّيْفِ مَقِيلَا

وقال آخر

عِقْبَانُ رَوْعٍ وَالسُّرُوجُ وَكُورُهَا * وَلِبُوثُ حَرْبٍ وَالْقَنَا آجَامُ
وَبَدُورُ تَمَّ وَالشَّوَالِكُ فِي الْوَعَى * هَالِائِهَا وَالسَّابِرِيُّ عَمَامُ
جَادُوا بِمَمْنُوعِ التَّلَادِ وَجَوْدُوا * ضَرْبًا تُحَدُّ بِهِ الطُّلَا وَالْهَامُ
وَتَجَاوَرَتْ أَسْيَافُهُمْ وَجِيَادُهُمْ * فَالْأَرْضُ تُمَطَّرُ وَالسَّمَاءُ تُغَامُ

٥

وقال آخر

قَوْمٌ، شَرَابُ سَيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ * فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ دُمُ الْأَشْرَافِ
رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ خِيْلُهُمْ بِمَعَايِرِ * كُلُّ لَكَلٍّ جَسِيمٍ أَمِيرٍ كَافٍ
يَتَحَنَّنُونَ إِلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ * كَتَحَنَّنَ الْأُلُوفُ لِلْأُلُوفِ
وَيَاشِرُونَ ظُبًّا السُّيُوفِ بِأَنْفُسِ * أَمْضَى وَأَقْطَعَ مِنْ ظُبِّ الْأَسْيَافِ

١٠

وقال ابن حيوس

إِنْ تُرْدَ خُبْرَ حَالِهِمْ عَنْ قَرِيبٍ * فَاتَّهِمَ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالٍ
تَلَقَّى بَيْضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مَنَارِ السَّقْعِ، خُضْرَ الْأَكْفَافِ حُمْرَ النَّصَالِ

ومما قيل في الصبر والإقدام

قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُنْهَوُا لِقَاءَ الْعَدُوِّ
وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَاقِبَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا وَاكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِنْ جَلَبُوا وَضَجُّوا فَعَلَيْكُمْ
بِالصَّمْتِ » .

١٥

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ربِّ حياةٍ ، سببها التعرُّض للموت ، وربِّ منيةٍ ، سببها طلبُ الحياة .

وقالوا : أجمع كلمة قبلت في الصبر قول بعضهم : الصبر مطيعة النصر .

وقال آخر : الصبر مطيعةٌ لا تكبو ، وإن عُنِفَ عليه الزمان .

وقال آخر : الصبر شريفةٌ ^(١) ، تمرأريةٌ ^(٢) .

وقيل للهلب بن أبي صفرة : إنك لتلُقي نفسك في المهالك ، فقال : إن لم آت الموت مسترسلا ، أتاني مستعجلا ، إني لست آتى الموت من حُبِّه ، وإنما آتيه من بغضه ، وتمثل بقول الحصين بن الحمام

تأخرتُ أستبقِ الحياةَ فلم أجِدْ * لنفسي حياةً مثلَ أن أتقدِّما

وهي قصيدة مشهورة منها

فلسنا على الأعقابِ تَدْمَى كلومنا * ولكن على أقدامنا تَفْطُرُ الدِّمَا

نفلقُ هاماً من كرامِ أعزَّةٍ * علينا ، وهم كانوا أعقَّ وأظلم

ولما رأينا الصبرَ قد حِيلَ دونه * وإن كان يوماً ذا كواكبٍ مُظْلِم

صبرنا ، وكان الصبرُ منا سحابةً * بأسافنا يقطعنَ ككفا ومِعصما

ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافعي * عمدتُ إلى الأمر الذي كان أحرزنا

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بِسَبَّةٍ * ولا مرتقي من خَشيةِ الموتِ سُلْما

وقالت العرب : الشجاعة وقاية ، والجبنُ مَقْتلة . وكذلك : إن مَنْ يُقْتَل مدبراً ، أكثر من يقتل مقبلاً .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لخالد بن الوليد : أحرص على الموت ،

توهب لك الحياة .

وقالت الحكماء : آستقبال الموت ، خير من آستدباره .

وقال العلوى

محزماً أكفأل خيل على القنا * وداميةً لبأها ونخورها
حرامٌ على أرماحنا طعنٌ مدير * وتندقُّ منها فى الصدور صدورها

وقال أبو تمام

قلّوا ولكتم طابوا فأنجدهم * جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددٌ
إذا رأوا للنيا عارضا ليسوا * من اليقين دروعا مالها زردٌ
ناوا عن المصريح الأذنى فليس لهم * إلا السيوف على أعدائهم مددٌ

وما زالت العرب يتماذحون بالموت قعصاً ، ويتسايون بالموت على الفراش ،
ويقولون فيه : مات فلانٌ حتف أنفه ، وأول من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومدح أعرابى قوما فقال

يقنحمون الحرب كأنما * يلقونها بنفوس أعدائهم

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب : إن يُقتل فقد قُتِل أخوه
وأبوه وعمه ، إنا والله لانموت حتفاً ولكن قعصاً بأطراف الرماح ، وموتاً تحت ظلال

السيوف ، وقال السموع بن عدياء

وما مات منا سيّد فى فراشه * ولا طُلّ منا حيث كان قتيلاً
تسيل على حدّ الطُّبابة نفوسنا * وليست على غير الطُّبابة تسيلُ

وقال أيضاً آخر

وإنا لتستحلّ المنايا نفوسنا * وترك أخرى مُرّة ما نذوقها



وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين ، وقد قيل له : أتقابل أهل الشام بالعداء ، وتظهر بالعشي في إزار ورداء ؟ فقال : أبا الموت تحذونوني ؟ فوالله ما أبالي ، أسقطت على الموت ، أم سقط الموت علي ؟ وقال لأبيه الحسن : لا تدعون أحدا إلى المبارزة ، وإن دعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ ، وللباغ مصرع . وقال رضي الله عنه

* بقية السيف أنمي عددا *

يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ونمى .

- وقال ابن عباس رضي الله عنه : عقت النساء أن تأتي بمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لمهدى به يوم صفين ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وهو يقف على شِرْذِمَةٍ شِرْذِمَةٌ من الناس ، يحضُّهم على القتال ، حتى آتته إلى ، وأنا في كنف من الناس ، وفي أغيلة من بني عبد المطلب ، فقال : يا معشر المسلمين ، تجلبوا السكينة ، وتكلموا الأئمة ، وألقوا السيوف في الأعماد ، وكلموا بالطُّبَّاء ، وصلوا السيوف بالخطأ ، فإنكم بعين الله ، ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاودوا الكر ، وأستحيوا من الفر ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار في الحساب ، وطيبوا على الحياة أنفسا ، وسيروا إلى الموت سيرا مُجْبَعًا ، ودونكم هذا الرواق الأعظم ، فاصبروا ، فإن الشيطان راكب صعدته ، قدموا للوشة رجلا ، وأثروا للتكوص أخرى ، فصمدا صمدا ، حتى يبلغ الحق أجله ، والله معكم ، ولن تركم أعمالكم ، ثم صدر عنا ، وهو يقرأ (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) .

وكان معاوية بن أبي سفيان يتمثل يوم صفين بهذه الأبيات

- أبْتُ لِي شِمْتِي وَأَبَى بِلَاتِي * وَأَخَذَى الْحَمْدَ بِالْثَنِّ الرَّبِيعِ

وإقدامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيخ
وقولى كلما جشأت لنفسى * مكانك تُحمِدى أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات * وأحمى بعد عن عريض صحيح
وقال قطري بن الفجاءة أمير الخوارج

وقولى كلما جشأت لنفسى * من الأبطال ويحك لا تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم * على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا * قنا نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حى * وداعيه لأهل الأرض داعى
وقال عبد الله بن رواحة الأنصارى

يا نفس إن لم تُقتلى تموتى * إن تسلمى اليوم فلا تفوتى
أو تبلى فطالما عوفيت * هذى حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت * إن تفعلى فعلهما هديت
* وإن توليت فقد شقيت *

يريد بقوله

* فإن تفعلى فعلهما هديت *

فعل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب رضى الله عنهما، وكانا قتلا فى ذلك
اليوم بموته . وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه، يخرج كل يوم يصفين حتى
يقف بين الصفين ويُنشد

من أى يومى من الموت أفر * يوم لا يُقدر أم يوم قُدر
فيوم لا يُقدر لا أرهبه * ثم من المقدور لا ينجو الحذر

ومثله قول جرير من قصيدة أولها

* هاجَ الفراق لقلبك المهتاج *

منها

قل للجبان إذا تأخر سرجه * ما أنت من شرك المنية ناجي

٥

وقالت امرأة من عبد القيس

أبوا أن يقرّوا والقنا في نحورهم * ولم يتغفوا من خشية الموت سلماً
ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّة * ولكن رأوا صبراً على الموت أكرماً

وقال حبيب بن أوس الطائي

فأثبتت في مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أنحفصك الحشر
وقد كان فوئ الموت سهلاً فردّه * عليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر
غداً غدوةً والحمد نسج ردائه * فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى * لها الليل إلا وهى من سندس خضر

١٠

وقال

قومٌ إذا لبسوا الحديد حسبهم * لم يحسبوا أن المنية تُخلق
أنظر بحيث ترى السيوف لوامعاً * أبداً وفوق رؤوسهم تتألق

١٥

وقال البغواء

يسعى إلى الموت والقنا قصدٌ * وخيله بالرءوس تنقل
كأنه واثق بأن له * عمراً مقبلاً وما له أجل

وقال كعب بن مالك

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا * قدماً ولحقها إذا لم تلحق

٢٠

ومثله لبعض بنى قيس بن ثعلبة

لو كان فى الألف منّا واحد فدعوا * مَنْ فارسٌ ؟ خالهم إياه يعنونوا
إذا الكماة تتحوا أن يُصيّبهم * حدُّ الطبّاة وصلناها بأيدينا

ومثله قول الآخر

إذا قصُرتْ أسيافنا كان وصلُّها * خطانا الى أعدائنا فتقاربُ

ومثله قول ودّك بن ثُميل المازنى

مَقادِيمُ وصّالون فى الرّوع خطّوهم * بكلّ رقيق الشّفرتين يمانى
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم * لأية حرب أم بائى مكان

وقال أبو تمام فى سعة الخطو

خطّو، ترى الصّارم الهندى متصرا * به، من المازن الخطّى متصفا

وقال آخر

كأن سيوفه صيغت عقودا * تجول على التراب والنحور
وسمر رماحه جعلت هموما * فما يحطرن إلا فى ضمير

وأجود ما قاله محدث فى الصبر قول ابن الرومى

أرى الصبر محمودا وعنه مذاهب * فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب ؟
هناك يحقّ الصبر، والصبر واجب * وما كان منه كالضرورة أوجب
فشدّ امرؤ بالصبر كفاً فإنه * له عصمة، أسبابها لا تقصّب
هو المهرب المتجى لمن أهدقت به * مكاره دهر ليس منهنّ مهرب
لبوس جمال جنة من شماتة * شفاء أسى يلقى به ويشوب

- فياعجبا للشيء هذى خلاله * وتارك ما فيه من الحفظ أعجب
وقد يتظنى الناس أنت أساهم * وصبرهم فيهم طبع مُرْكَبُ
فإنهما ليسا كشيء مُصَرَّف * يصرفه ذو نكبة حين يُنْكَبُ
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسمى * وإن شاء صبرا جاءه الصبر يحلبُ
وليسا كما ظنوها بل كلاهما * لكل لبب مستطاع مسبب
يصرفه المختار منا فتارة * يُراد فيأتى ، أو يُزاد فيذهبُ
إذا احتج محتج على النفس لم تكد * على قدر يُمنى لها نتعبُ
وساعدها الصبر الجميل فأقبلت * إليها له طوعا جنائب مُنجبُ
وإن هو منّا الأباطيل لم تزل * تقاتل بالعتب القضاء وتغلبُ
فِيُضحى جزوا إن أصابت مصيبة * ويمسى هلوها إن تعدّر مطلبُ
فلا يعذرّن التارك الصبر نفسه * بأن قيل : إن الصبر لا يُتَكسَبُ

ذكر ما قيل في وفور العقل

- قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)
قال المفسرون : عبر عن العقل بالقلب ، لأنه محله وسكنه ، وقال تعالى : (وَلْيَذْكُرْ
أُولُو الْأَلْبَابِ) ، وقال تعالى : (وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ
فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول ما خلق الله العقل ، قال
له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، ثم قال : وعزى وجلالى ، ما خلقتُ
خلقا أكرم على منك ، بك آخذ ، وبك أعطى ، وبك أئيب ، وبك أعاقب » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام ،
فمن كنَّ فيه كلَّ عقله ، ومن لم يكن فيه جزء منها ، فلا عقل له » ، قيل : يا رسول الله ،
ما أجزاء العقل ؟ قال : حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على
أمر الله . . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آكتسب رجل مثل فضل
عقل يَهْدِي صاحِبَه الى هُدًى ، ويردّه عن ردى ، وما تمَّ إيمان عبْدٍ ولا استقام
دينُه ، حتى يَكْمَلَ عقله » .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لَتَمِيم الدارى : ما السُّودد فيكم ؟ قال : العقل ،
قال : صدقت ، سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما سألتُك ، فقال كما قلت ، ثم
قال : سألت جبريل ما السُّودد ؟ فقال : العقل .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، بأى شىء يَتَفاضَل
النَّاسُ فى الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قلت : وفى الآخرة ؟ قال بالعقل ، قلت : أليس
إنما يَجزون بأعمالهم ! فقال : « يا عائشة ، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى
من العقل ، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يُجزون » .

وعن سعيد بن المسيَّب : أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، من أعلم الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا :
فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : العاقل ،
قالوا : أليس العاقل من طُهرت مروءته ، وظُهرت فصاحته ، وجادت كفته ،
وعظمت منزلته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) إن العاقل هو التقيُّ وإن كان فى الدنيا خسيساً دينياً .

وورد في الأثر : « أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياء ، فاختار العقل ، فقبل للدين والحياء : آرتفعوا ، قالوا : لا ، قال : أفعصيتما أمرَ ربكما ؟ قالوا : ما عصينا أمرَ ربنا ، ولكنا أمرنا أن نتبع العقل حيث كان » .

وقال لقمان لابنه : إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة ، حسنُ العقل ، لأن العبد إذا حسن عقله ، غطى ذلك عيوبه ، وأصلح مساوئه ، ورضى عنه خالقه ، وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره .

وقيل : مكتوبٌ في حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه ، مالكا للسانه ، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كل شيء يعز إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأغلى ، ولو بيع ، لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضلِهِ ، وأول شرف العقل أنه لا يُشترى بالمال .

قال أبو عطاء السندی

فإن العقل ليس له إذا ما * تذكَّرت الفضائل من كفاء

وقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس بينهما حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا ، فإذا اجتمعا أجابت طوعا أو كرها .

ذكر ما قيل في حدّ العقل وماهيّته وما وصف به

وقد اختلف الحكماء ، في حدّ العقل ، فقيل : حدّه الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلًا ، وقيل : النظر في العواقب ، وقال المتكلمون : هو آسم لعلوم اذا حصلت للإنسان صحّ تكليفه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهواته ، وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم ، وقال عمرو بن العاص : أن يعرف خير الخيرين ، وشرّ الشرين .

قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمثّلت في جميع الخصال ، بأقوام جعلوهم أعلاما فيها ، ففرضوا بها المثل اذا أرادوا المبالغة ، فقالوا : أحلم من الأحنف ، ومن قيس بن عاصم ، وأجود من حاتم ، ومن كعب بن مامة ، وأشجع من بسطام ، وأبين من سحبان ، وأرعى من ابن يقين ، وأعلم من دغغل ، ولم يقولوا : أعقل من فلان ، فلعلمهم لم يستكفوا عقل أحد ، على حسب ما قال الأعرابي ، وقد قيل له : حدّ لنا العقل ، فقال : كيف أحده ولم أره كاملا في أحد قط .

وقيل لحكيم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعا في أحد فأصفه ، وما لا يوجد كاملا فلا حدّ له .

وقالوا : لكلّ شيء غاية وحدّ ، والعقل لا غاية له ولا حدّ ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب .

واختلفوا في ماهية العقل ، كما اختلفوا في حدّه ، فقال بعضهم : هو نور وضعه الله تعالى طبعا وضريرة في القلب ، كالنور في العين وهو البصر ، فالعقل نور في القلب ، والبصر نور في العين ، وهو يتقص ويزيد ، ويذهب ويعود ، وكما يدرك بالبصر شواهد

الأمور، كذلك يُدركُ بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور، وعمى القلب كعمى البصر، قال تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ليس الأعمى من يَمَى بصره، ولكن من عَمِيَتْ بصيرته» .

- وقال عبد الله بن عمر بن معاوية عن عمر بن عُتبة المعروف بالعتيّ: العقل عقلان، عقلٌ تفرّد الله تعالى بصنعه، وهو الأصل، وعقلٌ يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع، فاذا اجتمعَا، قوى كلّ واحدٍ منهما صاحبه، تقويةً النار في الظلمة للبصر .

نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال، ويروى لعلّ بن أبي طالب رضى الله عنه

رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَانِ : * فَطَبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

- ١٠ ولا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ * إِذَا لَمْ يَكْ مَطْبُوعٌ

كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ * وَضُوءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ

وأكثرُ الناس على أَنَّ العقلَ في القلب، ودليله قوله عز وجل : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

- ١٥ وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العقل في القلب يفرق به بين الحقّ والباطل » .

وقال بعضهم : هو في الدماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

وأما ما وُصف به قليل : العقلُ وزير رشيد، وظهير سعيد، من عصاه أَرَدَاهُ، ومن أطاعه أُنْجَاهُ .

وقال سَعِيد بن جُبَيْر : لم تر عيناى أَجَل من فَضْلِ عَقِل يتردَّى به الرجلُ إِن
 أَنكسر جَبْرَه ، وإِن تصدَّع أَنعشَه ، وإِن ذُلَّ أعزَّه ، وإِن أعوجَّ أقامه ، وإِن عثر
 أقاله ، وإِن أفقر أغناه ، وإِن عرى كساه ، وإِن غوى أرشده ، وإِن خاف أتمنه ،
 وإِن حزن أفرحه ، وإِن تكلم صدقه ، وإِن أقام بين أظهر قومٍ أغضبوا به ، وإِن
 غاب عنهم أسفوا عليه ، وإِن بسط يده قالوا : جوادٌ ، وإِن قبضها قالوا : مقتصدٌ ،
 وإِن أشار قالوا : عالم ، وإِن صام قالوا : مجتهد ، وإِن أفطر قالوا : معذور .

قال بعض الشعراء

يُعدُّ رفيعُ القوم من كان عاقلا * وإِن لم يكن فى قومه بحسب
 وإِن حلَّ أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقلٌ فى بلدةٍ بغير

وقال بعض الحكماء : إِذَا غلبَ العقلُ الهوى ، صرفَ المساوئِ الى المحاسن ، فجعل
 البلادةَ حِلما ، والحدةَ ذكاءً ، والمكرَ فطنةً ، والهذرَ بلاغةً ، والعيَّ صمتًا ، والعقوبةَ
 أدبا ، والجُبْنَ حدرا ، والإسرافَ جودا .
 وقيل : لو صوِّرَ العقلُ ، لأضاء معه الليلُ ، ولو صوِّرَ الجهلُ ، لأظلم معه النهارُ .

قال المتنبي

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شَرِّف من الإنسان
 وقد نُدبَ الى صحبة العقلاء .

قال الزُّهرى : إِذَا أنكرتَ عقلَكَ ، فاقدحْهُ بعاقِل . قال ابنُ زُرارةَ : جالسٌ
 العقلاءَ أعداءُ كانوا أم أصدقاءً ، فَإِنَّ العقلَ يقع على العقل .

قال بعض الشعراء

عدوك ذو العقل أبى عليك * وأبى من الوامى الأحمق

وقال آخر

لله دَرُّ العقل من راشِدٍ * وصاحب في اليسر واليسير
وحاكم يقضى على غائب * قضيةً الشاهد للأمرِ
وإنَّ شيئاً بعضُ أحواله * أن يفصل الخير من الشرِّ
له قُوَى ، قد خصّه ربُّه * بخالص التقديس والطُّهرِ

٥

وقال آخر

إذا لم يكن للمرء عقلٌ فإنه * - وإن كان ذا قدر على الناس - هينٌ
وإن كان ذا عقلٍ أُجِّلَ لعقله ، * وأفضلُ عقلٍ من يتبين

وقال آخر

العقلُ حُلَّةٌ خَيْرٌ مِنْ تَسْرِيَلِهَا * كانت له تَشْبَاهُ يغني عن النَّشَبِ
وأفضلُ العقل ما في الناس كُلِّهِمْ * بالعقل ينجو الفتي من حومة العطِي

١٠

وقال ابن دُرَيْدٍ

وأفضلُ قِسْمِ الله للمرء عقلُهُ * فليس من الخيرات شَيْءٌ بِقَارِبُهُ
فَزِينُ الفتي في الناس صَحَّةُ عقله * وإن كان محظورا عليه مَكَاسِبُهُ
ويزرى به في الناس قِلَّةُ عقله * وإن كُرِّمَتْ أَعْرَافُهُ وَمَنَاسِبُهُ
إذا أَكَلَ الرحمنُ للمرء عقلَه * فقد كُتِبَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَآرِبُهُ

١٥

وقال آخر

ما وهبَ الله لأمرئِ هِبَةً * أشرف من عقله ومن أدبِهِ
هما جمالُ الفتي ، فإن عدماً * فإنَّ فَقْدَ الحَيَاةِ أَنْفَعُ بِهِ

وقال آخر

ولم أرَ مثلَ الفقرِ أَوْضَعَ للفَتَى * ولم أرَ مثلَ المالِ أَرْفَعَ للنَّذِلِ
ولم أرَ منْ عُدِمَ أَضْرَّ عَلَى الفَتَى * إذا عاشَ بينَ الناسِ منْ عَدِمَ العَقِلِ

ذكر ما قيل في الصدق

قال الله عزَّ وجلَّ مبشراً للصادقين : (هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تَحَرُّوا الصَّدَقَ ، فإنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنْ الْمَرْءُ لِيَتَحَرَّى الصَّدَقَ ، حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، ما عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قال : الصَّدَقُ ، إِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرًّا ، وَإِذَا بَرَّ آمِنَ ، وَإِذَا آمِنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ . قال : يا رسول الله ما عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ ؟ قال : الْكَذِبُ ، إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ بَغْرًا ، وَإِذَا بَغَرَ كَفَرَ ، وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ النَّارَ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بِمَ يَعْرِفُ الْمُؤْمِنُ ؟ قال : بِوَقَارِهِ ، وَلِينِ كَلَامِهِ ، وَصِدْقِ حَدِيثِهِ . وَمِنْ كَلَامٍ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ : الْإِيمَانُ أَنْ تَوْثَرَ الصَّدَقُ حَيْثُ يَضُرُّكَ ، عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ .

وقال بعض الحكماء : الصَّدَقُ أَزِينُ حَلِيَّةٍ ، وَالْمَعْرُوفُ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ ، وَالشُّكْرُ أَدْوَمُ نِعْمَةٍ . وقال بعضهم : رَأَيْتُ أَرْسَاطًا طَالِيْسَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : أَىَّ الْكَلَامِ أَحْسَنُ ؟

فقال : ما صدق قائله ، قلتُ : ثمّ ماذا؟ قال : ما استحسنه سامعه ، قلت : ثمّ ماذا؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونبيق الحمارِ بمنزلة .

وقال الأحنف لأكبته : يا بنيّ ، يكفيك من شرف الصدق ، أن الصادق يُقبل قوله في عدوه ، ومن دناءة الكذب ، أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه ، لكلّ شيء حليّة ، وحليّة المنطق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظرب العدواني في وصيته : إني وجدتُ صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا ، من لزم الصدق وعوّده لسانه ، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنّه ، إلا جاء على ظنّه .

وقالوا : ما السيف الصارم ، في كفّ الشجاع ، بأعز من الصدق .

- وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعجوز تبع اللبن ، فقال لها : يا عجوز ، لا تغشّي المسلمين ، ولا تشوبى لبنك بالماء ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال يا عجوز ، ألم أعهد إليك أن لا تشوبى لبنك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، فتكلّمتُ بنتٌ لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أمتاه ، أغشّا وحتّنا جمعيت على نفسك ؟ فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أليكم يتزوجها ؟ ففعل الله أن يخرج منها نسمة طيبة ، فقال ابنه عاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أمّ عاصم ، تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر ابن عبد العزيز .

وروى أن بلالاً لم يكذب منذ أسلم ، فبلغ ذلك بعض من يحسده ، فقال : اليوم أكذبه فسايره ، فقال له : يا بلال ما سنّ فرسك ؟ قال عظم ، قال : فما جريه ؟ قال :

يُحْيِضُ مَا اسْتَطَاعَ ، قَالَ : فَأَيْنَ تَنْزِلُ ؟ قَالَ : حَيْثُ أَضْعُ قَدَمِي ، قَالَ : أَبْنُ مِنْ أَنْتَ ؟
قَالَ ابْنُ أَبِي وَائِي ، قَالَ : فَكَمْ أَتَى عَلَيْكَ ؟ قَالَ : لَيْلٍ وَأَيَّامٌ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِعَمْدِهَا ،
قَالَ : هِيَاتِ ، أَعَيْتُ فِيكَ حَيْثِي ، مَا اتَّعَبْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا .

(٦)

ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) . وَقَالَ تَعَالَى :
(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) . وَقَالَ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
إِلَى أَهْلِهَا) . وَقَالَ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) .

وروى : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
عَلَيْكَ بِصَدَقِ الْحَدِيثِ ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ .

كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّيْ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، خَتَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنَتِهِ زَيْنَبَ ، تَاجِرًا تَضَارَبَهُ قَرِيشٌ بِأَمْوَالِهِمْ ، فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ سَنَةً
الْهَجْرَةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ ، عَرَضَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَسْرَوْهُ ، وَأَخَذُوا مَا مَعَهُ ، وَقَدِمُوا بِهِ
الْمَدِينَةَ لَيْلًا ، فَلَمَّا وَصَلُوا الْفَجَرَ ، قَامَتِ زَيْنَبُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَتْ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَجْرْتُ أَبَا الْعَاصِ وَمَا مَعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
قَدْ أَجَرْنَا مِنْ أَجْرَتِي وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ مَا أَخَذُوهُ مِنْهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، فَأَبَى ، وَخَرَجَ
إِلَى مَكَّةَ ، وَدَعَا قَرِيشًا ، فَأَطَاعَهُمْ ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ وَفَيْتُ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، قَدْ أَذَيْتَ الْأَمَانَةَ وَوَفَيْتَ ، قَالَ : أَشْهَدُوا جَمِيعًا ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَمَا مَنَعْنِي أَنْ أَسْلَمَ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا : أَخَذَ أَمْوَالَنَا ، ثُمَّ
هَاجَرَ ، فَأَقْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النِّكَاحِ ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ .

وقيل لَمَّا قَوِيَ أَمْرُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَظَهَرَ، قَالَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى كَاتِبِهِ : إِنَّا نَجِدُ فِي الْكِتَابِ، أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ زَائِلٌ عَنَّا لَا مَحَالَةَ ، وَسَيُظْهِرُ إِلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ ، يَعْنِي وَلَدَ الْعَبَّاسِ ، فَصَرَّ إِلَيْهِمْ ، فَإِنِّي لِأَرْجُو أَنَّ نَتِمَكْنَ مِنْهُمْ ، فَتَنْفَعَنِي فِي مَخْلَفِي ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِي ، فَقَالَ : وَكَيْفَ لِي بِعِلْمِ النَّاسِ جَمِيعًا أَنَّ هَذَا عَنْ رَأْيِكَ ، وَكُلَّهِمْ يَقُولُ : إِنِّي غَدَرْتُ بِكَ ، وَصَرْتُ إِلَى عَدُوِّكَ ؟ وَأَنْشُدْ

أَسْرَ وَفَاءً ثُمَّ أَظْهَرُ غَدْرَةَ * فَنَلِي بِعُذْرِ يَوْسَعَ النَّاسِ ظَاهِرُهُ

ثم قال

وَلَوْ أَنَّ ظَاهِرُهُ لَا شَكَّ فِيهِ * لِلْأَمَةِ وَعُذْرِي بِالْمُعِيبِ

فَلَمَّا سَمِعَ مَرْوَانَ ذَلِكَ ، عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ : إِنَّ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ ، لَا نَفْعَ الْأَمْرَيْنِ لَكَ ، وَأَقْبَحُهُمَا بِي ، وَلَكِ عَلَى الصَّبْرِ مَعَكَ ، إِلَى أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، أَوْ أَقْتَلَ مَعَكَ .

وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمَثَلَ فِي الْوَفَاءِ بِالسَّمْعِ بْنِ عَادِيَاءِ الْأَزْدِيِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ مِنْ وَلَدِ الْكَاهِنِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ ، أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ بْنِ خُجْرٍ ، أَوْدَعَهُ أَدْرَاعًا مِائَةً ، فَأَتَاهُ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ ، وَيُقَالُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شِمْرِ الْغَسَّانِي ، لِيَأْخُذَهَا مِنْهُ ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ السَّمْعُ ، فَأَخَذَ ابْنَهُ لَهُ غُلَامًا وَنَادَاهُ : إِمَّا أَنْ أَسْلَمْتَ إِلَى الْأَدْرَعِ ، وَإِمَّا أَنْ قَتَلْتَ ابْنَكَ ، فَأَبَى أَنْ يَسْلَمَهَا ، فَقَتَلَ ابْنَهُ بِالسَّيْفِ ، فَقِي ذَلِكَ يَقُولُ

وَفَيْتُ بِأَدْرَعِ الْكِنْدِيِّ ، إِنِّي * إِذَا مَا الْقَوْمُ قَدْ غَدَرُوا وَفَيْتُ

وَأَوْصَى عَادِيَاءَ يَوْمًا بِأَنْ لَا * تَهْدُمَ يَاسْمَعُ مَا بَنَيْتُ

وفيه يقول الأعشى

كن كالسموئل إذ طاف الهامُ به * في جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
الأبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءٍ مِثْلُهُ * حِصْنِ حَصِينٍ وَجَارٍ غَيْرِ غَدَارِ
قد سامه خُطَّتِي خَسَفَ فَقَالَ لَهُ : * قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ إِنِّي سَامِعٌ حَارِ
فَقَالَ : ثَكُلَ وَغَدَرَ أَنْتَ بَيْنَهُمَا * فَأَخْتَرْتُ وَمَا فِيهِمَا حِطٌّ لِمُخْتَارِ
فَارٍ غَيْرِ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : * أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي

٥

ومن وفاء العرب، ما فعله هاني بن مسعود الشيباني، حتى جرّ ذلك يوم ذى قار،
وكان من خبره : أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجى منه
ولا ملجأ، رأى أن يضع يده في يده، فادّفع ماله وأهله عند هاني، ثم أتى كسرى
فقتله، وأرسل إلى هاني يطالبه بوديعة النعمان، وقال له : إن النعمان كان عاملي،
فابعث إلى بوديعة، وإلا بعثت إليك بيجنود تقتل المقاتلة وتُسبي الذرية، فبعث إليه
هاني: أن الذي بلغك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحد رجلين، إما رجل
استودع أمانة، فهو حقيق أن يردها على من استودعه إياها، وإن يسلم الخزائمانته،
أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول عدوّ، فبعث كسرى إليه
الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكتيبة الشهباء
والأساورة^(١)، فلما آلتقوا، قام هاني بن مسعود، وحرّض قومه على القتال، وجرى
بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسنذكرها إن شاء الله في وقائع العرب،
فانتصر هاني وأنهزم الفُرسُ، وكانت وقعة مشهورة، قيل : وكان مرداس في سجين
عبيد الله بن زياد بن أبيه، فقال له السجّان : أنا أحبّ أن أوليك حسنة، قال :
فإن أذنت لك في الانصراف إلى دارك أفتدليج علي؟ قال : نعم، فكان يفعل ذلك به،

٢٠

(١) الأساورة: جمع أسوار بالضم والكسر وهو فائد الفرس .

فلما كان ذات يوم، قتل بعض الخوارج صاحبَ شرطة آبن زياد، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج، وكان مرداس إذ ذاك حارجا، فقال له أهله : أتق الله في نفسك، فإنك مقتول إن رجعت، فقال : ما كنت لألقى الله غادرا، وهذا جبار، ولا آمن أن يقتل السجّان، فرجع وقال للسجّان : قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لئلا يلحقك منه مكروه، فقال له السجّان : خذ أى طريق شئت، فأنج نفسك .

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب^(١) الى بعض جبايين الشام، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبكي، فجاء سليمان ينظر إليها، فقال لها يزيد، وقد عجب سليمان من حسنها : يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت الى القبر، وقالت

فإن تسألاني عن هواي فإنه * يحوماء هذا القبر يفتيان
وإني لأستحييه والترُّبُ بيننا * كما كنتُ أستحييه وهو يراني

ومن أحسن الوفاء، ما حكى عن نائلة بنت القرافصة زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فردّته، وقالت : ما يعجب الرجال مني؟ قالوا : ثاياك، فكسرت ثاياها، وبعثت بها الى معاوية، فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء كلب . وأمرأة هذبة لما قُتل زوجها، قَطَعَتْ أنفها وشفَتَيها، وكانت جميلة الوجه، لئلا يرغب فيها .

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة، فلنذكر بيعة خليفة ويمين، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه، وهى : تباع عبد الله الإمام أمير المؤمنين، بيعة طوع وإيثار ورضا واختيار واعتقاد وإظهار وإعلان وإسرار وإخلاص من طويتك وصدق من نيتك،

(١) الجبايين جمع جباة .

وأنشراح من صدرك، وصحة من عزيمتك، طائعا غير مُكْرَه، ومنقادا غير مُجْبَر، مقرا
 بفضلها، مُدْعِنَا بِحَقِّهَا، ومَعْتَرِفَا بِرِكَتِهَا، وَمُعْتَدًا بِحَسَنِ عَائِدَتِهَا، وَعَالِيًا بِمَا فِيهَا،
 وفي توكيدها من صلاح الكفاة، واجتماع كلمة الخاصة والعامة، ولم الشَّعْبِ، وأمن
 العواقب، وسكون الدِّهْمَاءِ، وَعِزَّ الْأَوْلِيَاءِ، وَقَعَّ الْأَعْدَاءِ، على أن فلانا عبد الله
 وخليفته المفترض عليك طاعته، الواجب على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام
 بحقه، والوفاء بعهده، لَا تُشْكُ فِيهِ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ، وَلَا تُدَاهِنُ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا تَمِيلُ،
 ولكلَّك وَلِيَّ أَوْلِيَائِهِ، وعدو أعدائه، من خاص وعام، وقريب وبعيد، وحاضر
 وغائب، متمسك في بيعته بوفاء العهد، وذمة العقد، سريرتك مثل علايتك،
 وضميرك فيه وفق ظاهرك، على أن إعطائك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إياها
 في عنقك، لفلان أمير المؤمنين، على سلامة من قلبك، وأستقامة من عزمك،
 وأستمرار من هواك ورأيك، على أن لا نتأول عليه فيها، ولا تسعى في نقض شيء
 منها، ولا تقعد عن بصرة له في الرءاء والشدة، ولا تدع النصيح له في كل حال راهنة
 وحادثه، حتى تلقى الله موفيا بها، مؤديا للأمانة فيها، إذ كان الذين يبايعون ولاة
 الأمر وخلفاء الله في الأرض (إِمَامًا يُبَايَعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَرَأَيْنَاهُ
 يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) عليك بهذه البيعة التي طوقتها عنقك، وبسطت لها يدك،
 وأعطيته ما شرط عليك فيها، من وفاء، ونصح، وموالة، ومشايعة، وطاعة،
 وموافقة، واجتهاد، ومبالغة، عهد الله إن عهده كان مسئولا، وما أخذ الله على
 أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عبادته من وكالات موافقه،
 ومُحْكَمَاتِ عَهْدِهِ، وعلى أن تُمسِكَ بِهَا، فلا تُبَدِّلَ، وتستقيم، فلا تَمِيلَ، وإن نكثت
 هذه البيعة، وبدلت شرطها من شروطها، أو عقيت رسما من رسومها، أو غيرت

٥

١٠

١٥

٢٠

- حكماً من أحكامها، معلناً أو مسراً، محتالاً أو متاولاً، أو زُغْتَ عن السبيل التي يسلكها من لا يحتقر الأمانة، ولا يستحل الغدر والخيانة، ولا يستجيز حلّ العقود والعهود، فكلّ ما تملكه من عين أو ورق، أو آنية أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة، والأموال المدخرة، صدقة على المساكين، يحزم عليك أن ترجع شيئاً من ذلك إلى مالك، بحيلة من الحيل، على وجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو مخرج من مخرج الإيمان، فكلّ ما تنفذه عمرك من مال يقلّ خطره أو يميل فتلك سبيله إلى أن تنفوك [ميتك، أو يأتيك^(١) أجلك، وكل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى أو تملكه إلى آخر أيامك أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونساؤك يوم يلزمك الحنث وما تترج بعدهن مدة بقاءك طواق ثلاثاً، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية فيها ولا رجعة، وعليك المشي إلى بيت الله الحرام، ثلاثين حجةً حافياً راجلاً، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفاً ولا عدلاً، وخذلك يوم تحتاج إليه، وبرأك من حوله وقوته، وأجلّك إلى حولك وقوتك والله عز وجلّ بذلك شهيد (وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا) والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

- قال الله تبارك وتعالى : (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) . وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الْمُخَضَّبِينَ) قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض متواضعاً .

(١) الكلام الذي يتدبّر بهذا المربع ينتهي في صحيفة ٢٥٠ بمربع مثله وهو ساقط بالأصل ويقع

في صحيفة (٧٣ و ٧٤) وقد قلنا من النسخة الراعية .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يوم حُتِنَ على حِمَارٍ، خَطَّامُه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن العفو لا يزيد العبد إلا عزًّا فاعفُوا يعزِّكم الله ، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رِفْعَةً فتواضعوا يرفعكم الله ، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يزدكم الله » . وقال عروة ابن الزبير: التواضع أحد مصاديد الشرف ، وفي لفظ "سَلَمَ الشرف" . وقال جعفر بن محمد : رأس الخير التواضع ، فقيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك وأن تُسَلِّمَ على من لَقِيت ، وأن تترك المِرَاءَ وإن كنت مُحِقًّا .

وعن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المِرَاءَ فيه وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة ، وقيل: التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد ، وقيل : التواضع كالوَهْدَةِ يجتمع فيها قَطْرُهَا وقَطْرُ غَيْرِهَا . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علما ، كما أن المكان المنخفض أكثرُ الأماكِن ماءً .

وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع المأثور ما روى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ويده على المَعْلَى بن الجارود فلقيه امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر، فوقف لها ، فقالت له : كنا نعرفك مرة عُمَيْرًا ثم صرتَ بعدَ عُمَيْرٍ عُمَرًا ثم صرتَ بعدَ عُمَرَ أميرَ المؤمنين فاتقِ الله يا بنَ الخطَّابِ ، فانظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد ، قرب عليه

البيد ، ومن خاف الموت ، خشى القوت ، فقال لها الملقى ، إيهآ ، إليك يا أمة الله
لقد أبكيت أمير المؤمنين ، فقال له عمر أتدري من هذه ؟ ويحك ! هذه خولة بنت
حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فعمرُ أخرى أن يسمع قولها ويقتدى به . وقال
عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ، قال : ذلك أبعد من الكبر
وأسرع الى الحاجة . وقال عمر رضى الله عنه وقد قيل له مثل هذا : أنجح للحاجة
وأبعد من الكبر . أما سمعت قوله عز وجل ؟ (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ
صَوْتِكَ)

وقد مدح الشعراء أهل التواضع ، فن ذلك قول أبي تمام حبيب
مُتَبَدِّلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ * متواضع في الحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

وقال آخر

متواضع والثُّبُلُ يَحْرُسُ قَدْرَهُ * وأخو النباهة بالنباهة يَنْبُلُ

وقال البحرى

دَنَوْتَ تَوَاضِعًا وَعُلُوَّتَ مَجْدَا * فشاناك آنحدارُ وأرتفاعُ
كذلك الشمسُ تبعدُ أن تُسَامَى * ويدنو الضوء منها والشُعَاعُ

وقال أبو محمد التيمى

تواضعَ لما زاده الله رِفْعَةً * وكلُّ رفيع قدره متواضعُ

وقال آخر

دَنَوْتَ تَوَاضِعًا وَعُلُوَّتَ قَدْرًا * ففبك تواضعٌ وعُلوَّ شانٍ

ذكر ما قيل في القناعة والزهادة

جاء في تفسير قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القناعة مال لا ينفد " . وقال عليه السلام :
 " مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ " . ومن كلام علي رضي الله عنه : كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن الخلق نعيما .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علي بن موسى : القناعة تجمع الى صيانة النفس ، وعز القدرة طرح مؤونة الاستكثار والتعب لأهل الدنيا ، ولا ملك طريق القناعة إلا رجلان ، إما متقلل يريد أجر الآخرة ، أو كريم يتزهر عن آثام الدنيا .

وقال الرازي : القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحا ، والشير لا يعيش إلا تعباً نصباً في خوف وأذى .

وقال بعض الحكماء : عزّ الزهادة أحبّ الى من فرح الفائدة ، والصبر على العسرة أحبّ الى من آحتمال المنّة . وقال أبو ذؤيب الهذليّ
 والنفس رغبة إذا رغبتهَا * وإذا تُردُّ الى قليل تنفع

وقال سالم بن وامضة

غنى النفس ما يكفيك في سدّ فاقة * فإن زاد شيئا عاد ذاك الذي فقرا

وقال أبو هلال العسكري

ألا إنّ القناعة خير مال * لدى كرم يروح بغير مال

وإن يصبر فإن الصبر أولى * بمن عثرت به تُوبُ الليالى
تَجَمَّلُ إن بُليت بسوء حالٍ * فإن من التَّجَمُّلِ حسن حالٍ .

ذكر ما قيل فى الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما يوجب

الزيادة .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا يُزهدك فى المعروف من لا يشرك
عليه ، فقد يشرك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد يدرك من شكر الشاكر ،
أكثر مما أضع الكافر ، (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

ومما تعزیه الفرس الى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة لأنه يبقى وتلك تفتى .

وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يفكه إلا المكافأة أو الشكر ، وقال : قلة الشكر
تُزهد فى أصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر . وقيل : للشكر
ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافأة اليد . قال الشاعر
أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقال يحيى بن زياد الحارثى بن كعب

حلفتُ ربَّ العيس تهوى برَّكِها * الى حرِّم ما عنه للناس معيدُ
لما يبلغ الإنعام فى النفع غاية * على المرء إلا مبلغ الشكر أفضلُ
ولا بلغت أبداً المُنيلين بسطةً * من الطول إلا بسطةُ الشكر أطولُ

ولا ثقلت في الوزن أعباء مئة * على المرء إلا مئة الشكر أنقل
فمن شكر المعروف يوما فقد أتى * أبا العرف من حسن المكافاة من عل
وقال رجل من غطفان

الشكر أفضل ما حاولت ملتَمِسًا * به الزيادة عند الله والناس

وقال أبو بجيلة

شكرتك إن الشكر حبل من التقي * وما كل من أوليته نعمة يقضي
ونبهت لي ذكري وما كان خاملاً * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وقال آخر

سأشكرُ عمرًا ما تراخت منيتي * أبادي لم تُمنن وإن هي جلت
ففي غير محبوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قدى عينيه حتى تجلّت

وقال أبو تمام

كم نعمة منك تسرّبتُها * كأنها طُرة بُرد قشيب
من اللواتي إن وني شاكر * قامت لمُسديها مقام الخطيب

وقال أبو عيينة بن محمد بن أبي عتبة المهلب

يا ذا اليمين قد أوليتني مِنًا * تترى هي الغاية القُصوى من المين
ولستُ أسطيع من شكرٍ أجيء به * إلا أستطاعة ذي جِسم وذى بدن
لو كنتُ أعرف فوق الشكر منزلة * أوفى من الشكر عند الله في الثمن
أخلصتها لك من قلبي مُهذبة * حذوا على مثل ما أوليت من حسن

قالوا وأجود ما قيل في عِظَم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح
ابن إسماعيل

سِعْتُ أَبْتِغَاءَ الشكرِ فَمَا صَنَعْتَ لِي * فَقَصَرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ
لَأَنْكَ تُؤَلِّسُنِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً * وَأَنْتَ لَمَّا أَسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَافِرُ
فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بَالِي * لَهَا أَوَّلُ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَآخِرُ
وقال دعلج

هَجَرْتُكَ لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ * وَلَا لِقَلِّ أَبْطَأْتُ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ
وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ رَاغِبًا * فَأَفْرَطْتُ فِي بَرٍّ عَجِزْتُ عَنْ الشكرِ
فَلَنْ لَا آتِيكَ إِلَّا تَعَدَّرًا * أَوْزَلْتُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا وَفِي الشَّهْرِ
وقال البحرى

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ إِسْمَاعِيلَ فِي تَعِبٍ * مِنَ الْعَلَا وَالْعَلَا مِنْهُمْ فِي تَعِبٍ
أَبْثُ شَكَرِي فَأَمْسِي مِنْكَ فِي نَصَبٍ * أَقْصِرْ فَمَالِي فِي جَدِّوَالِكَ مِنْ أَرْبٍ
لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ * شَكَرِي وَلَوْ كَانَ يُسَدِّدُهُ إِلَى أَبِي
لَمَّا سَأَلْتُكَ وَأَفَانِي نَدَاكَ عَلَى * أَضْعَافِ شَكَرِي فَلَمْ أَظْفَرْ وَلَمْ أَخْبِ
وقال أيضا

إِنِّي هَجَرْتُكَ إِذْ هَجَرْتُكَ وَخَشَةً * لَا الْعَوْدُ يَذْهَبُهَا وَلَا الْإِبْدَاءُ
أُحْجَلِنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ * مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
وَقَطَعْنِي بِالْجُودِ حَتَّى إِنِّي * مُتَحَوِّفٌ أَنْ لَا يَكُونَ لِقَاءُ
صِلَةً غَدَتْ لِلنَّاسِ وَهِيَ [قَطِيعَةٌ] * عَجَبًا وَرِّاحٌ وَهُوَ جَفَاءُ
لِيُؤْصِلَنَّكَ رَكْبٌ شَعِيرٌ سَائِرٌ * بِرُؤْيِهِ فَيْكَ لِحْسَنِ الْإِعْدَاءِ

حتى يتم لك الثناء مُحَلِّداً * أبدا كما تمت لك النعماء
فتظل تحسدك الملوك الصيدين * وتظل تحسدني بك الشعراء

وقال الحسن بن هاني

قد قلت للعباس معتذراً * من عظم شكره ومعتزلاً
أنت أمرؤ جلتني نعماً * أوهت قوى شكرى فقد ضعفاً
لا تُسدين إلى عارفة * حتى أقوم بشكرها سلفاً

وقال الحسين بن الضحاک للوائق من أبيات

إذا كنت من جدواك في كلِّ نعمة * فلا كنت إن لم أفنِّ عُمرى بشكركا

وقال البحرى

إذا أنا لم أشكر لنعماك جاهداً * فلا نلت نعمى بعدها تُوجب الشكرا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إني لشاكر أمسه ووليّه * في يومه ومؤمل عنه غداً

وقال آخر

وكيف أنساك ؟ لا نعاك واحدة * عندى ولا بالذى أوليت من قديم

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلت على المتوكل ، فقال لى : قد هممنا أن نصلمك ،

فتدافعت الأمور ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه

قال : من لم يشكر للهمة ، لم يشكر للنعمة ، وأنشدته قول الباهل

لأشكرنك معروفا هممت به * إن أهتأمت بالمعروف والمعروف

ولا ألومك إن لم يُمِضْه قدرٌ * فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

وقال ابن الرومي

كم من يدٍ بيضاء قد أسديتها * تنني إليك عَنان كلِّ وِدَادٍ
شَكَرَ الإلهُ صنائعاً أوليتها * سَلَكَتْ مع الأرواح في الأجسادِ

وقال آخر

وأحسنُ ما قالَ أمرؤُفِكِ مِدحة * تَلَاقَتْ عليها مِنهُ وَقَبُولُ
وشَكَرُ كَأَن الشَّمْسَ تَعْنِي بِنَشْرِه * ففى كُلِّ أرضٍ مُّخْبِرٌ ورسولُ

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجة رفعته اليها ، أو ثروة أفدته ليأها ، فإن شكرى لك على مهجة أحييتها ، وحُشاشة أبقيتها ، ورمق أمسكته ، وقت بين التلّف وبينه ، ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ يُلْتَمَسُ إليه ، ومدى توقّف عليه ، وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي فاتت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت كلّ قدر ، وأتت من وراء كلّ غاية ، وردت عنّا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، نلجأ منها الى ظلّ ظليل ، وكَنيف كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغُ جهد المجهود .

وقال الشريف الرضى

ألبستنى نِعْماً على نعيم * ورفعت لى علماً على عَلمٍ
وعلوت بى حتىّ مشيتُ على * بُسُطٍ من الأعناق والقَمِيمِ
فلاشكرنّ يدىك ما شكرت * خُضِرُ الرِّياضِ مَصانِعَ الدِّيمِ
فالحمدُ يُبْقِي ذِكْرَ كُلِّ قَتَى * وَيُبينُ قَدَرَ مَوَاقِعِ الكَرَمِ
والشكرُ مَهْرٌ للصَّيعةِ إِنْ * طُلِبَتْ مُهورُ عَقائِلِ النِّعمِ

وقال أبو الحسن الكاتب المغربي .

سأشكر نعماك التي أنبسطت بها * يدي ولساني فهو بالتجديد ينطق
وأثني بما أوليتني من صنعة * ومن منية تفدو على وتطرق
وكل أمرئ يرجو نذاك موفق * وكل أمرئ يثني عليك مصدق

وقال ابن رشيق القيرواني

خُذْ ثَنَاءً عَلَيْكَ غِبَّ الْأَيْدَى * كَثْنَاءِ الرَّبِّ عَلَى الْأُمُطَارِ
سَقَطَ الشُّكْرُ وَهُوَ مُوجِبٌ نَعْمًا * لَكَ سُقُوطُ الْأَنْوَاءِ بِالْإِثْمَارِ

ومن المُتَعَمِّين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة، أبلغ منه بالنطق باللسان،
وعاقب على ذلك بالجرمان .

١٠ فن ذلك مارواه أبو هلال العسكري يسنده إلى العتبي قال: أراد جعفر بن يحيى حاجة
كان طريقه إليها على باب الأَصْمَعِيِّ، فدفَعَ إلى خادَمٍ له كيساً فيه ألف دينار
وقال: إني سأنزل في رَجْعتي إلى الأَصْمَعِيِّ، ثم سيعدثنِي وَيُضِحِكُنِي، فإذا ضَحِكتُ،
فضع الكيسَ بين يَدَيْهِ، فلما رَجَعَ، ودخل إليه، رأى حُبًّا مَكْسُورَ الرَّأْسِ، وَجَرَّةً
مَكْسُورَةَ الْعُنُقِ، وَقِصْعَةً مَشْعَبَةً، وَجَفْنَةً أَعْشَارًا، ورآه على مُصَلٍّ بَالٍ، وعليه بَرَنْكَانٌ^(١)
أَجْرُدٌ، فغمز غلامه أن لا يضع الكيسَ بين يديه، فلم يدع الأَصْمَعِيُّ شيئاً مما
يُضْحِكُ الْكِلَانَ وَالْغَضَبَانَ إلا أوردته عليه فلم يتبسّم، ثم خرج، فقال لرجل يسايره:
من آسَرَ عِي الذُّبْ ظَلَمَ، ومن زَرَعَ السَّبْخَةَ حَصَدَ الْفَقْرَ، إني والله لما علمت أن
هذا يَكْتُمُ الْمَعْرُوفَ بِالْفِعْلِ، ما حَفِلْتُ بنشره له باللسان، وأين يقع مديح اللسان

(١) الحُبُّ : الجَرَّةُ الضَّخْمَةُ . (٢) الْبَرَنْكَانُ على وزن زعفران : ضرب من الأكسية .

من آثار العيان؟ إن اللسان قد يكذب ، والحال لا تكذب ، والله در نُصِيب حيث يقول

فَعَا جُوا فَأَثَنُوا بِالذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبرويز ، أمدح لأبرويز من زهير لآل سنان ؟

وقالت الحكماء : لسان الحال ، أصدق من لسان الشكوى .



وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال

حَالِي تَبُوحٌ بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ * فَكُلُّ مَا تَدْعِيهِ غَيْرُ مُرَدُودٍ

كَلِّيْ هِجَاءً ، وَقَتْلِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ * فَمَا يَدَاوِيكُمْ مَنِّي سِوَى الْجُودِ

وقالوا : شهادات الأحوال ، أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز

رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وعد المؤمن كأخذ باليد » .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الوعد مرض في الجود ، والإنجاز دواءه .

ومن كلامه : المستول حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ ، وَمُسْتَرْقٌ بِالْوَعْدِ حَتَّى يُحْجِزَ .

وقال الزهرى : حقيق على من أزهى بالوعد ، أن يُثْمَرَ بالفعل .

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بن سميل حاجة ، فقال : أشرَّفك

اليوم بالوعد ، وأحبوك غدا بالإنجاز ، فإني سمعتُ يحيى بن خالد يقول : المواعيد

شبكة من شباك الكرام ، يصيدون بها محاميد الأحرار ، ولو كان المُعْطَى لا يعد ،

لَا كَرْتَفَعَتْ مَفَاخِرُ إِنْجَازِ الْوَعْدِ ، وَتَقْصُ فَضْلُ صَدَقِ الْمَقَالِ .

وقال الأبرش الكلبي لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلى معروف

حتى تَعِدَنِي ، فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد ، إلا هان على قَدْرِهِ ، وَقَلَّ مَنِّي

شكره، فقال له هشام : لئن قلت ذلك ، لقد قال سيد أهلك أبو مسلم الخولاني :
أنجعُ المعروف في القلوب ، وأبرده على الأبداد ، معروف منتظر من وعد لا يكدر
بالمطل .

وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجة إلا بوعده .

وقالت أعرابية لرجل : مالك تعطى ولا تعد ، فقال : مالك والوعد ؟ قالت ينفسح
به البصر ، وينشر فيه الأمل ، وتطيب بذكره النفس ، ويرى به العيش ، وترى به
المدح بالوفاء .

قيل : كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال : عده عني قضاءها ،
قال : وما يدعوك أعزك الله الى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال يحيى : هذا قول
من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ، إن الحاجة إن لم تتقدمها بوعده ينتظر به
نبحها ، لم تجاذب الأنفس بسرورها ، ولم تلتذ بتأملها ، وإن الوعد تطعم ، والإنجاز
طعام ، وليس من فاجأه طعام ، كمن وجد رائحته ، وتمطق له وتطعمه ، ثم طعمه ،
فدع الحاجة تحم بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع اليه حسن موقع ، ولطف محل .
وقال عيسى بن ماهان : إني أحب أن أهب بلا وعد ، وأحب أن أعد ، لأرجح
من جملة المخلفين ، وأدخل في عدد الوافين ، ويؤثر عني كرم المنجزين ، فإن من
سبق فعله وعده ، وُصف بكرم فرد ، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال ذكر العباس المأمون فقال : إنه ألقح معروفه عندي بالوعد ، ونتجه بالنجح ،
وأرضعه بالزيادة ، وشيئه بالتمهد ، وهرمه باستتمامه من جهاته ، وهناه بترك
الامتنان به .

وشكا رجلٌ جعفرَ بن يحيى لأبيه : أنه وعده وعدا ومطله به ، فوقع : يا بُنَيَّ ، أتم معاقل الأحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى ، فكونوا سواءً في الأقوال والأفعال ، فإن الحرَّ ، يَدْنِرُ وعدَ الحرِّ ويعتقده وينفقه قبل ملكته ، فإن أخفق أمله ، كان سببا لدمه وأتاهم وسوء ظنه ، حتَّى يوارى قُبْعُ ذلك حُسْنِ يقينه ، فَأَنْجِزِ الوعد ، وإلا فَأَقْصِرِ القول ، فإنه أَعْذِرُ والسلام .

قال : كَلَّمَ المأمون في الحسين بن الضحَّاك الخليع أن يرَدَّ عليه رزقه ، فقال : أليس هو القائل في الأُميين

فلا فَرِحَ المأمونُ بِالْمُلْكِ بَعْدَهُ * ولا زال في الدُّنيا طَرِيدًا مشردا

فما زالوا يتلطفون معه في القول ، إلى أن أُذِنَ له أن يُنْشِده ، فأنشده

أَنْ لِي فَنِي قَدْ ظَمِئْتُ إِلَى الْوَعْدِ * متى تُنْجِزِ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْعَهْدِ ؟
أُعِيدُكَ مِنْ صَدِّ الْمُلُوكِ وَقَدْ تَرَى * تَقْطَعُ أَنْفَاسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ
فَمَا لِي شَفِيعٌ عِنْدَ حَسَنِكَ غَيْرِهِ * ولا سَبَبٌ إِلَّا التَّمَسُّكُ بِالْوُدِّ
أَيَحْتَلُّ فَرْدَ الْحُسَيْنِ فَرْدَ صِفَاتِهِ * عَلَيَّ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ يَهْوَى وَحْدِي
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ * فَلَتَكَّهُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

فقال له المأمون : هذه بتلك ، وقد عفونا عنك فقال : يا أمير المؤمنين ، فأتبع عفوك إحسانك ، فأمر بردَ أرزاقه عليه ، وكانت في كلِّ شهر تَحْسِينًا دِينَارٍ ، فقال المأمون : لولا أَنِّي نَوَيْتُ عَفْوَ عَنْهُ ، وَجَعَلْتُ ذَلِكَ وَعْدًا لَهُ مِنْ قَبْلِ ، مَا فَعَلْتُهُ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْوَعْدَ فِي تَشْبِيهِهِ يَذْكُرْنِيهِ .

وقال بعض ملوك العجم : البخل بعد الوعد ، يَضَعُفُ قَبْحه على البخل قبله ، فما قولك في أمرٍ ، البخل أحسن منه ؟

وقال بعض الشعراء

ولى منك مَوْعِدٌ طَلَبْتُ نَجَاحَهُ * وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تُخْلِفُ الدَّهْرَ مَوْعِدًا
وَعَوْدَتِي أَنْ لَا تَزَالَ تُظِلُّنِي * يَدُكَ مِنْكَ قَدْ قَدِمْتَ مِنْ قَبْلِهَا يَدًا
فَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَوْ نَدَى أَوْ فَضِيلَةً * تُخَلِّدُ شَيْئًا كُنْتَ أَنْتَ الْخَالِدًا



وقال بشار

وَعَدَ الْكَرِيمُ بِحُثِّ نَائِلِهِ * كَالْفَيْثِ يَسْبِقُ رَعْدَهُ مَطَرُهُ

وقال ابن الرومي

يَتَغَطَّى الْعِدَاءُ عَمْدًا إِلَى الْبَدْنِ * لِ كَسَحِ الْحَيَا بِلَا إِيْمَاضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

قال الله عز وجل : (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره ، فيقول له : جعلت لك جاها ، فهل نصرت به مظلوما ، أو وقعت به ظلما ، أو أعنت به مكروبا ؟ » وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له » وقال : « الخلق عيال الله ، فأحبهم إليه ، أنفعهم لعياله » .
وقال : « الشفيعُ جناحُ الطلب » .

وقيل : قصد ابن السَّامِكِ الواعظ رجلا في حاجةٍ لرجلٍ سأله الشفاعة فيها ، فقال ابن السَّامِكِ : إني أيتك في حاجةٍ ، وأن الطالب والمطلوب اليه عزيران إن قضيت الحاجة ، وذليلان إن لم تُقَضَّ ، فأختر لنفسك عزَّ البذل ، على ذلِّ المنع ، وأختر لي عزَّ النُّجْحِ ، على ذلِّ الرَّدِّ ، ففضي حاجته .

قال أبو تمام

وإذا أمرتُ أَسْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً * مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ مَالِهِ
وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسلون إليك بغيرك ، يسألون معروفك ،
ويشكرون غيرك ، وأنا أتوسل إليك بك ، ليكون شكى لك لا لغيرك .

قال بعض الشعراء

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعَةً * فلا خير في ود يكون بشافع

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيتُ جماعةً من أهل الأدب قد ألحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح ، كالحمدوني
في تذكركه ، وغيره ، فلذلك أضفته إليه ، وجعلته من فصوله . قال الله عز وجل :
(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اعتذر إليه أخوه
المسلم ، فلم يقبل ، لم يرد على الحوض » .

وقال علي رضي الله عنه : أولى الناس بالعفو ، أقدرهم على العقوبة . وقال :
العفو زكاة الظفر . وقال : إذا قدرت على عدوك ، فاجعل عفوك عنه شكر
المقدرة عليه .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لا تعاجل الذنب بالعقوبة ، وأجعل بينهما
للاعتذار طريقاً . وقال : أوسع ما يكون الكرم بالمغفرة ، إذا ضاقت بالذنب المعذرة .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شفع المذنب إقراره ، وتوبة المحرم الاعتذار .
وقالوا ما أذنبت من اعتذر ، ولا أسى من استغفر .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يا بني لا يعتذر اليك أحد من الناس ، كأننا من كان ، في أي جرم كان ، صادقا كان أو كاذبا ، إلا قبلت عذره ، فكفاك بالاعتذار برأ من صديقك ، وذلا من عدوك .

قال بعض الشعراء

فإن كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزهّدن عند التجاوز في الأجر

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : الاعتذار ذلة ، ولا بد منه ، لأن الإصرار على الذنب ، فيما بينك وبين خالقك هلكة ، وفيما بينك وبين صديقك فُرقة ، وعند سائر الناس مثلبة وهجنة ، فعليك به ، إذا وقعت الذنب ، وقارفت الجرم ، ولا تستنكف من خضوعك وتذلل فيك فيه ، فربما آستير العز من تحت الذلة ، وأجتنى الشرف من شجرة النذلة ، وربّ محبوب في مكروه ، والمجدُّ شهد يُحتنى من حنظل .

قال : ومما خُصّ به الاعتذار أن الحق لا يثبت لباطله ، والحقيقة لا تقوم مع تخيله وتمويهه ، وأن ردّه لا يسع مع الكذب اللائح في صفحاته . وقالوا : لا عذر في ردّ الاعتذار ، والمعتذر من الذنب ، كمن لا ذنب له ، وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره .

قال بعضهم : كنت بحضرة عبيد الله بن سليمان ، فوردت عليه رقعة من جعفر ابن توبة ، نسختها : قد فتحت لظلم بآبك ، ورفعت عنه حجابك ، فأنا أحاكم الأيَّام الى عدلك ، وأشكو صُروفها الى فضلك ، وأستجير من لؤم غلبتها بكم قدرتك ، وحسن ملكك ، فإنها تؤخرني اذا قدّمت ، وتحرمني اذا قسّمت ، فإن

أعطت أعطت يسيرا، وإن آرتجعت آرتجعت كثيرا، ولم أشكها الى أحد قبلك، ولا أعددت الانتصاف منها إلا الى فضلك، ولى مع ذمام المسألة لك، وحق الظلام اليك، ذمام تأمليك، وقدم صدق في طاعتك، والذي يملأ من النصفة يدى، ويفرغ الحق على، حتى تكون لى محسنا، وأكون بك الى الأيام مقربا، أن تخطئى بخواص خدمك الذين نقلتهم من حد الفراغ الى الشغل، ومن الجمول الى النباهة والدكر، فإن رأيت أن تعذبني فقد آستعديت اليك، وتتصرني فقد عذت بك، وتوسع لى كنتك فقد أويت اليه، وتسمنى بإحسانك فقد عولت عليه، وتستعمل يدى ولسانى فيما يصلحان له من خدمتك، فقد درست كتب أسلافك وهم القدوة فى البيان، وأستضأت بأرائهم، وآتفتوت آثارهم آفتفاء جعلنى بين وحتى الكلام وأيسسه، ووقفنى منه على جادة متوسطة، يرجع اليها العالى، ويلحق بها المقتصر التالى، فعل إن شاء الله . قال : فعل إن شاء الله ! قال : بفعل عبيد الله يرددها ويستحسنها؛ ثم قال : هذا أحق بديوان الرسائل .

ومن الاستعطاف : ما حكى أن محمد بن الحنفية، جرى بينه وبين أخيه الحسين، كلام آقترقا بسببه متغاضبين؛ فلما وصل محمد الى منزله، كتب الى الحسين رقعة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أذكره، أبونا على، لا أفضلك فيه ولا تفضلنى، وأتى امرأة من بنى حنيفة، وأتمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمى ما فین بأتمك، فاذا قرأت رعتى هذه فألبس رداك ونعليك وتعال لتترضانى، وإياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام . فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء الى محمد وترضاه .

وقيل : وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتذرا : قد تقدمت طاعتك ونصيحتك ، فإن ثبت منك هفوة فلن تغلب سيئةٌ حسنتين .

وقال شاعر

إرضَ للسائل الخضوعَ وللقا * رفِ ذنباً مَذلةً الإعتذارِ

قال أبو هلال العسكري : لم يُروَ عن أحد قبل النابغة الذبيانيّ الاعتذار شعر ؛ فمن أجود ما روى له فيه ، قوله حين سعى به المنخلُ اليشكرُ إلى النعمان ، وزعم أنه غشى المتجرّدة حظية النعمان ، وذلك حين وصفها النابغة في شعره فقال

وإذا لمستَ ، لمستَ أخمَ جاماً * متحيزاً بمكانه ملءَ اليدِ

وإذا طعنتَ ، طعنتَ في مستهدف * رابى المجسة بالغير مقرمِد

وإذا نزعْتَ ، نزعْتَ من مستحِصِف * نزعَ الحزور بالرشاء المحصدِ

فقال المنخلُ للنعمان : هذا وصفٌ من ذاقها ، فوفر ذلك في نفس النعمان ، ثم وفد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قُريظ ، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها ، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة ، فعرفه بذلك عصام حاجب النعمان ، وهو الذي قيل فيه

* نفسِ عصامِ سودتْ عصاما *

١٥

فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان ، فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ؛ ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم ، فحسدهم عليه وأمنه وراسله في المصير إليه ، فأناه وجعل يعتذر بما قذف به ومن مدحه لآل غسان فقال

حلفتُ فلم أترك لنفسي رِيبةً * وليس وراء الله للبرِ مذهبُ

لئن كنت قد بلغت عني جناية * لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبيح أخا لا تلمه * على شعث! أي الرجال المهذب؟
فإن أك مظلوما، فبعد ظلمته * وإن تك ذا عتبي، فمتلك يعتب
يقول : مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتبا، وفي كرمك ما يفعل ذلك، ولك
العتي والرجوع الى ما تحب . ومنه قوله أيضا للنعمان

أنا في أبيت اللعن ! أنك لمني * وتلك التي تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناه * وذلك من تلقاء مثلك رائع
فبت كأي ساورتني ضئيلة * من الرقيش في أياها السم نافع
لكففتي ذنب امرئ وتركته * كذي العريكي غيره وهو رائع

الى أن قال

فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذب * ولا حلفي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشيء أقوله * وأنت بأمر لا محالة واقع
فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المتأى عنك واسع

وقال أيضا

أثبت أن أبا قابوس أوعدني * ولا قرار على زار من الأسد
مهلا، فداء لك الأقوام كلهم، * وما أئمر من مال ومن ولد
لا تصدقني بركن لا كفاء به * وإن تأففك الأعداء بالرفد^(١)
ما قلت من سيئ مما أثبت به * إذا فلا رفعت سوطي الى يدي
قال : نفع عليه النعمان خلع الرضى، وكنت حبرات خضرا مطرقة بالجوهر .

(١) أي لم تبرح تفريك .

قال العسكري : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحترى ، فن
اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها

* لوت بالسلام بنانا خضيبا *

قال منها

(٧٩)

فدينك من أى خطب عرى * ونائبه أوشكت أن تتوبا
وإن كان رأيك قد حال في * وأوليتني بعد شر قطوبا
يريدنى الشئ تانى به * وأكبر قدرك أن أستريا
وأكره أن يتحدى على سبيل أغـترارٍ فالقى شـموبا
أكذب نفسى بأن قد سنخت * وما كنت أعهد ظنى كذوبا
ولولم تكن ساخطا لم أكن * أذم الزمان وأشكو الخطوبا
أصبح ودّى فى ساحتك ^(١) طرفا ومرعاه محلا جديا
وما كان سنختك إلا الفراق * أفاض الدموع وأشجى القلوبا
ولو كنت أعرف ذنبالما كا * ن خالجنى الشك فى أن أتوبا
سأصبر حتى ألاقى رضا * ك إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصح * وأنظر عطفك حتى يشوبا

وقوله

عذيرى من الأيام رتقن مشربى * ولقيتني نحسا من الطير أشاما
وأكسبتني سنخت أمرى بـت مؤهنا * أرى سنخته ليلا مع الصبح مظاما
تبلى عن بعض الرضى ، وأنطوى على * بقية عتب شارفت أن تصرما
إذا قلت يوما : قد تجاوز حدها * تلبث فى أعقابها وتلو ما
وأصيد إن نازعته الطرف رده * قليلا ، وإن راجعته القول جمعا

(١) الطروق : الماء الذى خوضه الإبل وبولت فيه .

ثناه العدا غنى، فأصبح مُعْرِضًا * ووهمه الواشون حتى توهما
وقد كان سهلا واضحا فتوَعَّرت * رباه، وطلقا ضاحكا فتجهما
أمتخذُ عندى الإساءة محسنٌ * ومتقم منى أمرؤ كان مُنما
ومكتسبٌ فى الملامة ماجد * يرى الحمد غنًا والملامة مغرما
يُخَوِّفى من سوء رأيك معشرٌ * ولا خوف إلا أن تجور وتظلما
أعيزك أن أخشاك من غير حادثٍ * تَبَيَّنَ، أو جُرم إليك تقدما
السُّتُ الموالى فيك نظم قصائدٍ * هى الأنجم أفتادت مع الليل أنجما؟
أعد نظرا فيما تسخطت، هل ترى * مقالا دينيًا أو فعلا مذمما؟
وكان رجائى أن أووب مملكا * فصار رجائى أن أووب مسلما
حياء فلم يذهب بى النى مذهباً * بعيدا، ولم أركب من الأمر مُعْظما
ولم أعرف الذنب الذى سؤتى له * فاقْتَلَ نفسى حسرةً وتتدما
ولو كان ما خَبَرْتُهُ أو ظننتُهُ * لما كان غروا أن ألوم وتكرما
أذكرك العهد الذى ليس سؤددا * تناسيه، والودَّ الصحيح المسلما
وما حمل الركبَان شرفا ومغربا * وأنجد فى أعلى البلاد وأتهما
أقتر بما لم أجنه متصّلا * اليك، على أنى إخالك ألوما
لى الذنب معروفا. فإن كنتُ جاهلا * به، فلك العتبى على وأنعما
ومثلك، إن أبدى الفعل أعاده * وإن صنع المعروف زاد وتما

وقال سعيد بن حميد

لم آت ذنبا، فإن زعمت بأن * أتيت ذنبا، فغير معتمد
قد تطيرُ الكف عَيْنَ صاحبها * فلا يرى قطعها من الرشد

وقال آخر

وكنْتُ اذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ
فمن لى بالعين التي كنتَ مرّةً * الى بها في سالف الدهر تنظرُ؟

وقال آخر

اغفرزلتى تُحرز فضل الـ * هفو عني ولا يفوتك أجرى
لا تكلنى الى التوسّل بالعد * رلى أن لا أقوم بعذرى

٥

وقال بعض فضلاء الأندلس

إني جنيتُ ولم يزل أهل النوى * يهبون للجنانين ما يحنونه
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * فاجمع من الصفح الجميل فنونه
من كان يرجو عفو من هو فوقه * فليعف عن ذنب الذى هو دونه

١٠

الباب الثانى

من القسم الثالث من الفن الثانى

فى الهجاء، وفيه أربعة عشر فصلاً

ما قيل فى الهجاء ومن يستحقّه .

ما قيل فى الحسد .

١٥

ما قيل فى السعاية والبنى .

ما قيل فى الغيبة والنميمة .

ما قيل فى البخل واللؤم وأخبار البخل وأحتجاجهم .

ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة.

• ما قيل في الجبن والفرار .

• ما قيل في الحق والجهل .

• ما قيل في الكذب .

• ما قيل في الغدر والخيانة .

• ما قيل في الكبر والعجب .

• ما قيل في الحرص والطمع .

• ما قيل في الوعد والمطل .

• ما قيل في العى والحصر .

١٠ ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

قال الله تعالى : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار .

١٥ وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرد على أبي سفيان بن الحارث

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغفلة^(١) فقد برح الخفاء
مجهت مجداً ، فأجبت عنه ، * وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشر كما لخيركم الفداء



(١) يقال رسالة مغفلة : أى محمولة من بلد إلى بلد .

لنا في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هباء
لسانى صارم لا عيب فيه * وبحرى لا تكدره الدلاء
فإن أبى ووالدتي وعرضي * لعرض محم منكم وقاء

ويستحق الهباء من آتصف بسوء الخصال، وآتسم بأخلاق الأرذال والأنذال،
وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وطاءه ودناره، وسأذكر جماع ما آتصفوا به من
سوء الفعال، وأسسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر، واعتقاد الغدر،
وغيبة الأحرار، وإساءة الجوار .

وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكأ عليه وأبى أن
يخبره فأقسم عليه فقال : حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك : ما في إبليس
شر من هذه الخلال ؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشرَّ بحذافيره،
ومرق من جميع خلال الخير، وتأنق في ذم نفسه، وتجرّد في الدلالة على لؤم طبعه،
وأفترط في إقامة الحجّة على كفره، ونرج من الخلال الموجبة رضى ربّه .

قال أبو تمام

تأنّست بذميم الفعلِ طلعتُه * تأنّس المقلة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة، من كن فيه فهو منافق،
من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا أوّمن خان » .

وقالوا : اللّيم كذب الوعد، خؤون العهد، قليل الرد . وقالوا : اللّيم إذا استغنى
بطر، وإذا آتقتر قنط، وإذا قال أخش، وإذا سئل بخل، وإن سأل ألح، وإن

أُسِدِّي إِلَيْهِ صَنِيعٌ أَخْفَاهُ، وَإِنْ أَسْتُكْتَمَ سِرًّا أَفْشَاهُ، فَصَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَعَدُوُّهُ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ^(١).

وإنَّ للشُّعْرَاءِ وَالْبُلَغَاءِ فِي الدَّمِّ وَالْهَجَاءِ نَظْمًا وَثَرًا سَنُورِدُ مِنْهُ طُرُقًا، وَنُشْرِحُ مَا يَجْعَلُ ضَوْءَ النَّهَارِ عَلَى الْمَقُولِ فِيهِ سَدْفًا^(٢).

- فمن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف الكاتب في بني سعيد بن مسلم بن قتيبة : محاسنهم مساوئ السُّفُلِ ، ومساوئهم فضائح الأُمَمِ ، وألسنتهم معقودة بالعِي ، وأيديهم معقولة بالبخل ، وأعراضهم أعراض الذم ؛ فهم كما قيل لا يَكْثُرُونَ وإن طالت حياتهم ، ولا تَيْسِدُ مخازيهم وإن بادوا وذم أعرابي قوما فقال

- هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجرؤا على أصدقائهم ، يصومون ١٠ عن المعروف ، ويُفْطِرُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ .

وذم أعرابي قوما فقال : قوم سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْهَجَاءِ ، وَدُبِغَتْ جُلُودُهُمْ بِاللُّؤْمِ ، فلباسهم في الدنيا الملازمة ، وفي الآخرة الندامة .

- وكان عيسى بن فرخان شاه يتيه على أبي العيْناء حال وزارته ، فلما صرف عن الوزارة لقي أبا العيْناء في بعض السُّكُكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامًا خَفِيفًا ، فقال أبو العيْناء لقائده : من هذا ؟ قال : أبو موسى ، فدنا منه حتَّى أَخَذَ بَعَانًا بِغَلْتِهِ وَقَالَ : لَقَدْ كُنْتُ أَقْنَعُ بِإِيْمَانِكَ دُونَ بَنَانِكَ ، وَبِلِحْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا آلَتْ إِلَيْهِ حَالُكَ ، فَلَئِنْ كَانَتْ أَخْطَأْتُ فِيكَ النِّعْمَةَ ، لَقَدْ أَصَابْتَ فِيكَ النِّقْمَةَ ؛ وَلَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَبْدَتْ صَفْحَاتِهَا بِالْإِقْبَالِ عَلَيْكَ ، لَقَدْ أَظْهَرَتْ مُحَاسِنَهَا بِالْإِدْبَارِ عَنْكَ ، وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ

(١) الْغَرَرُ : التَّعَرُّضُ لِلْهَلَاكِ . (٢) السَّدْفُ : الظُّلْمَةُ .

إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزهنّا عن قول الزور فيك، وقد والله أسأت حمل
النعمة، وما شكرت حقّ المنعم؛ ثم أطلق يده من عِنايته، ورجع الى مكانه فقيل له:
يا أبا عبد الله! لقد بالغت في السبِّ؛ فما كان الذنب؟ قال: سألته في حاجة
أقل من قيمته، فردّني عنها بأقبح من خلفته.

قال بعض الأعراب: نزلت بذلك الوادى فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد،

إقبال حظهم، إدبار حظ الكرام؛ ألم بهذا المعنى شاعر فقال

أرى حُللاً تُصانُ على رجال * وأعراضاً تُدَلُّ ولا تُصانُ

يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر،

لثيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر. ^(١)

وذم أعرابي رجلاً فقال: هو عبد البدن، حر الثياب، عظيم الزواق، صغير

الأخلاق، الدهر يُرفعه، ونفسه تَضَعُهُ.

وقال آخر: فلان غث في دينه، قدير في دنياه، رث في مروءته، سميح في هيئته،

منقطع الى نفسه، راض عن عقله، بخيل بما أنعم الله عليه، كتوم لما آتاه الله من

فضله، حَلّاف لجّوج، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف، لا يُنِصف الأصاغر،

ولا يعرف حقّ الأكابر.

وترجم الفتح بن عبد الله القيسى صاحب قلائد العقيان في كتابه عن أبي بكر بن

ماجة المعروف بأبن الصائغ فقال: هو رمد جفن الدين، وكمد نفوس المهتدين، أشتهر

سخفا وجنونا، وهجر مفروضا ومسنونا، فما يشرع، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا

- يشرع ، ناهيك به من رجل ما تطهر من جنبه ، ولا أظهر تحيلة لإنابه ، ولا استنجى من حدث ، ولا استجنى فؤاده مؤارياً في جدث ، ولا أقز ببارئه ومُصوره ، ولا فرعن تباريه في ميدان تنوره ، الإساءة إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة أهدى عنده من الإنسان ، نظري في تلك التعاليم ، وفكر في أبحار الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم العليم ، ونبذه وراء ظهره ، ثانی عطفه ، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون له عند الله تبارك وتعالى فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، وأجترم على الله اللطيف الخبير ، وأجترأ عند سماع النهي والإبعاد ، واستهزأ بقوله تعالى : (إِنَّ أَلَدَىٰ قَرْصَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) فهو يعتقد أن الزمان دور ، وأن الإنسان نبات له نور ، حَمَامُهُ نَمَامُهُ ، واختلافه فطامه ، قد مَحَى الإيمان من قلبه فماله فيه رسم ، وَلَسِيَ الرحمن لسانه فما يمزله عليه آسم ، وأنتم أنفسه للصلال وأنسبت ، ونفت يوماً تُجْزَى فيه كُلُّ نَفْسٍ بما كسبت ، فقصر عمره على طرب ولهو ، واستشعر كل كبر وزهو ، وهو يَعِكُفُ على سماع التلاحين ، ويقف عليها كُلَّ حين ، يعلن بذلك الاعتقاد ، ولا يؤمن بشيء قادنا الى الله في أسلس مَقَاد ، مع منشأ وخيم ، ولؤيم أصل وخيم ، وصورة شَوْهها الله وقبحها ، وطلعة لورأها كلب لنبحها ، وقذارة يُؤذَى البلاد نَفْسُها ، ووضارية يحكى الحداد دَنَسُها ١٥ وَقَدِيد لا يعمر إلا كنفه ، ولَدِيد لا يُقَوِّم إلا الصَّفَادُ جَنَفه .
- وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد فإنى لا أعرف للعرف طريقاً أوعر من طريقه إليك ، لأنه يحصل منك بين حسب دنى ، ولسان بَذَى ، وجهل قد ملك عليك طباعك ، فال معروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غايتك في المعروف أن تُحَوِّره ، وفي وَلِيَّه أن تُكفِّره .



ومما قيل في الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أجهى بيت قالته العرب

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ * فَلَا كَعْبًا بَلِغْتَ وَلَا كِلَابًا

ولو وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي مُنْمِرٍ * عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابًا

٥

وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعروا أنهم آفدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم فقال أسماء بن خارجة : نحن يا أمير المؤمنين ! قال : وما قيل فيكم : قال : قول الحارث بن ظالم

وما قومي بشعلة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا

فوالله يا أمير المؤمنين ! إني لَأَلْبَسُ الْعِمَامَةَ الصَّفِيْقَةَ فَيُخِيلُ إِلَى أَنْ شَعْرُ قَفَايَ قَدْ

١٠

بدا منها ، وقول قيس بن الخطيم

هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ يَوْمَ سِرْنَا * مَسِيرَ حَدِيقَةِ الْخَيْرِ بْنِ بَدْرِ

فما يسرنا أن لنا بها أوبه حمر النعم ، فقال هاني بن قبيصة التميمي : أولئك نحن

يا أمير المؤمنين ! قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير

* فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ *

١٥

والله لوددنا أننا آفدنا به بأملنا ، وقول زياد الأعجم

لَعَمْرُكَ مَا رِمَاحُ بَنِي مُنْمِرٍ * بِطَائِشَةِ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارِ

فوالله ما يسرنا به حمر النعم

قال العسكري وذكر أن جريرا لما قال

وَالْتَّغَلَّبْتُ إِذَا تَتَحَنَّنَ لِلْقَرَى * حَكَ أَسْنَتُهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا

٢٠

قال : قلت فيهم بيتا لو طعنَ أحدهم في آسته لم يحكمها ! وقالوا : مرت امرأة
بني ثُمير فتغامزوا إليها فقالت : يا بني ثُمير ! لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر ،
يقول الله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر
* فُغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ ثُمَيْرِ *

نفجلوا ؛ وكان الثُميرى إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من ثُمير ، فصار يقول :
من بنى عامر بن صعصعة .

قال العسكري : ولو قيل إنَّ أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو
ولو تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِي كَلْبٍ * نُجُومُ اللَّيْلِ مَا وَصَحَتْ لِسَارِي
ولو يُرْمَى بِلُؤْمِهِمْ نَهَار * لَدَنَسَ لُؤْمُهُمْ وَصَحَّ النَّهَارُ
وما يَغْدُو عَزِيزُ بَنِي كَلْبٍ * لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَّا يَحَارُ

١٠

ومثله قول الآخر

وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ تَرْمَى بِلُؤْمِهَا * عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تَبْدُ النُّجُومُ لِمَنْ يَسْرِى

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى

تَبْتَثُونَ فِي الْمَشْتَا مِلَاءً بَطُونَكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْنِي يَتَنَ تَحَا نَصَا

وهذا البيت من أبيات ولها سبب ذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا
عن مكانه وذلك : أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزعامة
فقال عامر : أنا أفضل منك ! وهى لعمري ولم يمت ، وعمه عامر بن مالك بن جعفر
ابن كلاب وكان قد أهرس سقط ، وقال علقمة : أنا أفضل منك ! أنا عفيف ، وأنت

عامر، وأنا وفي وأنت غادر، وأنا ولود وأنت عاقر، وأنا أدنى الى ربيعة، فنداعيا الى هَرم بن قُطنة؛ ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الإبل، مائة يُطعمها مَنْ تبعه، ومائة يُعطيها للحاكم، ومائة تُعقر إذا حكم؛ فأبى هَرم بن قُطنة أن يحكم بينهما مخافة الشرِّ وأبى أن يرتحلا؛ فخلا هَرم بعلمقة وقال له: أترجو أن ينفرك رجل من العرب على عامر فارس مُضر؛ أندى الناس كفاً، وأشجعهم لقاءً، لَسنانُ ربح عامر أذكُرُ في العرب من الأخوص، وعمه ملاعب الأسنة، وأمه كبشة بنت عروة الرِّحال، وجَدَّتُه أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضَّخياء، وأمك من النَّخع، وكانت أمه مُهَيَّرة، وأمُّ علانة أخيدة من النَّخع، ثم خلا بعامر فقال له: أعلى علمقة تفخر؟ أنت تناونه؛ أعلى بن عوف بن الأخوص؛ أعف بن عامر وأيمهم نقيبة، وأحلمهم وأسودهم وأنت أعور عاقر مشنوم! أما كان لك رأى يزك عن هذا! أكننتَ تظن أن أحدا من العرب يُنفرك عليه؟ فلما آجتمعا وحضر الناس للقضاء قال: أتما كركبتي الجمل فتراجعا راضيين.

٥

١٠

قال العسكري: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما ولو قال: أنما كركبتي الجمل لقال كل واحد منهما: أنا اليمنى، فكان الشرّ حاضرا؛ قال وسأله عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد ذلك بحين: لمن كنتَ حاكما لو حكمت؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين! فلو قلتها لعادت جدعة. فقال عمر: صدقت! مثلك فليحكم.

١٥

قال فارتحلوا عن هَرم لما أعياهم نحو عكاظ فلقبهم الأعشى منحدرًا من اليمن، وكان لما أرادها قال لعلمقة: أعقد لى حبلًا فقال: أعقد لك من بنى عامر! قال: لا يغنى عني قال: فمن قيس! قال: لا، قال: فما أنا بزائدك، فأبى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض فقليل له: كيف تجيره من أهل السماء؟ قال: إن مات

٢٠

وَدَيْتُهُ ، فقال الأعشى لعامر : أظهِرْ أُنْكَأ حَكْمَتَانِي فَعْمَلْ ، فقام الأعشى وفرغ
عَقِيرَتَهُ (أى صوته) فى الناس فقال

حَكَّمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ * أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرِّشوة فى حُكْمِهِ * ولا يسأل خُسْرَ الخاسر
علم لا لست إلى عامر السناقض الأوتار والوتر
واللائس الخليل بخيل إذا * نار تجأجُ الكَبَّةِ النائر
إن تسد الحوص فلم تعدهم وعامرٌ سادَ بَنَى عامِرٍ
ساد وألقى رهطه سادة * وكأبراً سادوك عن كابرٍ

قال وشذ القوم فى أعراض الإبل المائة فعقروها وقالوا : نُفِرَ عامر ، وذهبت بها

- ١٠ الغوغاء ، وجهد علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك . فجعل يهتد الأعشى فقال
أتانى وعيد الحوص من آل عامر * فيا عبد عمرو لو نهيت الأحواصا
فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم * وبحرك ساج لا يوارى الدعاميصا
كلا أبويكم كان قرعا دعاميه * ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تبيتون فى المشنا ملاء بطونكم * وجاراتكم غمرتى يتن نحائصا
١٥ يراقبن من جوع خلال مخافة نجوم العشاء العائمات الغواميصا
رمى بك فى أحرهم تركك الندى * وفضل أقواما عليك مراهِصا
فعض حديد الأرض إن كنت ساخطا * بفيك وأحجار الكلاب الرواهيصا

قال فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكائه زيادة عليه فى العار ، والعرب

تعيّر بالبكاء ، قال مهلهل

- ٢٠ يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نُبْكِي عَلَى أَحَدٍ * ونحن أغلظُ أجبادا من الإبل

وقال جرير

بكى دَوْبُلٌ لَا يُرْقُئُ اللَّهُ دَمْعَهُ * أَلَا إِنَّمَا يَبْكِي مِنَ الذُّلِّ دَوْبُلٌ

قال عبد الملك بن مروان لأمية : مالك وللشاعر إذ يقول

إذا هتف العصفورُ طار فؤاده * وليتُ حديدُ النابِ عند الشدائدِ

فقال : أصابه حدٌ من حدود الله فأفتمته عليه قال : فهلاً درأته عنه بالشُّبهات ؟

قال : كان أهون علىّ من أن أُعْطِلَ حدًا من حدود الله فقال : يا بنى أمية ! أحسابكم

أحسابكم ، أنسابكم أنسابكم ، لا تعرضوا للفصحاء فإن للشعر مواسمَ لا يزيدُها الليل والنهار

إلا جِدَّةً ، والله ما يسترني أنى هجيتُ بيت الأعشى حيث يقول : تبتتون في المشتاء الخ

ولى الدنيا بخذا فيرها ولو أن رجلاً خرج من عَرَضِ الدنيا كان قد أخذ عوضاً لقول

أَبْنِ حُرْثَانَ

على مكثريهم حقّ من يعتريهم * وعند المقلّين الساحةُ والبذلُّ

وهذا البيت لزهير .

وقالوا أهبى بيت قالته العرب قول الحطيئة في الزَّبرقان بن بدر

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لُبُغَيْتِهَا * وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسِي

ولهذا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الحطيئة في البخلاء . وقيل : أتفق جماعة

من الشعراء على أن أهبى بيت قالته العرب ، قول الفرزدق في جرير

أتم قراره كلّ معدن سَوْءٍ * ولكلّ سائلة تسيل قَرَارُ

أخذه أبو تمام فقال

وكانت زفرة ثم أطمانت * كذلك لكل سائلة قَرَارُ



وقالوا أهجى بيت قاتله العرب قول الأخطل لجرير

ما زال فينا رباط النخيل مُعْلمة * وفي كليب رباط اللؤم والعار
قوم إذا استنبح الأضياف كلهم * قالوا لأهمهم : بؤى على النار

قالت بنو تميم : ما هيينا بشيء ، هو أشد علينا من هذا البيت ، وهو يتضمن
وجوها شتى من الدَّم : جعلهم بخلاء بالقرى ، وجعل أتهم خادمهم ، يأمرونها
بكشف فرجها ، وجعلهم يخلون بالماء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قتلها
تطفى ببولة ، وأغرى بينهم وبين المحوس ، لتعظيم المحوس للنار ، وإهانتهم لها إلى
غير ذلك .

وقالوا أهجى بيت قاتله العرب قول الطرماح

١٠ تميم يطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المكارم صلت
وقيل أهجى بيت قاتله العرب قول الأعرابي

اللؤم أكرم من وبر ووالده * واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
قسوم إذا ما جنى جانبيهم أمّنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قوداً
وقال مسلم بن الوليد يهجو دعبيل الخزاعي

١٥ أما الهجاء فقد عرّضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فانت طليق عرّضك إنه * عرّض عزّت به وأنت ذليل

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دعبيل ما هو فيه

من الخطوة عنده ، فصار إلى مروه ، وكتب الى الفضل بن سهل

لا تعبان بأبن الوليد فإنه * يرميك بعد ثلاثة بلال

٢٠ إن الملول إذا تقادم عهده * كانت مودّته كفى ظللال

فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يُفسق به ؟ فقال : لا، قال : كان يُلقَّب بِمَيَّاس، وكتب إليه مياس قل لي : أين أنت من الوري ؟ لا أنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء الخ، ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال
فكن كيف شئت وقُلْ ما تشاء * وأبرق يمينا وأرعِدْ شِمَالَا
نجا بك لؤمك منجا الذباب * حتمه مقاذيره أن يتألا

وأنشد الجاحظ

ووفقتُ أنك لا تُسبَّ * حماك لؤمك أن تُتالا

وقال الآخر

بِذَلَّةٍ والدينك كُسيَتَ عِزًّا * وباللؤم آجرتُ على الجوابِ

وقال آخر

دناءة عِرْضِكَ حِصْنٌ مَنِيعٌ * يقيق إذا ساء منك الصنيعُ
فقل لعدوك ما تشتهي * فانت المنيع الرفيع الوضيعُ

وقال أبو نؤاس

ما كان لو لم أجهُّ غالبٌ * قام له هجوى مقام الشرف
يقول : قد أسرف في هجونا * وإنما ساد بذلك السرف
غالب، لا تسع لتبنى العلا، * بلغت مجدا بهجائى، قِفْ
قد كنت مجهولا ولكننى * توهت بالمجهول حتى عُرف

وقال أبو هلال العسكري-

أَهْنَتْ هَجَائِي يَا بَنَ عُرْوَةَ، فَاتَّقِي * عَلَى مَلَامِ النَّاسِ فِي الْبَعْدِ وَالْقَرَبِ
وَقَالُوا: أَتَهْجُو مِثْلَهُ فِي سَقُوطِهِ؟ * فَقُلْتُ لَهُمْ: جَرَّبْتُ سَيْفِي فِي كَلْبٍ

وقال ابن لنكك

وَعَصْبِي لَمَّا تَوَسَّطَهُمْ * صَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ كَالْخَاتَمِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ سُوءِ أَفْهَامِهِمْ * لَمْ يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
يَضْحَكُ لِإِبْلِيسُ سُرُورًا بِهِمْ - لِأَنَّهُمْ عَارُّوا عَلَى آدَمِ

وقالوا أحمى بيت قاله محدث قول الآخر

فَبَحَّتْ مَنَاظِرُهُمْ، فَخِينَ خَبَرَتُهُمْ، . حَسُنَتْ مَنَاظِرُهُمْ لِقَبِيحِ الْمَخْبَرِ

وقال العسكري: ولست أعرف في الهجاء أبلغ من قول الأوقل

إِنْ يَفْجُرُوا أَوْ يَغْدُرُوا * أَوْ يَخْلُوا لَمْ يَحْفَلُوا
وَعَدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا!

ومن البليغ قول حسان

أَبْنَاءَ حَارٍ، فَلَنْ تَلْقَى لَهُمْ شَبَهَا * إِلَّا التَّبُوسَ عَلَى أَكْتَافِهَا الشَّعْرُ
إِنْ نَافَرُوا نَفَرُوا، أَوْ كَانُوا كَثُرُوا، * أَوْ قَامَرُوا الرِّيحَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قُفِرُوا
كَأَنَّ رِيحَهُمْ فِي النَّاسِ إِنْ خَرَجُوا - رِيحُ الْكَلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

وقال أيضا

أَبُوكَ أَبُو سُوءٍ وَخَالُكَ مِثْلُهُ * وَلَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالِكَ
وَإِنْ أَحَقَّ النَّاسُ أَنْ لَا تَلُومَهُ * عَلَى اللَّؤْمِ مِنْ أَلْفَى أَبَاهُ كَذَلِكَ

وقال الآخر

سلي الله ذا المن من فضله * ولا تسألن أباً وائمه
فما سأل الله عبداً له * نخاب ولو كان من باهله

وقال آخر

ولو قيل للكلب : يا باهلي * لأعول من فُج هذا النسب!

٥

وقال زياد : ما هُجيت بيت قط أشد على من قول الشاعر
فَكَرَّ، ففي ذاك إن فَكَرَتْ معتبر . هل نلت مَكْرُمَةً إلا بتأمير
عاشت سُمِيَّةُ ما عاشت وما علمت أن أبنا من قريش في الجماهير
وقال إبراهيم بن العباس

ولما رأيتك لا فاسقاً تُهابُ ولا أنت بالزاهدِ
وليس عدوك بالمتقى وليس صديقك بالحامدِ
أُتيتُ بك السوقَ سوقَ الهوانِ فناديت : هل فيك من زائد؟
على رجلٍ غادر بالصديقِ كفورٍ لنعمائه جاحدِ
فما جاءني رجلٌ واحد * يزيد على درهم واحدِ
سوى رجلٍ حان منه الشقاء * وحلت به دعوة الوالدِ
فبيعك منه بلا شاهدٍ * مخافةً ردك بالشاهدِ
وأبتُ الى منزلي سالماً * وحلّ البلاء على الناقدِ

١٠

١٥

وقال العسكري

إن كان شكلك غير متفق * فكذا خلاك غير مؤتلف
صُورَت من نُظِف قد اختلفت * فأت خلاك وهي مختلفة

٢٠

من عصبية شئ إذا اجتمعوا * شبهت داركم بهم عرفة
فورثت من ذا قُبْحَ مَنْظَرِهِ * وورثت ذاك خناه أو صلفه

٨٤

وقال الحسن بن مطران شاعر اليتيمة

كم غصتُ في مدحك فكرا على * درّ نفيس غيرٍ مثقوبٍ
ولم يفض رأيتُ يوما على * برّى، ولا رأى لمكذوبٍ
إن كان موعودك في الجود لى * أكذب من موعود عُرقوبٍ
فإنت أخبارك في مدحتي * أكذب من ذنب ابن يعقوبٍ

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الخريدة

بليت بقوم ما لهم في العلا يد * ولا قدم تسعى لبذل الصنائع
إذا فطرت عيني اليهم تجسست * برؤيتهم طهرتها بالمدايع

وقال المتنبي

إن أوحشتك المعالي * فإنها دار غربة
أو آتستك المخازي * فإنها بك أشبه

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الججاج

ولقد عهدتك تشتهى * قربى، وتستدعى حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا * مثل القسا بعد البخور
يا خرية العدس الصحتيح النّبيء والخبزِ الفطير
في جوف منحل الطيّمة والقوى شيخ كبير
يخرى فيخرجُ سرْمه * شبرين من وجع الزحير
يا فسوة بعد العشا * بالبيض واللبن الكثير

وفطائرٍ مُجْنَتٍ بلا السِّلجِ الجريش ولا الخمير
 يا تَنَ رائحةَ الطيبِ* إذا تَغَيَّرَ في القُدورِ
 يا عُشَّ بِيضِ القَمَلِ فَتَرَّخَ في السوالف والشعورِ
 يا بَوَلَّ صَبِيانِ الفِطَا * مِ ويا حَراهم في المَجْجورِ
 يا بعضَ تَدخينِ الحشا * في الصوم من تُنَمَّ السَّحورِ
 يا حَرَّ قُولَجِ البطو * نِ، وبردَ أعصابِ الظهورِ
 يا ذِلَّةَ المَظلومِ أَصْبَحَ وهو معدومُ النصيرِ
 يا سَوَاءَ عاقبةِ التَفَنُّدِ عند تشبيهِ الأمورِ
 يا كُلَّ شَيْءٍ مُتَعَبٍ * متَعَقِّدٍ صَعْبٍ عسيرِ
 يا حَيَزةَ الشيخِ الأصمِّ، وحسرةَ الحَدَثِ الضريرِ
 يا قَعْدَةً في دِجَلَةٍ * والرَّيْحُ تَلْعَبُ بالجسورِ
 يا قَرَحَةَ السِّلِّ التي * هَدَّتْ شِراسيفَ الصُذورِ
 يا أَرِباءَ لا تَدُو * ربه مَحَفَاتُ الشُّهورِ
 يا هَدَّةَ الحِيطانِ تُشَقِّصُ بالمعاوِلِ والمُرورِ
 يا قَرَحَةً في ناظِرٍ * غَلَطُوا عليها بِالذُّرورِ
 فَتَسَلَخَتْ مع ما يَلِيَنَّها في الجفونِ من البُثورِ
 يا خِيَةَ الأملِ الذي * أَمسى يُعْلَلُ بالغرورِ
 يا غُلْمَةَ المتخَدِّرا * تِ وراءَ أبوابِ القُصورِ
 يا وحشةَ الموتى إذا * صاروا إلى طَلَمِ القُبورِ
 يا مَجْجَرَةَ المَحمومِ بِالْمُغْدَوَاتِ من ماءِ الشَّعيرِ

٥

١٠

١٥

٢٠

- يا شؤم إقبالِ الشتاء * يا أضرَّ بالشيخ الفقير
يا دولة الحسن التي * خُسِفَتْ بأيام السَّورِ .
يا ضجة الضَّجْرِ المصدِّع بالتنازع والشَّورِ
يا عثرة القلم المرشَّش بين أنباء السطور
يا ليلة العُريان غِبَّ عشيَّة اليوم المطير
يا نومة في نِمس آ * بَ على الترابِ بلا حصير
يا بغاة المكروه في السُّبوم العبوس القمطرير
يا نعمة الكلب الرضيع ونكهة الليث المصور
يا عيشَ عان موثق في القيد مغلول أسير
يا حدة الرِّمد الذي لا يستفيق من القُطور
يا عيشة الكئاس من شَمِّ الذرائرِ والعبير
يا حيرة العطشان وقتت الظَّهر في وسط الهبير
من لى بأن تلقاك خيلُ بنى كلاب بلا خفير
وأرى بعينى لحكم المطبَّوخ في حَزْزِ المهجير
في الأرض ما بين السبا * ع وفي السما بين الشَّورِ

وقال المتنبي

يمشى بأربعة على أعقابهِ * تحت العلوج ومن وراء يُلجمُ
وجفونه ما تستقرُّ كَأَنَّها . مطروفة أوفت فيها حصيرُ
وتراه أصغر ما تراه ناطقاً . ويكون أكلت ما يكون ويُقسمُ

واذا أشار مكلِّنا فكأنه * قِرْدٌ يُفْهِقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
يَقْلُ مُفَارَقَةَ الْأَكْفِ قَذَالُهُ * حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَتَعَمَّمُ



ومما يذمُّ به الرجل أن يكون ثقيلاً، فأبلغ ما قيل في ذلك قول بعضهم

وتقيل أشدَّ من غَصَصِ الْمَوْتِ * وَمِنْ زَفَرَةِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ
لَوْ عَصَّتْ رَبُّهَا الْجَحِيمُ لِمَا كَانَتْ * سِوَاهُ عَمُوبَةٍ لِلْجَحِيمِ

وأبلغ ما قيل في هذا المعنى قول بشار

ولقد قلتُ حينَ وَتَدَ فِي الْأَرْضِ * ضِيقِيْلُ أَرْبَى عَلَى شَهْلَانِ
كَيْفَ لَمْ تَحِجِلِ الْأَمَانَةَ أَرْضُ * حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانَ



ومما هجى به أهلُ الوقتِ على الإطلاقِ * مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي هَلَالٍ

العسكريّ

كَمْ حَاجَةٌ أَنْزَلَتْهَا * بِكَرِيمِ قَوْمٍ أَوْ لَيْسَ
فَإِذَا الْكَرِيمُ مِنَ اللَّيْسِ أَوْ اللَّيْسُ مِنَ الْكَرِيمِ
سَبَّحَانَ رَبِّ قَادِرٍ * قَدَّ الْبَرِيَّةَ مِنْ أَدِيمِ
فَشَرَفُهُمْ وَوَضِعُهُمْ * سَيَّانَ فِي سَفَاهِهِمْ وَلُؤِمِ
قَدْ قَلَّ خَيْرُ غَنِيَّتِهِمْ * فَغِيَّتُهُمْ مِثْلُ الْعَدِيمِ
وَإِذَا أَخْبَرْتَ حَمِيدَهُمْ * أَلَيْتَهُ مِثْلُ الدَّيْمِ



ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم ، فمن ذلك قول
أبي عينة لهيجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه

أبوك لما غيَّثَ نعيشُ بفضلِهِ * وأنتَ جرَّادٌ ليس يُسقى ولا يذَرُّ
له أثرٌ في المكْرُماتِ يَسْرَتًا * وأنتَ تُعْنَى دائبًا ذلك الأثرُ
لقد قُتعتُ قحطانُ نَحْزِيًا بخالدٍ * فهل لك فيه يُنْزِكُ اللهُ يامُضِرُّ؟

وله في قبيصة بن روح ، يُفَضِّلُ عليه ابنَ عمِّه داودَ بنَ يزيد بن حاتم
أَقْيِصْ لَسْتُ وإنْ جَهدتَ بِبالغٍ * سَعَى ابنِ عمِّكَ ذِي النَّدَى داوِدَ
سَتَّانَ بينَكَ يا قَبيصُ وبَيْنَهُ * إنَّ المُدَّمَّ ليس كالحُمودِ
داوُدٌ مَحْمودٌ وأنتَ مُدَّمٌ * عَجَبًا لَذاك وأنتَما من عُودِ
وَلُربَّ عُودٍ قد يُسَقُّ لمَسْجِدٍ * نَصَفًا وَسائرُهُ لَحَشٍ يَهُودِي

وقال حسان في أبي سُفيان بن الحارث

أبوكَ أَبٌ حُرٌّ وأُمُّكَ حُرَّةٌ * وقد يَلِدُ الحُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبِ
فلا تَعجِبَنَّ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْهَا * فَمَا حَبَّتْ مِنْ فِضَّةٍ بِعَجِيبِ

ذكر ما قيل في الحسد

ومما يذمُّ به الرجلُ ، أن يكون حسودا ، وقد أمر الله تعالى نبيّه عليه

الصلاة والسلام ، أن يتعوذ من شرِّ الحاسد إذا حَسَدَ

قال ابن السَّكَّك

أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ جَعَلَهَا عُدَّةً خَلَقَهُ مِنْ صُنُوفِ الشَّرِّ ، فَلَمَّا آتَتْهُ إِلَى الْحَسَدِ ،
جَعَلَهُ خَاتَمًا إِذْ لَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ فِي الشَّرِّ نَهَايَةٌ ، وَالْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ
فِي السَّمَاءِ ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ بِهِ فِي الْأَرْضِ ، أَمَا فِي السَّمَاءِ ، فَحَسَدُ إِبْلِيسَ لِآدَمَ ،
وَأَمَا فِي الْأَرْضِ ، فَحَسَدُ قَابِيلَ لِهَابِيلَ ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ
إِخْبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ (رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْإِنْسِ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ
أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَقِّ إِبْلِيسَ ، وَبِالْإِنْسِ قَابِيلَ ، وَذَلِكَ
أَنَّ إِبْلِيسَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْكُفْرَ ، وَقَابِيلَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلُّهُ
الْحَسَدُ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : لَا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ ، فَقِيلَ لَهُ : وَمَنْ يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ ؟
قَالَ : الَّذِينَ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَعْضِ
الْكِتَابِ : الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي ، مَسِيخٌ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي .

وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ، أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى عَبْدٍ عَدُوًّا لَا يَرْجُوهُ ، سَلَّطَ عَلَيْهِ
حَاسِدًا .

وَكَانَ يُقَالُ فِي الدَّعَاءِ عَلَى الرَّجُلِ : طَلِبَكَ مِنْ لَا يَقْصُرُ دُونَ الظُّفْرِ ، وَحَسَدَكَ مِنْ
لَا يَنَامُ دُونَ الشَّقَاءِ .

وَقَالُوا : مَا ظَنُّكَ بِعِدَاوَةِ الْحَاسِدِ ، وَهُوَ يَرَى زَوَالَ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِ ؟

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيّ

سَوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاءً فَإِنَّهُ * إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ
وَلَا تَطْمَعُنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ * وَإِنْ كُنْتَ تُبِيدُهَا لَهُ وَتُنِيلُ

وقال البَغَاءُ

ومن البلية أن تداوى حَقْدَ مَنْ « نِعْمُ الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ أَحْقَادِهِ

وقال على رضى الله عنه

لا راحةَ لحُسُودٍ، ولا أخَ لِمَلُولٍ، ولا مُحِبٌّ لِسَيِّ الخُلُقِ .

وقال الحسن

ما رأيت ظالماً أشبهَ بِمَظْلُومٍ من حاسدٍ؛ نَفْسٌ دائِمٌ، وحرزٌ لازمٌ، وَغَيْرُهُ لَا تَنفَدُ،

ثم قال : لله دَرُّ الحسد ما أعدله ! يَقْتُلُ الحاسد قبل أن يَصِلَ إلى المحسود .

وقال الجاحظ : من العدل المحْضُ، والإِنْصَافُ الصَّحِيحُ، أن تَحُطَّ عن الحاسد

نِصْفَ عِقَابِهِ، لأنَّ أَلَمَ جِسْمِهِ، قد كَفَاكَ مَثُونَةُ شَطَرِ غِيظِكَ عَلَيْهِ .

وقيل : الحسد أن تُنْخِي زوالَ نعمةٍ عيرَكَ، والغبطة أن تُنْخِي مَثَلَ حَالِ صَاحِبِكَ .

وفي الحديث : « الْمُؤْمِنُ يَغِيْظُ ، وَالْمُتَافِقُ يَحْسُدُ » .

وقال أرسطاطاليس : الحسد حسدان : محمود، ومذموم، والمحمود أن ترى

علماً فتشتهى أن تكون مثله، وزاهدا فتشتهى مثل فعله، والمذموم أن ترى علماً

وفاضلاً فتشتهى أن يموتاً . وقيل : الحسود غضبان على الْقَدَرِ، والقدر لا يُعْتَبَرُ .

قال منصور الفقيه

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِداً * أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاتَ الْأَدَبُ

أَسَاتَ عَلَى اللَّهِ فِي فَضْلِهِ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ مَا قَدَّ وَهَبَ

وقال المتنبي

وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

ومن أخبار الحسدة : ما حكى ، أنه اجتمع ثلاثة نفر منهم ، فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما آشتيت أن أفعل بأحد خيراً قط ، فقال الثانى : أنت رجل صالح ، أنا ما آشتيت أن يفعل أحد بأحد خيراً قط ، فقال الثالث : ما فى الأرض أفضل منك ، أنا ما آشتيت أن يفعل بى أحد خيراً قط .



ومما قيل من الشعر فى تفضيل المحسود ومدحه . وهجاء الحاسد وذمه .
قال بعض الشعراء

إن يحسدونى فإنى غير لائهم . قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا
مدام لى ولهم ما بى وما بهم . ومات أكثرنا عمّا بما يحسد
وقال آخر

إن الغرابَ وكان يمتى مشبّه . فيما مضى من سالف الاحوالِ
حسدَ الفطاةَ ورامَ يمشى مشبّها . فأصابه ضربٌ من العقالِ

وقال آخر

حسدوا النقيّ إذ لم ينالوا سعيه . فالقومُ أعداءُ له وخُصُومُ
كضرائرِ الحسناءِ فلنَ لوجيها . حسداً وبغياً إنه لدميمُ

وقال البُحرى

لا تحسدوه فضلَ رُنته التى . أعيتَ عليكم وأفعلوا لِعِماله

وقال السرى الرفاء

نالت يدها أقاصى المجدِ الذى . بسطَ الحسود إليه باعاً ضيقاً

أَعَدَّوْهُ هَلْ لِلسَّامِكِ جَرِيرَةٌ * فَإِنْ دَنَوْتَ مِنَ الْحَضِيضِ وَحَلَقًا؟
 أم هل لِمَنْ مَلَأَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعُلَا * ذَنْبٌ إِذَا مَا كُنْتَ مِنْهَا مُمْلَقًا؟
 وقال أبو تمام الطائي

وإذا أراد الله نَشَرَ فضيلةٍ * يوما أُنَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
 لولا أَشْتَعَالَ النَّارَ فِيمَا جَاوَرَتْ * مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ
 وقال البُحْتَرِيُّ

وَلَنْ يَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعُ نِعْمَةٍ * إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ
 وقال محمد بن مُنَازِرٍ

يَا أَيُّهَا الْعَاجِي وَمَا بِي مِنْ * عَتَبٍ إِلَّا تَرَعَوِي وَتَرَدَّجِرُ!
 هل لك عِنْدِي وَتَرْتَفِطُ بِهِ * أَمْ أَنْتَ مِمَّا أَتَيْتَ مُعْتَذِرُ؟
 إِنَّ يَكِ قِسْمُ الْإِلَهِ فَضْلَانِي * وَأَنْتَ صَلَدٌ مَا فَيْكَ مُعْتَصِرُ
 فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالنَّاءُ لَهُ * وَلِلْحَسُودِ التُّرَابُ وَالْمَجْدَرُ
 مَاذَا الَّذِي يَجْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ * يَبْدُو لَهُ مِنْكَ حِينَ يَحْتَبِرُ
 أَقْرَأْ لَنَا سُورَةً تُذَكِّرُنَا * فَإِنْ خَيْرَ الْمَوَاعِظِ السُّوَرُ
 أَوْصِفْ لَنَا الْحُكْمَ فِي فِرَاقِنَا * مَا تَسْتَحِقُّ الْأُنْثَى أَوْ الذَّكْرُ
 أَوْ آرُوْ فَقَهَا تَرْوِي الْقُلُوبَ بِهِ * جَاءَ بِهِ عَنْ نَبِيِّنَا الْأَثَرُ
 أَوْ مِنْ أَحَادِيثِ جَاهِلِيَّتِنَا * فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ وَمَفْتَخَرُ
 أَوْ آرُوْ عَنْ فَارِيسٍ لَنَا مَثَلًا * فَإِنَّ أَمْثَالَهَا لَنَا عِبْرُ
 أَوْغْنِ صَوْتًا تُسْجِي النُّفُوسَ بِهِ * وَذَنْبٌ مَا قَدْ أَتَيْتَ مُغْتَفَرُ
 فَإِنْ تَكُنْ قَدْ جَهِلْتَ ذَاكَ وَذَا * فَبَيْتُكَ لِلنَّاظِرِينَ مُعْتَبَرُ

ذكر ما قيل في السعاية والبغى والغيبة والنميمة

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) . وقال تعالى : (ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ) . وقال تعالى : (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَرَقَعَنَّ إلينا عَوْرَةَ أَحِيهِ الْمُؤْمِنِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يَرَأِحُ الْقَتَاتُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » . وفي لفظ « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ » ؛ والقَتَاتُ : النَّمَامُ .

قال بعض الشعراء

فلا تَسَى عَلَى أَحَدٍ بَغْيِي ۖ فَإِنَّ الْبَغْيَ مَضْرَعُهُ وَخِيْمُ

وَقَالَ الْعَتَائِي

بَغِيَّتَ فَلَـمْ تَقَعْ إِلَّا صَرِيحًا ۖ كَذَاكَ الْبَغْيُ مَضْرَعُ كُلِّ بَاغِي

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخُلُوةَ ، فقال لأصحابه : إِذَا شِئْتُمْ ، فقاموا ، فلما تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِلْكَلَامِ ، قال له : إِيَّاكَ أَنْ تَمْدَحَنِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكَ ، أَوْ تَكْذِبَنِي ، فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِكُذُوبٍ ، أَوْ تَسْعَى إِلَيَّ بِأَحَدٍ ، وَإِنْ شِئْتَ أَقْلُتُكَ ، قال : أَقْلِي .

قال : وَلَمَّا وَلِيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ عَبْدُ الْمَلِكِ دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ أَلْبَ مِنْهُ فِي حَدَاثَةِ سَنَةٍ ، قال أهل دمشق : هَذَا غُلَامٌ شَابٌّ ، وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ، وَسَيَسْمَعُ مِنَّا ، فقام إليه رجل ، فقال : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، عِنْدِي نَصِيحَةٌ ، فقال له : يَا لَيْتَ شِعْرِي ، مَا هَذِهِ النَّصِيحَةُ الَّتِي أَبْتَدَأْتَنِي بِهَا مِنْ غَيْرِ يَدٍ سَبَقَتْ مِنِّي إِلَيْكَ ؟ فقال : جَارِلِي عَائِصَ ، مُتَخَلِّفَ عَنْ ثَغْرِهِ ، فقال له : مَا أَنْفَيْتَ اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفَظْتَ جِوَارَكَ ، إِنْ شِئْتَ ، نَظَرْنَا فِيهَا قَوْلٌ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا ؛

لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذبا ، عاقبناك ، وإن شئت ، أفلناك ، قال :
أقلى ، قال : أذهب حيث شئت ، لا صحبك الله ، ثم قال : يا أهل دِمَشْق ، ما أعظمت
ما جاء به الفاسق ، إن السَّعَاية أَحْسَبُ مِنْهُ سَجِيَّةً ، ولولا أنه لا ينبغي للوالى أن
يعاقب ، قبل أن يُعَاتَبَ ، كان لى فيه رأى ، فلا يأتى أحد منكم بِسَعَاية على أحد ،
فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب بهأت . وسعى رجل برجل إلى عُمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه ، فقال : إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا ، فأنت من هذه
الآية : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) وإن كنت صادقا ، فأنت من هذه الآية : (هَمَّازٍ
مَشَاءٍ يَحْمِي) وإن شئت عفونا عنك ، قال : العفو يا أمير المؤمنين ، قال : على أن
لا تعود .

وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات : إن قوما صاروا إلى مُتَنَصِّحِينَ ، فذكروا
أن رُسُوما للسلطان قد عَفَتْ ودرَسَتْ ، وأنه توقَّف عن كشفها إلى أن يعرف
موقع رأيها فيها ، فوقع على رُفْعَتِهِ : قرأت هذه الرُّقعة المذمومة ، وسوف السَّعَاة
مُكْسِدٌ عندنا ، وألسنتهم تَكَلُّ فى أيامنا ، فاحمل الناس على قانونك ، وخدمهم بما
فى ديوانك ، فلم ترد للناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لِحُجِّي الأعلام الدائرة ،
وجنيتى وتجنب قول جرير

١٥

وكنت إذا حللت بدار قوم * رحلت بحرية وتركت عارا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى يكره السَّعَاة ، وإذا أتاه ساع ، قال له : إن صدقنا ،
أبغضناك ، وإن كذبتنا ، عاقبناك ، وإن استقلتنا ، أفلناك .

وحكى صاحب العقد قال : قال العُتْبَى ، حدثنى أبى عن سعيد القصرى ،

قال : نظر إلى عمرو ابن عتبة ورجل يشتم بين يدي رجل ، فقال لى : ويلك ،

٢٠

وما قال لى ويليک قبلها : نَزَّ سَمْعَكُ عَنْ آسْتِمَاعِ الْخَنَاءِ ، كَمَا تُنَزَّ لِسَانُكَ عَنْ الْكَلَامِ بِهِ ،
فَإِنْ السَّامِعُ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَإِنَّهُ عَمِدٌ إِلَى شَرِّ مَا فِي وَعَائِهِ ، فَأَفْرِغْهُ فِي وَعَائِكَ ، وَلَوْ
رُدَّتْ كَلِمَةٌ جَاهِلٌ فِيهِ ، لَسَعَدَ رَأْدُهَا ، كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَرِيكَ
الْقَائِلِ ، فَقَالَ : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) .



ومما قيل في الغيبة والتميمة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « إِذَا قُلْتَ فِي الرَّجُلِ مَا فِيهِ فَقَدْ آغْتَبْتَهُ وَإِذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ » .
اغتاب رجل رجلا عند قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَمْسِكْ عَلَيْهِ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، وَاللَّهِ
لَقَدْ تَلَمَّضْتَ بِمُضْغَةٍ طَالَمَا لَفَظْتُهَا الْكَرَامَ .

وذكر في مجلسه رجل ، فقال منه بعض جلسائه ، فقال له : يَا هَذَا أَوْحَشْتَنَا مِنْ
نَفْسِكَ ، وَأَيَّاسْتَنَا مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَدَلَلْتَنَا عَلَى عَوْرَتِكَ .

وَإِغْتَابَ رَجُلٌ عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ آسْتَدَلَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عَيْبِكَ ،
بِمَا تَذْكُرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعَيْبِ ، إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدَرِ مَا فِيهِ مِنْهَا ،
أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ

لَا تَهْتِكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا ۖ فِيهِتَكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ مُحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما

أَذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ ، وَدَعْ مِنْهُ مَا تُحِبُّ أَنْ
يَدَّعِيَنَّكَ .

وقال بعض الملوك لولده وهو وليّ عهده : يَا بُنَيَّ لَيْكُنْ أَبْغَضَ رِعِيَّتِكَ إِلَيْكَ ،
 أَشَدَّهُمْ كَشْفًا لِمَعَايِبِ النَّاسِ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَعَايِبَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِسِتْرِهَا ،
 وَإِنَّمَا تَحْكُمُ فِيهَا ظَهْرُكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ فِيهَا غَابُ عَيْنِكَ ، وَأَكْرَهُ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُهُ
 لِنَفْسِكَ ، وَأَسْتُرُ الْعَوْرَةَ ، يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، مَا يُحِبُّ سِتْرَهُ ، وَلَا تَعْجَلْ إِلَى تَصْدِيقِ
 سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاثٌ . وَإِنْ قَالَ قَوْلٌ نَصِيحٌ .

وَوَشَى وَاثِ بِرَجُلٍ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ فَقَالَ لَهُ : أَتُحِبُّ أَنْ نَقْبَلَ مِنْكَ مَا قَلَتْ فِيهِ ،
 عَلَى أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكُفَّ عَنِ الشَّرِّ ، نَكَفَّ عَنْكَ .
 وَقَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ : قَبُولُ النِّيمَةِ ، شَرٌّ مِنَ النِّيمَةِ ، لِأَنَّ النِّيمَةَ دَلَالَةٌ ،
 وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ ، كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ .

قال أبو الأسود الدؤليّ

لَا تَقْبَلْ نِيْمَةً بُلِّغَتْهَا : وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الذِّى أَنْبَاكَهَا
 إِنْ الذِّى أَهْدَى إِلَيْكَ نِيْمَةً . سَيَمُتُّ عَنْكَ بِمَثَلِهَا قَدْ حَاكَهَا

وقال رجل لعمر بن عُيَيْدٍ : إِنْ الْأَسَاوِرَى لَمْ يَزِلْ يَذْكُرْكَ ، وَيَقُولُ : الضَّالَّ ،
 فَقَالَ عَمْرُو ! يَا هَذَا ! وَاللَّهِ مَا رَاعَيْتَ حَقَّ مَجَالِسَتِهِ ، حَتَّى نَقَلْتَ إِلَيْنَا حَدِيثَهُ ، وَلَا
 رَاعَيْتَ حَقَّ ، حِينَ أَبْلَغْنِي عَنْ أُنْحَى مَا أَكْرَهُهُ ، أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَعْمَنَا ، وَالْبَعَثَ
 يَحْشُرُنَا ، وَالْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَنَا .

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه ، فَأَنْكَرَهُ الْأَحْنَفُ : بَلِّغْنِي عَنْكَ الثَّقَةَ ،
 فَقَالَ الْأَحْنَفُ : إِنْ الثَّقَةَ لَا يُبَلِّغُ .

قال بعض الشعراء

لعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوه * ولكنما سبَّ الأميرَ المبلِّغُ

وقال ابن المعتز: الساعي كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا: النِّمام، شرٌّ من الساحر، فإن النِّمام، يُفسد في الساعة الواحدة، ما لا يفسده الساحر في المدة الطويلة .

وقالوا: النِّيمة، من الخلال الذميمة، تُدُلُّ على نفس سقيمة، وطبيعة لثيمة، مشغوفة بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء: الأشرار يتبعون مساوئ الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الأئمة من الجسد، ويترك الصحيحة .

وقالوا: لم يَمْشِ ماش، شرٌّ من واش . والساعي بالنِّيمة، كشاهد الزُّور، يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه .

وقالوا: حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ . وقد لُهِجَ الشعراءُ بِذِمِّ النِّمام، وجعلوه من أهاجهم .

قال بعض الشعراء

من نَمَّ في الناس لم تُؤْمَنْ عقاربُه * على الصديق ولم تُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ
كالسَّيل بالليل لا يدري به أَحَدٌ * من أين جاء ولا من أين يأتِيهِ

وقال السَّيرِيُّ الرَّقَّاءُ

أَتَمَّ بِمَا آسْتَوْدَعْتَهُ مِنْ رُجَاجَةٍ * تَرَى الشَّيْءَ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنٌ

وقال محمد بن شرف

وناصبٍ نحو أفواه الورى أذُنًا * كالقُعب يلقط فيها كل ما سقطًا
يَظَلُّ يَلْقَطُ الْأَخْبَارَ مَجْتَهِدًا * حتى إذا ما وعها زَقَّ ما لَقَطًا

وقال ابن وكيع

يَنْبُؤُ بِسَرٍّ مُسْتَرْعِيهِ لُؤْمًا * كَمَا نَبَّ الظَّلَامُ بِسَرِّ نَارٍ
أَنَّمْ مِنَ النَّصُولِ عَلَى مَشِيب * ومن صافى الزَّجَاجِ عَلَى عُقَارٍ

وقال الحسن البصري: لا غيبة في ثلاثة: فاسق مجاهر، وإمام جائر، وصاحب بدعة.

وكتب الكسائي إلى الرقاشي

١٠ تركت المسجد الجامع والترك له ريبه
وأخبرك تأتينا * على الأعلام مصوبه
فإن زدت من الغيبة زدناك من الغيبة

ذكر ما قيل في البخل واللؤم

والبخل منع الحقوق وإليه الإشارة بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ آلَهُمَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ) وقال تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ
خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ » .

وقال بعض السلف : منع الجود، سوء ظن بالمعبود، وتلا (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

• وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخلاء، بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال : "لما خلق الله تعالى جنة عدن، قال لها : تريي فتريئت، ثم قال لها : أظهي أنهارك، فأظهرت عين السلسيل، وعين الكافور، وعين التسنيم، ونهر النخمر، ونهر العسل، ونهر اللبن، ثم قال لها : أظهري حورك، وحللك، وسرك وحمالك، ثم قال لها : تكلمي، فقالت : طوبى لمن دخلني، فقال الله عز وجل : أنت حرام على كل بخيل" . ١٠

وقال سُقراط : الأغنياء البخلاء، بمنزلة البغال والحُمير، تحمل الذهب والفضة، وتعتلف التبن والشعير .

وقالوا : البخل من سوء الظن، ونحول الهمة، وضعف الروية، وسوء الاختيار، والزهد في الخيرات .

❦

• وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البخل جامع للساوئ والعيوب، وقاطع للودات من القلوب . ١٥

وقالوا : حد البخل، منع المسترفد مع القدرة على رفده .

وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل، ويقول محتجاً لذلك : إن البخيل يحمله بخله، على أن يأخذ فوق حقه، مخافة أن يُغبن، ومن كان هكذا لا يكون مأمونا .

وقال بشر بن الحارث الحافي : لا غيبة لبخيل ، ولشريطي سني أحب إلى من عابد لبخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحق اسم الحرية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لماله .

- وقال الحسن البصري : لم أر أشقى بنا له من البخيل ؛ لأنه في الدنيا يهتم بجمعه ،
وفي الآخرة يحاسب على منعه . غير آمن في الدنيا من همه ، ولا ناج في الآخرة من
إيمه ، عيشه في الدنيا عيش الفقراء . وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء . ودخل
رحمه الله على عبد الله بن الأهمم يعودده في مرضه ، فرآه يصعد بصره ويصوبه
إلى صندوق في بيته ، ثم ألقت إليه ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في مائة ألف
دينار في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل بها رحماً ؟ فقال له : نكلتك
أملك ! ولم كنت تجمعها ؟ قال لروعة الزمان ، وجفوة السلطان . وتكاثر العشيرة ،
ثم مات ، فشاهده الحسن . فلما قرع من دفنه ، ضرب بيده على القبر ، ثم قال :
انظروا إلى هذا ، أتاد شيطانه نخوفه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه . بما استودعه الله
إياه ، وعمره فيه . انظروا إليه كيف خرج مذموماً مدحوراً ! ثم ألقت إلى وارثه ،
فقال : أيها الوارث لا تمحذن كما خدع صويحبك بالأمس ، أناك هذا المال حلالاً ،
فلا يكونن عليك وبالا ، أناك عفوا صفوا ، ممن كان له جموعاً متوفاً ، من باطل جمعه ،
ومن حق منعه ، قطع فيه لحج البحار ، ومفاوز الفقار ، ولم تكدر لك فيه عين
ولم يقرق لك فيه جبين ، إن يوم القيامة يوم ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات
غداً ، أن ترى مالك في ميزان غيرك ، فيالها حسرة لا تقال ، وتوبة لا تُتال .

ومن أخبار البخلاء : قيل : بخلاء العرب أربعة ، الحطيئة ، ومُحَمَّدُ الأَرْقُطُ ، وأبو الأسود الدَّؤَلِيّ ، وخالدُ بْنُ صفوان ، وتُفِلَّتْ عنهم أُمُور دَلَّتْ على بخلهم .

أما الحطيئة : فقد حكى عنه : أنه مرَّ به ابنُ الحمامة ، وهو جالس بفناء بيته ، فقال له : السلام عليكم ، فقال : قلت ما لا يُنكر ، فقال : إني خرجتُ من أهلي بغير زاد ، قال : ما ضمنتُ لأهلك قَرَاكَ ، قال : أفتأذن لي أن آتي بظلِّ بيتك فأنفياً به ؟ قال : دونك الجبلُ يَنيءُ عليك ، قال أنا ابنُ الحمامة ، قال : آنصرف وكن ابنُ أى طائر شئت . قال : وأعترضه رجل وهو يرعى غنماً ، فقال له : ياراعى الغنم ، وكان بيد الحطيئة عصاً فرفعها ، وقال : تجرأُ من سلم ، فقال الرجل : إنما أنا ضيف ، فقال : للأضياف أعددتها . وكان الحطيئة أحد الحمقى ، أوصى عند موته ، أن يُجَمَّلَ على حمار ، وقال : لعلَّ إن حملتُ عليه ، لا أموت ، فإني ما رأيت كريماً مات عليه قط . وقال : لكلِّ حديد لذةٌ ، إلا حديد الموت ، فإني رأيتُه غيرَ لذيد . وقيل له : أوص ، فقال : أوصي أن مالى للذكور دونَ الإناث ، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك ، قال : لكنى أؤوله . وقالوا له : قل لا إله الا الله ، فقال : أشهد أن الشماخ أشعرُ غطفان .

ومن أخباره : أن الزُّبرقان بن بدر ، لَقِيَه في سفر ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا حَسَبٌ موضوع ، أنا أبو مُلَيْكَةَ ، فقال له الزُّبرقان : إني أريد وجهاً ، فَصُرْ إلى منزلي ، وكن هناك ، حتَّى أرجع . فصار الحُطَيْئَةُ إلى امرأة الزُّبرقان ، فأنزلته وأكرمته ، فحسده بنو عمه ، وهم بنو لَأي ، فقالوا للحطيئة : إن تحولت إلينا ، أعطيناك مائة ناقة ، ونُسَدَ إلى كلِّ طُنْب من أطناب بيتك حلةً تحويه ، وقالوا

لامرأة الزُّبرقان : إن الزُّبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته ، فقدح ذلك في نفسها ، فلما أراد القوم النجعة ، تخلف الحطيئة ، فتغافلت عنه امرأة الزُّبرقان ، فاحتمله القُرَيعيون ووفوا له بما قالوا ، فدحهم ، وهجا الزُّبرقان ، فقال

أزمتُ يأساً مُبيناً من نوالكم * ولا يرى طارداً للحر كالإيس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزُّبرقان عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحگم عمر . حسان ابن ثابت ، فقال حسان : ما هجاه ولكن سألح عليه ، فخبس عمر الحطيئة ، فقال يستعطفه

ما ذا تقول لأفراخ يذى مريخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
أليت كاسهم في قعر مظلمة * فاعفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فأخرجه عمر ، وجلس على كرسي ، وأخذ بيده شفرة ، وأوهم أنه يريد قطع لسانه ، فضج ، وقال : إني والله يا أمير المؤمنين ! قد هجوت أبي وأمي وأمرأتي ونفسي ، فتبسم عمر ، ثم قال : ما الذى قلت ؟ قال : قلت لأبي وأمي

ولقد رأيته في النساء فسؤتني * وأبأ بئيك فساءنى في المجلس

وقلت لأبي خاصة

فبئس الشيخ أنت لدى تميم * وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

وقلت لأُمِّي خاصة

تَحَنَّنِي وَاجْلِسِي مَنِّي بَعِيدَا * أَرَاكِ أَنَّ اللَّهَ مِنْكَ الْعَالِمِينَا؟
أَغْرِبَالَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا * وَكَأَنُوتَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا؟

وقلت لأُمْرَأَتِي

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ أَتِي * إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَّاعِ

٥

وقلت لنفسِي

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا * بِسَوْءٍ فَمَا أُدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أُرَى لِي وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ خَلْقَهُ * فَكَبَّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبَّحَ حَامِلُهُ

نَفَلْتُ عَمْرَ سَبِيلِهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَهْجُو أَحَدًا، وَجَعَلَ لَهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ اشْتَرَى
بِهَا مِنْهُ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ يَذْكُرُ نَهْيَهُ إِيَّاهُ عَنِ الْهَجَاءِ وَيَتَأَسَفُ

١٠

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ * شَتْمًا يَصُرُّ وَلَا مِدِيحًا يَنْفَعُ
وَمَنْعَتِي عِرْضَ الْبَخِيلِ فَلَمْ يَخَفْ * شَتْمِي وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَجْزَعُ

وَأَمَّا حَمِيدُ الْأَرْقُطِ : فَكَانَ هَجَاءً لِلضَّيْفِ، فَنَظَرَ عَلَيْهِ، فَتَزَلَّ بِهِ ضَيْفُ ذَاتِ
الَلَيْلَةِ، فَقَالَ لِأُمْرَأَتِهِ : نَزَلَ بِكَ الْبَلَاءُ، قَوْمِي فَأَعِدِّي لَنَا شَيْئًا، فَفَعَلْتُ، بِفَعْلٍ
الضَّيْفِ يَا كُلَّ وَيَقُولُ : مَا فَعَلَ الْحِجَاجُ بِالْبَاسِ" فَلَمَّا فَرَّغَ، قَالَ حَمِيدُ

١٥

يَجُزُّ عَلَى الْأَطْنَابِ مِنْ جَذَلِ بَيْتِنَا * هَجَفَ^(١) لِمُخْزَوْنِ التَّجِيَّةِ بِأَذَلِّ
يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى الْمَرَايِسَ لِلْقَرَى * أَيْنَ لِي مَا الْحِجَاجُ بِالْبَاسِ فَاعِلٌ؟
فَقُلْتُ : لَعَمْرِي مَا لِهَذَا أَتَيْتُنَا * فَكُلُّ وَدَعِ الْأَخْبَارُ مَا أَنْتَ آكِئُ

(١) الْهَجَفُ : الْخَافِي الْتَقَبِيلُ .

تَدَبَّرَ كِفَاهُ وَيَخْدُرُ حَلْقُهُ * الى الصدر ما حازت عليه الأنايل
أَنَا وَلَمْ يَمِدْلِهِ سَحَابٌ وَائِلٍ * بَيَانًا وَعِلْمًا بِالذِي هُوَ قَائِلٌ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ * مِنْ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقِلِ

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرًا وهجاءم، وأدعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال

بَاتُوا وَجُلُّتُنَا الصَّهْبَاءُ حَوْطَهُمْ * كَأَن أَظْفَارَهُمْ فِيهَا السَّكَائِكُ
فَأَصْحُوا وَالنَّوَى مُلِقَى مُعْرِسِهِمْ * وَلَيْسَ كُلُّ النَّوَى أَلْقَى الْمَسَاكِينَ

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزته، قال للدرهم : طامأ سرت
في البلاد، أما والله لأطيلن حبسك، ولأدينن بئتك . وقيل له : مالك لا تنفق ،
فإن مالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرض منه، قيل : كأنك تؤمل أن تعيش
الدهر كله، قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

وأما أبو الأسود الدؤلي : فعمل دكانا عاليا يجلس عليه ، فكان ربما أكل
عليه فلا يناله المجتاز، فمز به أعرابي على جمل ، فعرض عليه أن يأكل معه ، وظن
أنه لا يناله ، فاناخ الأعرابي بعيره ، حتى وازى الدكان ، وأكل معه . فما جلس
بعد ذلك على الدكان ، وكان يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا ، كنا أسوأ حالا
منهم . وقال لبنيه : لا تطعموا المساكين في أموالكم ، فإنهم لا يقنعون منكم ، حتى
يروكم في مثل حالهم . ووقف عليه أعرابي وهو يتغدى ، فسلم عليه ، فرد عليه ، ثم
أقبل على الأكل ، ولم يعرض عليه . فقال الأعرابي : أما إني قد مررتُ بأهلك ،
قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتهم ، قال :

وأمر أُنك حُبلى، قال : كذلك كان عهدى بها، قال : وَلَدْتُ، قال : ما كان بذُّها
 أن تَلِدَ، قال : ولدتُ غلامين، قال : كذلك كانت أمُّها، قال : مات أحدهما،
 قال : ما كانت تَقْوَى على رضاع آئين، قال : ثمَّ مات الآخر، قال : ما كان
 لِيَبْقَى بعد أخيه، قال : وماتت الأمُّ، قال : جَزَعًا على وَلَدَيْها، قال : ما أطيَّب
 طعامك ! قال : ذلك جزائي على أهله، قال : أف لك ما ألامُّك ! قال : من شاء
 سَبَّ صاحبه .

٥

ونظير هذه الحكاية : ما حَكِيَ أن أعرابياً مرَّ بآخر، فقال : من أين أقبلت
 يا بن عم ؟ قال : من الثَّيَّة، قال : فهل أتيتنا منها بغير؟ قال : سل عما بدا لك،
 قال : كيف علمك بيحيى ؟ قال : أحسن العلم، قال : هل لك علم بكلبي نفاع ؟
 قال : حارس الحى، قال : فبأتم عثمان ؟ قال : نَحْجُحْ، ومن مثل أم عثمان ! لا تدخل
 من الباب إلا منحرفة بالثياب الْمُعْصَفَرَات، قال : فبعثمان ؟ قال : وأبيك فإنه
 جَرَوُ الأسد ويلعب مع الصبيان، ويبيده الكِسْرَةُ، قال : فبجملنا السقاء ؟ قال :
 إن سنامه لِيَخْرُج من الغبيط، قال فبالدار ؟ قال : وأبيك، إنها لخصيبة الجناب،
 عامرة الفناء، ثم قام عنه، وقَعَدَ ناحيةً يأكل فلا يدعوه، فتركب، فصاح به،
 وقال : يا بن عم، أين هذا الكلب من نفاع ؟ قال : يا أَسَفًا على نفاع ! مات، قال :
 وما أماته ؟ قال : أكل من لحم الجبل السقاء، فاغْتَضَّ بعظيم منه فات، قال :
 إنا لله، أو قد مات الجبل ! فما أماته ؟ قال : عثر بقبر أم عثمان، فانكسرت رِجْلُهُ،
 قال : ويملِّك ! أمات أم عثمان ؟ قال : إى والله، أماتها الأسف على عثمان، قال :
 ويلك ! أمات عثمان ؟ قال : إى وعهد الله ! سقطت الدار عليه، فرمى الأعرابي

١٠

١٥



بطعامه وشره وأقبل ينتف لحيته ويقول : إلى أين أذهب ؟ فيقول الآخر إلى النار ، وأقبل يلتقط الطعام ويأكله ويهزأ به ويضحك ، ويقول : لا أرغم الله إلا أنف اللثام .

وكان أحيحة بن الجلاح من البخلاء ، وكان إذا هبت الصبا ، طلع أطمه ، ينظر إلى ناحية هبوبها ثم يقول : هُبي هبوبك ، فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عَجوة ، أدفع إلى الوليد منها ، نحس ثمرات ، فیرد علیّ منها ثلاثا ، أى لصلابتها بعد جهد ما يُلوكُ منها .

والعرب تضرب المثل في اللؤم بمادر ، تقول : هو الأمام من مَادِر ، ويزعمون أنه بنى حوضا وسقى إليه ، فلما أصدرها سَلَحَ في الحوض ، لئلا يسقى غيره فيه .

وكان عمر بن يزيد الأسدي مبخلاً جدّاً ، فأصابه القولنج فخنقه الطبيب بذهن كثير ، فأنخل ما في بطنه ، فلما أبرزه ، قال للغلام : ما تصنع به ؟ قال أصبّه ، قال : ١٠ لا ولكن ميز الدهن منه وأستصبح به .

وقال سلم بن أبي المعافى : كان أبي منتحياً عن المدينة ، وكان إلى جنبه مزرعة فيها قَتَاء ، وكنت صبيّاً فجاءني صبيان أقران لي ، فكلّمت أبي ليهب لي درهما اشتري لهم به قَتَاء ، فقال لي : أتعرف حال الدرهم ؟ كان في حجر في جبل ، فضرب بالماول ، حتى استخرج ، ثم طحن ، ثم أدخل القدر وصب عليه الماء ، وجمع بالزئبق ، ثم ١٥ صَفَى من رَق ، ثم أدخل النار فُسَبِكَ ، ثم أخرج فضرب ، وكتب في أحد شقيه : لا إله إلا الله ، وفي الآخر : محمد رسول الله ، ثم حُمِلَ إلى أمير المؤمنين ، فأمر بإدخاله بيت ماله ، ووَكَّلَ به عُوَجُ الفلانس صُهب السَّبَال ، ثم وهبه لخارية حسناء جميلة ، وأنت والله أصبح من قِرْد ، أو رَزَقَه رجلاً شجاعاً وأنت والله أجبن من صُرَد ، فهل ينبغى

لك أن تَمَسَّ الدرهم إلا بشوب؟ ومثله قول سهل بن هارون، وقد قال له رجل :
هبنى ما لآ مَرَزِيَّةَ عليك فيه ، قال : وما داك ؟ قال : درهما واحدا ، قال : يابن أخى
لقد هَوَّنَ الدرهم ، وهو طابع الله فى أرضه ، والدرهم يحك عُشْرُ العشرة ، والعشرة
عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية المسلم ، ألا ترى يابن أخى
كيف آتتهى الدرهم الذى هَوَّنَته ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ .

وقال سليمان بن مُزاحم ، وقد وقع بيده درهم ، فجعل يقلِّبه ، ويقول : فى شِقِّ ،
لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفى شِقِّ ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، ما ينبغى لهذا إلا أن يكون
تَعْوِيْذًا أَوْ رُقِيَّةً ، وَيَرْمَى به فى الصندوق .

كان بعضهم إذا صار الدرهم فى يده يخاطبه ويقول : أبى وأمى أنت ، كم من
أرضٍ قطعْتَ ، وكيسٍ خرقتَ ، وكم من خامل رفعتَ ، ومن رفيعٍ أحمَلْتَ ، لك
عندى أن لا تَعْرِى ولا تَضْحَى ، ثم يلقيه فى كيسه ، فيقول : آسكن على أسم الله ،
فى مكان لا تزول عنه ، ولا تزعج منه .

ومن البخلاء ”مُرَبِّدٌ“ وله حكايةٌ نذكرها ، قيل : كان بالمدينة جارية جميلة
مُغْنِيَّةٌ ، يقال لها : ”بَضْبُصُ“ وكانت الأشراف تجتمع عند مولاهما ، فاجتمع يوما
عنده محمد بن عيسى الجعفرى وعبد الله بن مُصعب الزُّبَيْرى فى جماعةٍ من الأشراف ،
فتذاكروا أمر مرزبد وبخله ، فقالت الجارية : أنا أخذ لكم منه درهما ، فقال لها
مولاهما : أنت حرّة إن فعلتِ إن لم أشتريك بخمسة دينار وثوب وشى
بمائة دينار ، وأجعل لك مجلسا بالعقيق أُنْحَرُ فيه بَدَنَهُ ، فقالت : جئ به ، وأرفع
الغِيْرَةَ ، حتّى أفعِلَ ، فقال : أنت حرّة إن منعك منه ، ولأعاونته عليك إن جصَلت .

منه الدرهم ، فقال عبد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به ، قال عبد الله : فصليتُ
 الغداة في المسجد ، فإذا أنا به قد أقبل ، فقلتُ : يا أبا إسحاق ، إنا نحب أن نرى
 بصبص ؟ قال : بلى والله ، وأمرأته طالق إن لم تكن له سنة يشتهي أن
 يلقاها ، فقلت له : إذا صليتَ العصر ، فاتى ها هنا ، فقال : أمرأته طالق إن
 ٥ برح من ها هنا الى العصر ، قال فانصرف في حوائجي ، فلما كان العصر جئتُ
 فوجدته ، فاخذتُ بيده ، وأتيتهم به ، فأكل القوم وشربوا حتى صليتُ العتمة ،
 ثم تساكروا وتناوموا ، فأقبلتُ بصبص على مُزبد ، فقالت له : يا أبا إسحاق كأني
 والله في نفسك تشتهي أن أُغنيك الساعة

لقد حثوا الجمالَ لهم * ربوا مِنّا فلم يثلوا

فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ ، ففتته إياه ،
 ١٠ ثم قالت له : كأني بك تشتهي أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك فتدخل يدك
 في جلبابي ، فقال : أمرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام ، وما تكسب
 الأنفس غداً قالت : فقم ، فقام وجلس إلى جانبها وغنت له ، ثم قالت : أعلم
 أنك تشتهي أن أُغنيك

أنا أبصرتُ بالليل * غلاماً حسنَ الدّل
 ١٥ كغصن البان قد أصبح مسقياً من الطّل

فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكوني نبيّة مُرسلة ، ففتته وقبلها ، ثم قالت : يا أبا
 إسحاق ، هل رأيت قط أنذل من هؤلاء ؟ يدعوني ويدعونك ، ويخرجونني إليك
 ولا يشترّون ثقالاً ولا ريحاناً ، كأني بك وفي جيبيك درهم وأنت تقول : الساعة أخرجه ،

وأعطيتها إياه، وتشتري به ما تريد، فقام من جنبها وقال : أخطأت آستك الحُقُفَرَة ،
وَأَقْطَعْ عَنْكَ الْوَحَى ، ووثب وجلس ناحية ، فَأَنْتَبَه الْقَوْمُ وَعَطَعَطُوا عَلَيْهَا وَعَلِمُوا
أَنْ حِيلَتْهَا لَمْ تَمِّمْ ، ونُحِرَج من عندهم ولم يُعَدِّ إِلَيْهِمْ .

وقال بعضهم : بَثُّ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكَوْفَةِ مِنَ الْمُسَرِّينَ ، وَلَهُ صَبْيَانٌ نِيَامُ ،
فَرَأَيْتُهُ فِي اللَّيْلِ يَقُومُ فَيَقْلِبُهُمْ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ،
فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الصَّبْيَانُ يَا كَلُونُ وَيَنَامُونَ عَلَى الْيَسَارِ ، فَيَمْرِئُهُمُ الطَّعَامُ ، وَيَصْبَحُونَ
جِياعاً ، فَأَنَا أَقْلِبُهُمْ مِنَ الْيَسَارِ إِلَى الْيَمِينِ لثَلَا يَنْهَضُمْ مَا أَكَلُوهُ سَرِيعاً .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي والياً على المدينة ، وكان فيه بُخْلٌ وجفاء ، فأهدى
إليه كاتب له سِلَالاً فيها أطعمة ، وَقَدْ تَنَوَّقَ فِيهَا فَوَافَقَتْهُ وَقَدْ تَمَدَّدَى ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟
قَالُوا : غَدَاءُ بَعَثَهُ فُلَانُ الْكَاتِبِ ، فَفَضِبْ ، وَقَالَ : يَبِيعُ أَحَدُهُمُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ ،
يَاخِثِمُ بْنُ مَالِكٍ ! يَرِيدُ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ ، أَدَعَ لِي أَهْلَ الصُّفَّةِ يَا كَلُونُ هَذَا ، فَبِيعْتَ
خَيْثُمُ الْحَرَسَ يَدْعُونَهُمْ ، فَقَالَ الرَّسُولُ الَّذِي جَاءَ بِالسَّلَالِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، لَوْ
أَمَرْتَ بِهَذِهِ السَّلَالِ تُفْتَحَ وَيُنْظَرُ مَا فِيهَا ، قَالَ : آكُشِفُوهَا فَإِذَا طَعَامٌ حَسَنٌ مِنْ
دَجَاجٍ وَفَرَاخٍ وَجِدَاءٍ وَسَمَكٍ وَأَخْيَصَةِ وَحَلَوَاءٍ فَقَالَ : أَرْفَعُوا هَذِهِ السَّلَالِ ، وَجَاءَ أَهْلُ
الصُّفَّةِ ، فَأَخْبَرَهُمْ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِمْ وَقَالَ : يَا خَيْثِمُ ! أَضْرِبْهُمْ عَشْرَةَ أَسْوَاطٍ ، فَإِنَّهُ
بَلْغَنِي أَنَّهُمْ يَفْسُدُونَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومن الخلفاء من يُنسَبُ إِلَى الْبُخْلِ ، فَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ كَانَ يَلْقَبُ
بِرَنْتِجِ الْجَمْرِ وَلَبِنِ الطَّيْرِ لِبُخْلِهِ .

(١) الْعَطَعَطَ : تَابَعَ الْأَصْوَاتِ وَاخْتَلَاطَهَا أَوْ حَكَايَةَ صَوْتِ الْجُحَّانِ إِذَا قَالُوا : عَطَعَطَ وَدَلَّكَ إِذَا عَلِبُوا قَوْمًا .

وممنهم هشام أبنه وكان ينظر في بيع الهدايا التي تُهدى إليه . حُكيَ عنه أن أعرابياً أكل عنده فرفع اللقمة الى فيه ، فقال له هشام : في لقمتك شَعْرَةٌ يا أعرابي ، فقال : وإنك تلاحظني ملاحظة من يَرى الشَّعْرَةَ ، والله لا أكلتُ عندك أبداً ، ثم قام وأنصرف .

- وممنهم أبو جعفر المنصور كان يلقب بأبي الدوانيق ، لُقِّبَ بذلك لأنه لما بنى مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصُّناع ، فيقول لهذا : أنت نمتَ القائلة ، ولهذا : لم تُبَكِّرْ ، ولهذا : أنصرفتَ قبل أن تُكَمِّلَ اليوم ، فَيُسْقَطَ لهذا داتها ، ولهذا دائقين ، فلا يكاد يعطى لأحد أُجْرَةً كاملة ، وكان يقول : يزعمون أنني بخيل ، وما أنا ببخيل ، ولكن رأيت الناس عبيدَ المال ، فمنعُتهم عنه ، ليكونوا عبيداً لي . ويُحكي عنه أنه قال لطباخه : لكم ثلاثة وعليكم آثنتان ، لكم الرؤوس والأكارع والجلود ، وعليكم الجبوب والتوابل . ومن حكاياته الدالة على بخله : أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوما : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك وهم كثير ، وقد طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم ، فقال : أخرج إليهم وسلم عليهم ، وقل لهم من مدحنا منكم فلا يصِفُ الأسدَ ، فإنما هو كلب من الكلاب ، ولا الحيَّةَ ، فإنما هي دويبة متنتة تأكل التراب ، ولا الجبلَ فإنه حجر أصمٌ ، ولا البحرَ ، فإنه عَطَنٌ بَصٌّ يَلْبُ ، فمن ليس في شعره شيء من هذا فليَدْخُلْ ، ومن كان في شعره شيءٌ منه فليَنْصِرِفْ ، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فقال : أنا له ياربيع فأدخلني عليه : فأدخله ، فلما مثل بين يديه ، قال له : ياربيع قد علمت أنه لا يبيحك غيره فأنشده قصيدته التي منها

له لَحَطَاتٌ فِي حِقَاقٍ سَرِيرَةٍ * إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلٌ

- فَأَمُّ الذِي أَمِنْتَ آمِنَةَ الرَدَى * وَأَمُّ الذِي خَوَّفَتْ بِالشَّكْلِ نَائِلٌ

فرغ له السّتر وأقبل عليه وأصغى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : يا إبراهيم ، لا تتلفها طمعاً في نيل مثلها منّا، فكلّ وقت تصل إليها، فقال إبراهيم : أفتاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجُهد^(١) . ودخل المؤمل بن أميل على المهديّ وكان بالرّى، وهو إذ ذاك وليّ عهد أبيه المنصور، فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهديّ إلا أن فيه . مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما * أنارا يُشكّلان على البصير
فهذا في الضياء سراج عدل * وهذا في الظلام سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا * على ذا بالنابر والسّرير
وبعض الشهر يخفى ذا، وهذا . منير عند نقصان الشهور
وجاء منها

فإن سبق الكبير فأهل سبق * له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير * فقد خلّق الصغير من الكبير

٩٥

فأعطاه عشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو ببغداد، فكتب إلى المهديّ يلومه ويقول له : إنما كان ينبغي أن تعطى الشاعر إذا أقام ببابك سنة، أربعة آلاف درهم، وأمره أن يوجهه إليه، فطلب فلم يوجد، وتوجه إلى بغداد، فكتب إلى المنصور بذلك، فأمر بإرساله فمُسك، وقيل له أنت بغية أمير المؤمنين وطلّبتَه، قال المؤمل : فكاد قلبي يخلع خوفاً وقرّفاً، ثم أخذ بيدي وأنطلق بي إلى الربيع، فادخلني على المنصور، وقال : يا أمير المؤمنين، هذا المؤمل

(١) الجهد : كاتب رسم أستخرج المال وقبضه .

أَبْنِ أَمِيلٍ قَدْ ظَفَرَ بِهِ ، فَسَلِمْتَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَى السَّلَامِ ، فَسَكَنَ جَائِشِي وَأَطْمَأَنَّ قَلْبِي وَزَالَ رَوْعِي ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَتَيْتُ غُلَامًا غِرًّا اخْدَعْتَهُ فَأَتَخَذَع ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا أَتَيْتُ مَلِكًا جَوَادًا كَرِيمًا ، فَمَدَحْتَهُ فَعَمَلْتَهُ أَرْيَحِيَّتُهُ عَلَى أَنْ وَصَلَنِي وَبَرَّنِي ، فَأَعْجَبَنِي ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَشَدُّنِي مَا قُلْتَ فِيهِ ، فَأَنْشُدْنِي ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ ، لَكِنْ مَا يَسَاوِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، يَارَبِيعُ ، خُذِ الْمَالَ مِنْهُ ، وَأَعْطِهِ مِنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمًا ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمَهْدِي الْخُلَافَةَ ، قَدَّمَ عَلَيْهِ الْمُؤَمِّلُ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فَضَحِكَ وَرَدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذَ مِنْهُ .

وَحَكَى أَبْنُ حَمْدُونٍ فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجَمِ بِالتَّذْكِرَةِ : أَنَّ الْمَنْصُورَ حَجَّ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فَعَدَا بِهِ سَالِمَ الْحَادِي يَوْمًا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ

أَبْلَجُ بَيْنَ حَاجِيهِ نُورُهُ * إِذَا تَغَدَّى رَفِعتُ سِتْرُهُ
يَزِينُهُ حَيَاؤُهُ وَخَيْرُهُ * وَمِسْكُهُ يَسُوبُهُ كَافُورُهُ

فَطَرِبَ الْمَنْصُورُ حَتَّى ضَرَبَ بِرِجْلِهِ الْمُحْمِلَ ، ثُمَّ قَالَ : يَارَبِيعُ ، أَعْطَهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ سَالِمٌ : لَا غَيْرَ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ حَدَوْتُ بِهِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَرَنِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَعْطِيكَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا ذَكَرْتَ ، يَارَبِيعُ ! وَكَلَّى بِهِ مَنْ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ هَذَا الْمَالَ ، قَالَ الرَّبِيعُ : فَمَا زِلْتُ أَسْفِرُ بَيْنَهُمَا حَتَّى شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْدُوهُ فِي خُرُوجِهِ وَرُجُوعِهِ بِغَيْرِ مَثُونَةٍ ، وَكَانَ سَالِمٌ هَذَا يَوْمَ الْإِبْلِ لَثْمَانٌ وَلِتْسَعُ وَلْعَشْرُ ، فَيَحْدُو لَهَا فَيُلْهِمُهَا حَدَوَهُ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ . وَمِنْ طَرِيفٍ مَا حَكَى عَنْهُ : أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ الْحَارِثِيَّ ، كَتَبَ إِلَيْهِ رَقْعَةً بَلِيقَةً يَسْتَمِيعُ فِيهَا ، فَوْقَ عَلِيهَا : إِنْ الْغَنَى وَالْبَلَاغَةُ إِذَا أَجْتَمَعَا لِرَجُلٍ أَبْطَرَاهُ . وَإِنْ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَشْفِقٌ عَلَيْكَ ، فَارْتَفِعْ بِالْبَلَاغَةِ .

وقد ذمَّ الشعراء البخل وهجوا من آتصف به ، فمن ذلك ، وهو أبلغ ما قاله مُحدث ،

قول ابن الرومي

الحابسُ الروث في أعفاج بَغْلَتِهِ * خوفا على الحبِّ من لَقَطِ العَصَافِيرِ

وقال العسكري : أبلغ ما قيل في البخل ، قول ابن الرومي

يَقْتَرِ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ * وَلَيْسَ بِسَاقٍ وَلَا خَالِدٍ

فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتِيرَهُ * تَنْقَسَ مِنْ مَنَخِرٍ وَاحِدٍ

رَضِيتَ لَتَشْتِيتَ أَمْوَالِهِ * يَدَى وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

وقال أبو تمام

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مَجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفِ فِذَاكَ الْبَرَّ مِنْ قَسَمِهِ

وَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ فَافْتُكْ بِحُبْرَتِهِ * فَإِنْ مَوْقِعُهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ

قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ كَانَ غَيْرُهُ * عَلَى جَرَادِقِهِ كَانَتْ عَلَى حَرَمِهِ

وقال دِعْبِل

اسْتَبَقَ وَدَّ ابْنُ الْمَقَا * تِلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ

سَيَّانَ كَسُرَ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسُرَ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ

وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزْيِيلِ بِهِ يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ

وقال أبو هلال العسكري

خُبِرَ الْأَمِيرُ عَشِيقُهُ * يَغْدُو عَلَيْهِ يُلَاعِبُهُ

وَإِذَا بَدَأَ جَلِيسُهُ * أَفْضَى إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ

وَتَحْوَطُهُ حِرَاسُهُ * وَتَدْبُّ عَنْهُ كَتَائِبُهُ

فَالزُّورُ يُصْفَعُ عِنْدَهُ * وَالضَّيْفُ يُنْتَفَشَارُهُ

وقال آخر

فنى لرغيفه قُرْطٌ وَشَنْفٌ * وإكلىلان من دُرٍّ وَشَذِرٍ
إذا كُسِرَ الرَغِيفُ بِكى عليه * بُكَاءُ الْخَنَسَاءِ إِذْ حُفَّتْ بِصَغِيرٍ
ودون رغيفه قَلْعُ الشَّايَا * وَحَرْبٌ مِثْلُ وَقْعَةِ يَوْمِ بَدْرٍ

٥

وقال آخر

إن هذا القى يصون رغيفا * ما إليه لَا أَكْلٍ مِنْ سَبِيلٍ
هو في سُفْرَتَيْنِ مِنْ أَدَمِ الطَّا * ثَفٌّ فِي سَلَّتَيْنِ مِنْ زَنْبِيلٍ
خُتِمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِرِصَاصٍ * وَسُيُورٍ قُدِذْنَ مِنْ جِلْدِ فِيلٍ
في جِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى * وَالْمِفَاتِيحِ عِنْدَ مِيكَائِيلِ

١٠

وقال العسكري

قُلْ خَيْرُ آبِنِ قَاسِمٍ * فَنِجَاهُ كَعْمُذِمِهِ
كَأَدَمٍ خَشْيَةُ الْقِرَى * يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
جَازٌ فِي اللَّؤْمِ حَذَهُ * كَأَيْبِهِ وَعَمَهُ
كَأَدَمٍ يُعْدِيكَ لَوْمُهُ * لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ

١٥

وقال ايضا

لَكَ بُرْمَةٌ زَهَتْهَا * مِنْ أَنْ تُدَسَّ بِالْدَسَمِ
بِيضَاءُ يُشْرِقُ نُورَهَا * كَالْبَدْرِ فِي غَسَقِي الظُّلَمِ
لَوْ كَانَ عِرْضُكَ مِثْلَهَا * كُنْتَ الْمُمْدَحَّ فِي الْأُمَمِ
أَوْ كَانَ فَعْلُكَ مِثْلَ قُو * لَكَ كُنْتَ تَارِيخَ الْكَرَمِ

وقال أيضا

ضفتُ عمرا بقاءني برغيف * زادني أكله على الجوع جوعاً
ثم ولَّى يقول وهو كئيب: * هَلَفَ نَفْسِي عَلَى رَغِيفِ أَضْيَعَا
كَانَ خُدَاعَةَ الضِيُوفِ وَلَكِنْ * رَبِّمَا أَصْبَحَ الْخُدُوعَ خَدِيعَا
كَنتُ أَنْزَلْتُهُ مَحَلًّا رَفِيعَا * فَعَدَا ذَلِكَ الرَّفِيعَ وَضِيعَا
عَجَبًا مِنْهُ إِذْ أُبْسِحَ حِمَاهُ * كَيْفَ لَمْ يَمْتَنِعْ وَكَانَ مَنِيعَا

٥

وقال آخر

أرى ضيفك في الدار * وَكَرَبَ الْمَوْتَ يَغْشَاهُ
عَلَى خُبْرِكَ مَكْتُوبٌ: * «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ»

١٦

وقال بشار

١٠

وضيفُ عمرو وعمرو يَسْهَرَانِ مَعَا * عمرو لِبَطْنَتِهِ وَالضَّيْفُ لِلْجُوعِ

وقال آخر

نَوَالُكَ دُونَهُ خَرَطَ الْقَتَادِ * وَخَبْرُكَ كَالثَّرْيَاءِ فِي الْبَعَادِ
وَلَوْ أَبْصَرْتَ ضَيْفًا فِي مَنْامٍ * لَحَزَمْتَ الْمَنَامَ إِلَى التَّنَادِ
أَرَى عُمَرَ الرَغِيفَ يَطُولُ جِدًّا * لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ قَوْمِ عَادِ
وَمَا أَهْجُوكَ أَنْكَ كُفَّءُ شِعْرِي * وَلَكِنِّي هَجَوْتُكَ لِلْكَسَادِ

١٥

وقال العسكري

قَدْ كَانَ لِلْمَالِ رَبًّا * فَصَارَ بِالْبَخْلِ عَبْدَهُ
وَصَحَّفَ الصَّيْفَ ضَيْفًا * فَرَاحَ يَلْطُمُ خَدَهُ

وقال أبو نُوَاسٍ في إسماعيل بن نُوبخت، بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة، وأصطحب فيها أربعين يوما ومعه جماعة، منهم أبو نُوَاسٍ، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك

خَبِرُ إسماعيل كالوشى إذا ما شُقَّ يُرْفَا

عجبا من أثر الصنعة فيه كيف تُخْفَى؟

إِنَّ رَفَاءَكَ هَذَا * أَلْطَفَ الْأُمَّةِ كَفًّا

فإذا أَلْصَقَ بالنصف من الجُرْدَقِ نَصْفَا

الطف الصنعة حتَّى * ما ترى مَطْعَنَ إِشْفَى^(١)

مثل ما جاء من التَّنْشُورِ ما غادر حَرْفَا

وله في الماء أيضا * عَمَلٌ أَبْدَعَ ظَرْفَا

مَرْجِهَ الْعَذْبِ بِمَاءِ السَّيْرِ كِي يَزْدَادَ ضِعْفَا

فهو لَا يَسْقِيكَ مِنْهُ * مثل ما يشرب صِرْفَا

وقال فيه

على خبز إسماعيل واقية الْبُخْلِ * فقد حلَّ في دار الأمان من الْأَكْلِ

وما خبزه إلا كعتقاء مُغْرِب * يُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي الْمُنْثَلِ

يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا * سَوَى صُورَةٍ مَا إِنْ مُثِّرٌ وَلَا مُخْلِي

وما خبزه إلا كَأَوَى يُرَى أَبْنُوهُ * وَلَمْ يَرَأَوْى فِي الْحُزُونِ وَفِي السَّهْلِ

وما خبزه إلا كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ * لِيَالِي يَحْيَى عِزَّهُ مَنِيَّتَ الْبَقْلِ^(٢)

(١) الإِشْفَى : الإِسْكَاف .

(٢) هكذا في الأصل . وفي ديوان أبي نواس : ومن كان الخ ولعله الصواب .

وإذ هو لا يَسْتَبْ خَصْمَانِ عنده * ولا الصوتُ مرفوعٌ يجِدُّ ولا هَزَلِ
فإن خبرُ إسماعيلَ حلٌّ به الذى * أصاب كليبا لم يكن ذاك عن دُلِّ
ولكن قضاءً ليس يُسْطَاعُ رُدُّه * بحيلة ذى مَكْرٍ ولا دَهْيِ ذى عقلِ

وقال ابن الرومى

بِخِلٍ يُصَوِّمُ أَضْيَافَهُ * وَيَحِلُّ عَنْهُمْ بِأَجْرِ الصَّيَامِ
يَدُسُّ الْغَلَامَ فَيُولِيهِمْ * هَوَانًا فَيُسْتَمُّ مَوْلَى الْغَلَامِ
فَهُمْ مُفْطِرُونَ وَهُمْ صَائِمُونَ * وَمَا يُطْعَمُونَ وَهُمْ فِي أَثَامِ
فِيَحْتَالُ بِخَلَا لَأَنَّ يُفْطِرُونَ * عَلَى رَفَثِ الْقَوْلِ دُونَ الطَّعَامِ

وقال أحمد بن كُشَاجِم

صَدِيقٌ لَنَا مِنْ أَرْبَعِ النَّاسِ فِي الْبَخْلِ * وَأَفْضَلُهُمْ فِيهِ وَلَيْسَ بِذِي فَضْلِ .
دَعَانِي كَمَا يَدْعُو الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ * بَحْتًا كَمَا يَأْتِي إِلَى مِثْلِهِ مِثْلِي
فَلَمَّا جَلَسَا لِلطَّعَامِ رَأَيْتُهُ * يَرَى أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ أَعْضَائِهِ أَكْلِي
وَيَغْتَاطُ أَحْيَانًا وَيُسْتَمُّ عِندَهُ * وَأَعْلَمُ أَنَّ الْغِيظَ وَالشَّتْمَ مِنْ أَجْلِ
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَلُّ الْغَدَاءَ مَخَافَةً * وَالْحَاظُ عَيْنَهُ رَقِيبٌ عَلَى فِعْلِي
أَمَدٌ يَدِي سِرًّا لِأَسْرِقَ لُقْمَةً * فَيَلْحَظُنِي شَرًّا فَأَعْبَثُ بِالْبَقْلِ
إِلَى أَنْ جَنَّتْ كَفَّتِي لِحْتَفَى جِنَايَةٍ * وَذَلِكَ أَنَّ الْجُوعَ أَعْدَمَنِي عَقْلِي
بَفَرَّتْ يَدِي لِمَنْ رَجُلٌ دَجَاجَةٌ * بَحَرَّتْ كَمَا جَرَّتْ يَدِي رَجُلَهَا رَجُلِي
وَقَدَّمَ مِنْ بَعْدِ الطَّعَامِ حَلَاوَةً * فَلَمْ أَسْتَطِعْ فِيهَا أَمْرًا وَلَا أَحْلِي
وَقَفْتُ لَوْ أَنِّي كُنْتُ بَيْتٌ نِيَّةً * رِيحَتْ ثَوَابَ الصُّومِ مَعَ عَدَمِ الْأَكْلِ

وقال آنر

ترام خشية الأضياف نُرْسًا * يُقيمون الصلاة بلا أذان



احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه

قالت الحكماء : لتكن عنايتك بحفظ ما آكتسبته ، كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : لا تُجاودوا الله ، فإنه أكرم وأجود ، ولو شاء أن يُغني الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر ، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلا من كندة أسأله ، فقال : يا أخا بني تغلب ، إنني لن أصلك حتى أحرِم من هو أقرب إلى منك ، وإنه لم يبق من مالى وعِرْضى وأهلى إلا ما منعه من الناس .

وقيل : إن لقمان الحكيم ، قال لابنه : يا بُنَيَّ ، أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما : دِرْهَمِكَ لمعاشك ، ودينِكَ لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمساكك ما تبذل ، خير من طلبك ما يبذل غيرك ، وأنشد
يلومونى فى البخل جهلاً وضلةً * وللبخل خير من سؤال بخيل

ونظيره قول المتلمس

وحبس المال أيسر من بقاء * وضرب فى البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبق الكثير مع الفساد

وقال الجاحظ : قلت للغزالي : يا بخیل ! قال : لا أعدمی الله هذا الاسم ، لأنه لا يقال لی : بخیل إلا وأنا ذو مال قَسَمَ لی المال ، وسمَّی بأیّ اسم شئت ، قلت : ولا يقال لك : سخی ، إلا وأنت ذو مال ، فقد جمع الله لهذا الاسم المال والحمد ، وجمع لذلك المال والذم ، فقال : بينهما فرق عجیب ، وبون بعيد ، إن فی قولهم : بخیل ، سببا لمكث المال فی ملكی ، وفی قولهم : سخی ، سببا لخروجه عن ملكی ، وأسم البخل فی حزم وذم وأسم السخاء فیہ تضييع وحمد ، وما أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه وعیرى ظهره وضاع عیاله وشمّت به عدوه .

وقال محمد بن الجهم : من شأن من استغنى عنك ، أن لا یقیم علیك ، ومن احتاج إليك أن لا یزول من عندك ، ومن حُبَّك لصديقك وصنَّك بمودته أن لا تبذل له ما یغنیه عنك ، وأن نتلطف له فیما یُحَوِّجُه إليك .

وقد قيل فی مثل هذا : "أَجْعُ كَلْبَكَ یَتَّبِعُكَ ، وَتَمْنَهُ بِأَكْلِكَ" ، فمن أغنى صديقه فقد أعاناه على القدر ، وقطع أسباب الشكر ، والمعين على القدر شريك للغادر ، كما أن المزين للفجور شريك للفاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فیمن لا یصون ماله لیصون به عِرْضَه ، ویصل به رحمه ویستغنى به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتز

أَعَاذَ لیس البخل منی سَحِيَّةً * ولكن وجدت الفقر شرَّ سبیل
لموت الفقی خير من البخل للفتی * وللبخل خير من سؤال بخیل

وكان داود بن علی يقول : لأن یرك الرجل ماله لأعدائه ، خير من الحاجة فی حياته لأوليائه ؛ قال الشاعر

مَا لَ يُخَلِّفُهُ الْفَتَى * لِلشَّامَتَيْنِ مِنَ الْعِدَا

خير له من قصده * إخوانه مستترِفدا

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَأَنْ أُخْلَفَ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَحَاسِبُ عَلَيْهَا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أحتَاجَ إِلَى النَّاسِ ؛ وقال : كَانَ الْمَالُ فِيمَا مَضَى يَكْرَهُ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ يَزِينُ الْمُؤْمِنَ ؛ وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَمَسَّكَ هَذِهِ الدَّنَانِيرُ ! فَقَالَ : ه .
أَسَكْتُ ، فَلَوْلَاهَا لَتَمَتَّدَتْنَا هَؤُلَاءِ الْمُلُوكُ ، وَلَكِنْ مِنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَصِلْهُ ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ مِنْ أَحْتَاجٍ فِيهِ كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدُلُ دِينَهُ .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التيمي : إِنَّكَ لَسَيِّدٌ لَوْلَا جُودُكَ فَيْكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لِأَجْمُدُ فِي الْحَقِّ ، وَلَا أَذُوبُ فِي الْبَاطِلِ .

- ١٠ . وكان محمد بن الجهم يقول : مَنْ وَهَبَ مِنْ عَمَلِهِ ، فَهُوَ أَحَقُّ ، وَمَنْ وَهَبَ بَعْدَ الْعَزْلِ ، فَهُوَ مَجْنُونٌ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ جَوَائِزِ مَلُوكِهِ أَوْ مِيرَاثِهِ ، فَهُوَ مَخْذُولٌ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ كَسْبِهِ وَمَا اسْتَفَادَهُ بِحِيلَةٍ ، فَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى قَلْبِهِ ، الْمَاخُودُ بِبَصَرِهِ وَسَمْعِهِ .
وسأل رجل زياد بن أبيه ، فَأَعْطَاهُ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : صَاحِبُ الْعِرَاقَيْنِ أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي دِرْهَمًا ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ : مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّمَا رَزَقَ أَخْصَ عِبَادَهُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُمْ لَدِيهِ التَّمْرَةُ وَاللَّقْمَةُ ، وَمَا يَكْبُرُ عِنْدِي أَنْ أَصَلَ رَجُلًا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَا يَصْغُرُ أَنْ أُعْطِيَ سَائِلًا رَغِيفًا ، إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَعَلَ ذَلِكَ .
قال الشاعر

يَارَبَّ جُودَ جَرَّ فَقَرَّ أَمْرِي * فِقَامَ لِلنَّاسِ مَقَامَ الدَّلِيلِ

فَاشْدُدْ عُرَى مَالِكَ وَأَسْتَبْقِهِ * فَالْبَخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ الْبَخِيلِ

وقال الشريف بن الهَبَّارِيةَ

لَأَصُونَنَّ ذُرْمِي * فهو لا شكَّ صائني
لم يُعْنَى أبْنُ والدي * وصحبي أعانني

وقال أيضا

لله دَرٌّ درا هِمِّي * ففهي التي أعلت مكاني
لولا الغنى عن صاحبي * لأَحَلَّنِي دار الهوانِ

وقال آخر

كن بما أوتيتَه مُغْتَبَا * تَسْتَدِمُ عَيْشَ الْقُنُوعِ الْمُكْتَفَى
إن في نَيْلِ الْمُنَى وَشَكَّ الرَّدَى * واجتناب القصد عين السرف
كِرَاجٍ دُهْنُهُ قَوْتُ لَهُ * فإذا غَرَّقَهُ فِيهِ طُنْفَى

١٠

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فاعتذر عنها وأحتج فقال: أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله، قال الأحنف بن قيس: يا بني تميم، لا تُسرِعوا إلى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلهم حياء من الفرار، وكانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمَّة، فتأمل عيًّا با فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبيح أن تنهى مرشدا أو تُغري مُشْفِقا، وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وتقويمكم وصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فأخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشيرنا به في الآفاق دونكم، ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: (وَمَا أَرِيدُ

١٥

أَن أَخَافِكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) فما كان أَحَقَّكُمْ في كريمِ حرمتنا بكم أن ترعوا حقَّ قصدنا بذلك إليكم، على مارعيناه من واجبِ حَقِّكم، فلا العذرُ المبسوط بلفظكم، ولا بواجبِ الحرمةِ قتم، ولو كان ذكر العيوبِ رَأً ونفراً، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلاً،

عَبْتُمُونِي بقولِي لخادمي : أجبدي العجين فيكون أطيّب لطمعه، وأزيد في ريعه،

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أملكوا العجين فإنه أحد الرعين، وعبتموني حين ختمت على سَلِّ عظيم، وفيه شيء، ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، على عبدِ نعيم، وصبيّ جشع، وأمة لكعاء، وزوجة مضیعة، وليس بين أهل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوى —

١٠ في نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمان الملبوس، وخطير المركوب — التابع والمتبوع، والسيد والمسود، كما لا تستوى مواضعهم في المجالس، ومواقع أسمائهم في العنوانات، ومن شاء أطمع كلبه الدجاجة السمينة، وعَلَفَ حمارة السَّمِيمِ الْمُقَشَّرِ، وعبتموني بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مُدَّ سَوِيقٍ، وختم على كيس فارغ، وقال طينة خير من ظنة، فأمسكتم عن ختم على لا شيء، وعبتم على من ختم على شيء، وعبتموني أبضا، أن قلت للغلام : إذا زدت في المَرَقِ، فزد في الإنضاج،

١٥ ليجتمع مع التأدم باللحم طيبُ المَرَقِ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا طَبَخَ أَحَدُكُمْ لَحْمًا، فَلْيَزِدْ مِنَ الْمَاءِ، فَمَنْ لَمْ يَصِبْ لَحْمًا أَصَابَ مَرَقًا، » وعبتموني بخصف النعل، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، والتفريق من التضييع، والاجتماع مع الحفظ،

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ ، وَيَلْطَعُ أَصَابِعَهُ ، ويقول : « لو أُهْدِيَ إِلَى كُرَاعٍ لَقَبِلْتُ ، ولو دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ » وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يَسْتَحْيِ من الخِلَالِ ، خَفَتْ مَثُونَتُهُ ، وَقَلَّ كِبَرُهُ » . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يَلْبَسِ الخَلْقَ ، وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحَدَّثًا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا ، فقال له : أكننتَ به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولعكنِّي رأيته في يوم قانظ ، يلبس حَلَقًا ، ويلبس الناس جديدا ، ففترست فيه العقل والأدب ، وقد علمت أن الخَلْقَ في موضعه ، مثل الحديد في موضعه ، وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا ، وسمى له موضعا ، كما جعل لكل زمان حالا ، ولكل مقام مقالا ، وقد أحيا الله بالسَّم ، وأمات بالغِذاء ، وأغص بالماء ، وقتل بالدواء ، وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسيين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين ، وقد جبر الأحنف بن قيس يد عزز وأمر مالك بن أنس بفرك البعر ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، وليس سالم بن عبد الله جلد أضحية ، وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى لك دجاجة ، قال : إن كان لا بد ، فاجعلها بيوضا ، وعبتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الفالى ، وقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية ، وأشف من الكفاية ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت في الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت مكنت الاقتصاد في أوائله لخرج أوله على كفاية آخره ، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر ، فعبتموني بذلك وشنعتموه على ، وقد قال الحسن وذكر السرف : أما إنه ليكون في الماء والكلأ ، فلم يرض

٥

١٠

١٥

٢٠٠

- بذكر الماء حتى أردفه بالكلا، وعبتموني انى قلت : لا يفترن أحد بطول عمره، وتقويس ظهره، ورقة عظمه، ووهن قوته، وأن يرى دخله أكثر من رزقه فيدعوه ذلك الى إنحراج ماله من يده ، وتحويله الى ملك غيره، أو تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه، فلعله أن يكون معمرًا وهو لا يدري وممدودا له فى السن وهو لا يشعر، ولعله أن يُرزَق الولد على اليأس، وتُحدث عليه آفات الكبر ما لا يخطر على باله، ولا يدركه عقله، فيسترده ممن لا يرده، ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب، وأقبح ما كان له أن يطلب، فعبتموني بذلك، وقال عمرو بن العاص : أعمل لديناك عمل من يعيش أبداً، وأعمل لأتركك عمل من يموت غداً، وعبتموني بأن قلت : إن التلف والتبذير الى مال الموارث، وأموال الملوك، وإن الحفظ الى المال المكتسب، والغنى المجتلب، والى ما يعرض فيه ١٠
- بذهاب الدين، وآهتضام العرض، ونصب البدن، وآهتاهم القلب أسرع، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر، وطاب نفسا بالذل، وعبتموني بأن زعمت أن كسب الحلال، مُضمَّنٌ بالإِنفاق فى الحلال، وأن الخبيث يتزعج الى الخبيث، وأن الطيب يدعو الى الطيب، وأن الإنفاق فى الهوى، حجاب دون الحقوق، ١٥
- وأن الإنفاق فى الحقوق حجاب دون الهوى، فعبتم على هذا القول، وقد قال معاوية بن أبى سفيان : لم أر تبذيراً قط، إلا وإلى جنبه حق مُضَيِّع، وقال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله، فانظروا فى أى شئ ينفقه، فإن الخبيث إنما يَنفَق فى السرف، وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر منى إليكم، أتم فى دار الآفات، والجوائح غير مأمونات، فإن أحاطت بمال ٢٠

أحكم آفة، لم يرجع إلى ثقة، فاحذروا النقم، باختلاف الأمكنة، فإن البلية لا تجري في الجميع، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد، والأمة، والشاة، والبعير: فرقوا بين المنايا، وأجعلوا الرأس رأسين، وقال ابن سيرين [لبعض البحرين^(١)]: كيف تصنعون في أموالكم؟ قالوا: نفرقها في السفن، فإن عطب بعض، سلم بعض، ولولا أن السلامة أكثر، ما حملنا أموالنا في البحر، فقال ابن سيرين: تحسبها خرقاء وهي صنائع، وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاق عليكم: إن للغنى سكرًا، والمال نزوة، فمن لم يحفظ الغنى من سكره، فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله، فعبتموني بذلك، وقد قال زيد بن جبلة: ليس أحد أقصر عقلًا، من غنى آمن الفقر، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر، وقد قال الشاعر في يحيى

ابن خالد

وهو بَلَد المال فيما يَبُوءُهُ * مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْرَمًا

وعبتموني حين زعتم، أني أقدم المال على العلم، لأن المال به يُفاد العلم، وبه تقوم النفس، قبل أن يُعرف فضل العلم، فهو أصل، والأصل أحق بالفضل من الفرع، فقلت: كيف هذا؟ وقد قيل لبعض الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ فقال: العلماء، قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بحق المال، وجهل الأغنياء بحق العلم، فقلت: حالها هي القاضية بينهما، وكيف يستوى شيء حاجة العلماء إليه، وشيء يغنى فيه بعضهم عن بعض، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم، والفقراء باتخاذ الدجاج، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: إني

(١) الزيادة لازمة من كتاب البغلاء.

لأبض أهل البيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط الله لك في الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض ، وعبثوني حين قلت : إن فضل الغنى عن القوت ، إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت ، إن احتيج إليها استعملت ، وإن استغني عنها كانت عُدَّةً ، وقد قال الحُصَيْنُ بن المنذر :
 وَدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلَ أَحَدِ ذَهَبَا لَا أُنْتَفِعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، قِيلَ لَهُ : فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِهِ ؟
 قال : لكثرة مَنْ كَانَ يَخْدُمُنِي عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْمَالَ يَخْدُومُ ، وَقَالَ بَعْضُ الْحِكَمَاءِ : عَلَيْكَ بِطَلْبِ الْغِنَى ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ عِزٌّ فِي قَلْبِكَ ، وَدُلُّ فِي قَلْبِ عَدُوِّكَ ، لَكَانَ الْحِطُّ فِيهِ جَسِيماً ، وَالنَّفْعُ عَظِيماً ، وَلَسْنَا نَدْعُ سِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَتَأْدِيبَ الْخُلَفَاءِ ، وَتَعْلِيمَ الْحِكَمَاءِ ، لِأَصْحَابِ الْهَوَى ، فَلَسْتُمْ عَلَى تَرَدُّونَ ، وَلَا رَأْيَ تُفَنِّدُونَ ، فَقَدَّمُوا النَّظَرَ قَبْلَ الْعَزْمِ ، وَأَذْرَكُوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْرِكُوا مَا لَكُمْ ، وَالسَّلَامُ .

١٠



ومن نوادر البخلاء ، قال رجل لبعض البخلاء : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنك جيّد المَضْغِ سَرِيعُ الْبَلْعِ ، إِذَا أَكَلْتَ لُقْمَةً هَيَّأْتَ أُخْرَى ، قَالَ : يَا أُنْحَى أَتَرِيدُ إِذَا أَكَلْتُ عِنْدَكَ أَنْ أَصِلَّ رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ كُلِّ لَقْمَتَيْنِ ؟ .

١٥

وقال آخر لبخيل : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنك تُعَلِّقُ ، وَتُشَدِّقُ ، وَتُحَدِّقُ ، أَيْ تَحْمِلُ وَاحِدَةً فِي يَدِكَ ، وَأُخْرَى فِي شِدْقِكَ ، وَتَنْظُرُ إِلَى الْأُخْرَى بَعِينِكَ .

وقال بعض البخلاء : أنا لا آكل إِلَّا نِصْفَ اللَّيْلِ ، قِيلَ لَهُ : وَلِمَ ؟ قَالَ يَبْرُدُ الْمَاءُ ، وَيَنْقِيعُ الذُّبَابُ ، وَأَمِنْ بَغَاةِ الدَّاحِلِ ، وَصَرَخَةُ السَّائِلِ .

وطبخ بعض البخلاء قِدرًا ، وجلس يأكل مع زوجته فقال : ما أطيبَ هذا الطعام ! لولا كثرة الزَّحام ، فقالت : وأى زحام وما ثمَّ إلا أنا وأنت ؟ قال : كنت أحبُّ أن أكون أنا والقِدر .

وقال بعض البخلاء لغلامه : هاتِ الطعام ، وأغلقِ الباب ، فقال : يا مولاي ، ليس هذا بحَزْم ، وإنما أُغلقُ الباب ، وأُقدِّم الطعام ، فقال له : أنت حُرُّ لوجه الله .
وعزم بعضُ إخوانِ أشعَبَ عليه ليا كلَّ عنده ، فقال : إنِّي أخاف من ثِقيل يأكل معي فينقُصُ لذتنا ، فقال : ليس عندي إلا ما تُحِبُّ فضي معي فبينما هما يأكلان ، إذا بالباب قد طُرق ، فقال أشعَبُ : ما أرانا إلا صرنا لما نكرو ، فقال صاحب المنزل : إنه صديق لي ، وفيه عشرُ خصال ، إن كرهتَ منها واحدة لم آذن له ، فقال اشعَبُ : هاتِ ، قال : أوقها ، أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ودَعَه يدخل ، فقد أَمِنَّا منه ما نخافه .

ذكر ما قيل في التطفيل

ويتصل به أخبارُ الأكلة والمؤاكلة

والتطفيل من اللؤم ، وهو التعرض إلى الطعام ، من غير أن يدعى إليه ، وسنذكر تلو هذا الفصل آدابَ الأكل ، والمؤاكلة ، والاقتصاد في المطاعم ، والعفة عنها ، وما يجرى هذا المَجْرَى ، وإن كان خارجا عنه ، وإنما الشيء يُذكر بالشيء ، والعرب تقول للطفيلي : الوارِش ، والراشِن ، قيل : هو مشتق من الطَّفَل ، وهو الظلمة لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذي لم يُدعَ إليه مستترا بالظلمة ، لئلا يُعرَف . وقيل : سُمِّي بذلك ، لإِظلام أمره على الناس ، لا يدرى مَنْ دعاه . وقيل : بل

من الطَّفَل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار، فيكون من الظلمة، ولذلك قيل: "أطفل من ليل على نهار"، وأول من سمي بهذا الاسم: طُفَيْل العرَّاس، وإليه ينسب الطُّفَيْلُونَ، وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدكم عرساً، فلا يلتفت تلفت المريب، ويتخيَّر المجالس، وإن كان العرس كثير الزحام، فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظنَّ أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظنَّ أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وإن كان البواب غليظاً فاحشاً، فليبدأ به، ويأمره وينهاه من غير أن يُعَنَّف عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال .

- وأشهر من نُسب إليه هذا الاسم، وكثرت عنه الحكايات، بُنَّان الطُّفَيْلُ، وهو عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَّان، وأصله مَرْوَزِيّ وأقام ببغداد، وكان نقشُ خاتمته، "مَا لَمْ لَا تَأْكُلُون". حكى أن رجلاً سأله أن يدعوله، فقال: ١٠
- ألهم آرزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، ونقاء المِعْدَةِ، وأمتعته بِضْرَس طَحُون، ومِعْدَةِ هَضُوم، مع السعة والدَّعة، والأمن والعافية؛ وقال يُوصي بعض أصحابه: إذا قعدتَ على مائدة وكان موضعك ضيقاً فقل للذي يليك: لعل ضيقك عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول: موضعي واسع، فيتسع عليك موضع رجل؛ وقال له طفيلي: أوصني، فقال: لا تصادِقَنَّ من الطعام شيئاً، فترفع يدك عنه وتقول: ١٥
- لعل أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز ووهن، قال: زدني، قال: إذا وجدت خبزاً فيه قِلة، فكل الحروف، فإن كان كثيراً فكل الأوساط، قال: زدني، قال: لا تكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصدِّك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفي، قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فكل منه أكل من لم يره قط، وتزوّد منه زاد من لا يراه أبداً، قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فأجعله زادك إلى الله تعالى، ٢٠

وقال : إذا دعاك صديق لك ، فاقعد يَمَنَّةَ البيت فإنك ترى ما تُحِبُّ ، وتسودهم في كلِّ شيء ، وتسبقهم إلى كلِّ خير ، وأنت أول من يغسل يده والمِنْدِيل جاف ، والماء واسع ، والخلوان بين يديك يوضع ، والنبيذ أول القِنِينَةِ ورأسها تشربه ، والنقل متخَب ، يوضع بين يديك ، وتكون أول من يتبَخَّر ، فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتج أن تختطأهم ، وأنت في كل سرور إلى أن تنصرف . قال البديع الحمذاني في طفليين يشبههم بُنَّان

خَلَقْتُم بُنَّانَا فكم من أديب * من الغَيْظِ عَصَّ عليكم بُنَّانَا
إذا ما النهار بدا ضَوْؤُهُ * غدوْتُم نَحْاصَا ورُحْمُ بَطَّانَا

ومنها : عثمان بن دراج ، قيل له : كيف تصنع إذا لم يدخلك أهل العرس ؟ قال : أنوح على الباب ، فيتطيرون فيدخلونني . وحكى أبو الفرج الأصفهاني : أن عثمان هذا ، كان يلزم سعيد بن عبدالكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب ، فقال له : ويحك ! إني أبخل بأدبك وعلمك ، وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل ولى وظيفة راتبة في كلِّ يوم ، فالزمني وكن مدعوا ، أصلح لك مما تفعل ، فقال : يرحمك الله فأين لذة الحديد ، وطيب التنقل كل يوم إلى مكان ؟ وأين هُويَاك ووظيفتك من احتفال العرس ؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأما إذا ثبت ذاك : فإذا ضاقت عليك المذاهب فأتني قال : أما هذا فنعم ، قال : وقال له رجل : ما هذه الصُّفْرة التي في لونك ؟ قال : من الفترة التي بين القُصْعَتَيْنِ ، ومن خوفي في كلِّ يوم من نفاد الطعام قبل أن أشبع ، وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان ؟ فقال : إى والله ، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا ، قيل له : فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره ، وتقبل

٥

١٠

١٥

تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال، وعثمان هذا الذي يقول

لَذَّةُ التَّطْفِيلِ دُومِي * وَأَقِيمِي لَا تَرَبِّي
أَنْتِ تَشْفِينِ غَلِيلِ * وَتُسَلِّينِ هُومِي

- ولم أخبار وحكايات، منها: ما نقل عن نصر بن علي الجهضمي أنه قال: ٥
كان لي جار طفيل، إذا دعيت إلى مدعاة ركب معي وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان نظيفا عطرا، حسن اللباس والمركب، وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمي حق دعاله أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئذ أمير البصرة، فقلت في نفسي: إن تبغى هذا الرجل إلى دار الأمير لأخزيته، فلما كان يوم الحضور، جاءني الرسول، فركبت، وإذا به قد تبغى حتى ١٠
دخل بدخولي، وأرتفع حيث أجلس، فلما حضرنا الطعام، قلت: حدثنا درستُ ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دخل إلى دار قوم بغير إذنهم، دخل سارقا، وخرج مغبرا، ومن دُعي ولم يُجب فقد عصي الله ورسوله»، فظننت أني قد أشرفت على الرجل وقصرت من لسانه، فأقبل علي وقال: أعيذك بالله من هذا الكلام في دار الأمير، فإن الأشراف ١٥
لا يحتلمون التعريض باللؤم، وقد حَظَرَ الدينُ التعريضَ، وعزَّرَ عليه عمر رضي الله عنه، ووليمة الأمير دعاء لأهل مصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية، والرفادة، والمطمعين الأفضلين الذين هَشَمُوا التَّريْدَ، وأبرزوا الحَفَانَ لمن غدا إليهما، ثم لا تُوزع وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحدثت عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان ابن طارق وهو متروك الحديث بحكم رفعه الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمون ٢٠

على خلافه، لأن حكم السارق القطع، والمغير يُعزَّرُ على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دارا في جمع فيتناول لُقمًا من فضل الله الذي آتى أهلها ثم لا يُحدثُ حدثًا حتى يخرجَ عنها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «طعامُ الواحد يَكْفِي الاثنين، وطعامُ الاثنين يَكْفِي الأربعة»، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ عَنْ أَبِي جَرِيحٍ عَنْ أَبِي الزَّيْدِ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّكَ أَنْتَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْإِسْنَادِ وَالْمَتْنِ؟ قَالَ نَصْر: فَأَصَابَتْنِي تَحْجَلَةٌ شَدِيدَةٌ، فَلَمَّا نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى مَا بِي أَكَل وَنَهَضَ قَبْلِي، فَلَمَّا خَرَجْتُ وَجَدْتُهُ وَاقِفًا عَلَى دَابَّتِهِ بِالْبَابِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ بَعْنِي، وَلَمْ يَكَلِّمْنِي وَلَمْ أَكَلْمْهُ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهُ يَتَمَثَلُ

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلَاقِي الْحُرُوبَ * بَأَنَّ لَا يُصَابُ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا

وقيل: مرّةً طفيليًّا بسكة النَّخَعِ بالبصرة على قوم، وعندهم وليمة، فاقترح عليهم، وأخذ مجلسه مع مَنْ دُعِيَ، فأنكره صاحب المنزل، فقال له: لو تأملتَ أو وقفتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ، أَوْ يُبْعَثَ إِلَيْكَ، قَالَ: إِنَّمَا أَتَخَذُ الْبُيُوتَ لِيُدْخَلَ إِلَيْهَا، وَوُضِعَتِ الْمَوَائِدُ لِيُؤْكَلَ مَا عَلَيْهَا، وَمَا وَجَّهَتْ بَهْدِيَّةٍ فَاتَوَقَّعِ الدَّعْوَةَ، وَالْحِشْمَةُ قُطِيعَةٌ، وَأَطْرَاحُهَا صَلَةٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ»، ثُمَّ أَنْشَدَ

كُلُّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرَصَةِ الدَّاءِ * رَأَيْتُ الْقَتَارَ شَمَّ الدُّبَابِ

فَإِذَا مَا رَأَيْتُ أَتَارَ عُرْسٍ * أَوْ دُخَانًا أَوْ دَعْوَةَ الْأَصْحَابِ

لَمْ أُعْرِجْ دُونَ التَّقَحُّمِ لَا أُرَى * هَبْ شَتْمًا وَلِكْرَةً الْبَوَابِ

مُسْتَهِينًا بِمَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ * غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابِ

فَتَرَانِي أَلْفَ بِالرَّغْمِ مِنْهُ * كُلُّ مَا قَدَّمُوهُ لَفَّ الْعُقَابِ

ووصف طفيليّ نفسه فقال

نحن قومٌ إذا دُعِينَا أَجَبْنَا * ومتى نُسَّ يَدْعُنَا التَّطْفِيلُ
قولنا : علّنا دُعِينَا فَعَبْنَا * أوْ أتاَنَا فلم يَجِدْنَا الرسولُ

وقال آخر

نحن قومٌ يُحِبُّ هَذِي رسولِ اللَّهِ هَذِيَا به الصَّوَابَ أَصَبْنَا
فادْعُنَا كُلَّما بَسَطْتَ فَإِنَّا * لو دُعِينَا إلى كُرَّاجٍ أَجَبْنَا

وقال آخر

نحن قومٌ إِنْ جَفَا النَّاسُ * سَوْصَلْنَا مِنْ جَفَانَا
لَا بُدَّ لِي صَاحِبِ الدَّاءِ * رَسِينَا أَمْ دَعَانَا

وقال آخر وقد أَقْبَلَ إلى طعام، من غير أن يُدْعَى إليه فقال له صاحب الصنيع :
مَنْ دَعَاكَ ؟ فانشد

دَعَوْتُ نَفْسِي حِينَ لَمْ تَدْعُنِي * فَالْحَمْدُ لِي لَا لَكَ فِي الدَّعْوَةِ
وَكَانَ ذَا أَحْسَنَ مِنْ مَوْعِدٍ * إِخْلَافُهُ يَدْعُو إِلَى جَفْوَةٍ

وقد مدح أَبُو رَوْحٍ ظَهْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْهَرَوِيَّ طِفْلِيًّا وَلَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ، فقال
إِنَّ الطِّفْلِيَّ لَهُ حُرْمَةٌ * زَادَتْ عَلَى حُرْمَةِ نَذْمَانِي
لِأَنَّهُ جَاءَ وَلَمْ أَدْعُهُ * مُبْتَدَأًا مِنْهُ بِإِحْسَانٍ

ودخل طفيليّ إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فما الذي جاء بك ؟ فقال :
إذا لم تدعوني ولم آت، وقعت وحشة، فضحكوا منه وقرَّبوه .

وقيل : مرّة طفيليّ على قوم يتعدّون ، فقال : سلام عليكم معشر اللّثام ، فقالوا : لا والله ، ! بل كرام ، فثنى ركبته ونزل ، وقال : اللهمّ آجعلهم من الصادقين ، وآجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخو ذى الرقة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُقعة كلبا يشركهم في فضلة الزاد ، فإن آستطعت أن لا تكون كلب الرّفاق فأفعل .

ونظر طفيليّ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فظنهم يُدعون إلى صنيع ، فتلطّف حتّى دخل في ليفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشرّطة ، أمر بضرب أعناقهم ، فقدموا واحدا بعد واحد حتّى آتّوها إلى الطفيليّ فلما قدّم للقتل آلتفت إلى صاحب الشرّطة ، فقال له : إنيّ والله ما أنا منهم ، ولا أعلم بما يدينون ، وإنما أنا طفيليّ ظننتهم يُذهبُ بهم إلى صنيع ، فتلطّفت حتّى دخلت في جملتهم ، فقال ليس هذا مما ينبغيك ، أضربوا عنقه ، فقال : أصلحك الله ، إن كنت عزمت على قتلي ، فأمر السيف أن يضرب بطني بالسيف ، فإنه هو الذى أوقعني في هذه الورطة ، فضحك ، وكشف عنه ، فأخبر أنه طفيليّ معروف ، نفلى سبيله .

وحكى أن المأمون أمر أن يُحمل إليه عشرة من الزنادقة سُئوا له من أهل البصرة ، فجمّعوا ، فأبصرهم طفيليّ ، فقال : ما آجتمعوا إلا للصنيع ، فدخل في وسطهم ومضى بهم الموكّلون ، حتّى آتّوها إلى زورق قد أُعدّ لهم ، قال الطفيليّ : هي نُزّهة ، فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قيّدوا ، وقيدَ معهم الطفيليّ ، ثم سير بهم إلى بغداد ، فأدخّلوا على المأمون ، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب أعناقهم ، حتّى وصل إلى الطفيليّ ، وقد آستوفى العدة ، فقال للوكلين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غير أنّنا وجدناه مع القوم ، فجئنا به ، فقال له المأمون :

- ما قَصَّتُكَ؟ وبِكَ! فقال يا أمير المؤمنين : آمرأتى طالق إن كنت أعرف من أقاويلهم شيئا ولا مما يدينون به وإنما أنا رجل طفيلٌ ، رأيْتُهُم مجْتَمِعين ، فظننتُ صنيعا يُدْعَوْنَ إليه ، فضحك المأمون وقال : يُؤَدَّبُ ، وكان إبراهيم بن المهدي قائما على رأس المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي أدبه ، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسى ، قال : قل يا إبراهيم ، قال : يا أمير المؤمنين ، خرجتُ من عندك يوما ، فطُفْتُ في سِكَكِ بغداد متطرِّفا ، حتَّى آتَيْتُ إلى موضع كذا ، فشملت من قُتَارِ أَبَازِيرِ قُدُورٍ قد فاح ، فتاقت نفسى إليها ، وإلى طيب ريحها ، فوقفت إلى خياط ، فقلت له : لِمَنْ هذه الدار؟ فقال : لرجل من التجار ، قلت : ما اسمه؟ قال : فلان بن فلان ، فرميت بطرفى إلى الدار ، فإذا شُبَّاكٌ فيها مطلٌ ، وإذا كَفٌّ قد خرج من الشُبَّاكِ وَمِعْصَمٌ ، فشغلنى حسنُ الكَفِّ والمعصم عن راحة القُدُورِ ، فَبِهُتُ ساعة ، ثم أدركنى ذهنى ، فقلت للخياط : أهو يَمْنُ يشربُ النَبِيدَ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليومَ دعوة ، وهو لا ينادم إلا تَجَّاراً مثله مستورين ، فأنى لك ذلك ، إذ أقبل رجلان نيلان راجبان من رأس الدَّرْبِ ، فقال لى الخياط : هؤلاء منادماه ، فقلت : ما أسماهما وما كُتَّاهما؟ فقال : فلان وفلان ، فخرَّكتُ دابتى وداخلتهما ، وقلت : جُعِلْتُ فِدَاكِ ، قد أَسْتَبْطَأُكِ أبو فلان ، وسائرتهما حتَّى بلغنا الباب فأجَلَّانِي وقَدَمَانِي ، فدخلت ودخلا ، فلما رَأَى صاحب المنزل معهما ، لم يشك أنى منهما ، فَرَحَّبَ بى وأجلسنى فى أفضل المواضع ، فحَى يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبز نظيف وأُتِينَا بتلك الألوان ، فكان طعمهما أَطْيَبَ من ريحها ، فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد أَكَلْتُهَا ، بَقِيَتِ الكَفُّ ، كيف إلى صاحبتها؟ ثم رُفِعَ الطعام ، وحِىَّ بِالْوَضُوءِ ، ثم صرنا إلى مجلسِ المنادمة ، فإذا أَشْكَلُ منزل ، وجعل

صاحب المنزل يلطف بي ، ويميل عليّ بالحديث ، حتّى إذا شربنا أقداحا ، خرجت علينا جارية ، كأنها بدر ، لتثنى يا أمير المؤمنين كالخيزران ، فأقبلت ، وسألت غير تجلّة ومُنيت لها وسّادة ، فجلست عليها ، وأتى بالعود فَوَضَعَ في حِجْرِهَا ، فحسنته فاستبينتُ حَذَقَهَا في جَسَمِهَا ، ثم آندفعت تُعَنِّي

تَوْهَمَهَا طَرَفِي فَأَصْبَحَ حَذُّهَا * وفيه مكان الوهم من نظري أثرُ
تُصَافِحُهَا كَفَنِي فَنُؤَلِّمُ كَفَهَا * فَمِنْ مَسِّ كَفَنِي فِي أَنَامِلِهَا عَقْرُ

فَهَيَّجْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَالِي ، وَطَرِبْتُ لِحَسَنِ شَعْرِهَا ، ثُمَّ آندَفَعْتَ تَعَنِّي
أَشْرْتُ إِلَيْهَا هَلْ عَرَفْتَ مَوَدَّقِي ؟ * فَدَثَّ بِطَرْفِ الْعَيْنِ إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ
فَدَثْتُ عَنِ الْإِظْهَارِ عَمْدًا لِسَرِّهَا * وَحَادَتْ عَنِ الْإِظْهَارِ أَيْضًا عَلَى عَمْدِ

فَصَحَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَاءَنِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ ، ثُمَّ آندَفَعْتَ
فَفَنَنْتُ الصُّورَ الثَّالِثَ

أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ بَيْنَنَا يَضُمُّنِي * وَلِيَاكَ لَا نَخْلُو وَلَا نَتَكَلَّمُ !
سَوَى أَعْيُنٍ تَشْكُو الْهَوَى بِجَفُونِهَا * وَتَقْطِيعِ أَكْبَادٍ عَلَى النَّارِ تُضَرِّمُ
إِشَارَةَ أَفْوَاهٍ وَتَعْمَزُ حَوَاجِبِ * وَتَكْسِيرِ أَجْفَانٍ وَكَفِّ تَسْلَمُ

فَحَسَدَتْهَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حَذَقِهَا وَمَعْرِفَتِهَا بِالْغِنَاءِ ، وَإِصَابَتِهَا لِمَعْنَى الشَّعْرِ ،
فَقُلْتُ : بَقِيَ عَلَيْكَ يَا جَارِيَّةُ ، فَضَرِبْتُ بِالْعُودِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَتْ : مَتَى كُنْتُمْ تُحْضِرُونَ
مَجَالِسَكُمْ الْبُعْضَاءَ ؟ فَتَدَمَّيْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي ، وَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ تَغَيَّرُوا لِي ، فَقُلْتُ :
أَمَّا عِنْدَكُمْ عَوْدٌ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَأَتَيْتُ بِعُودٍ ، فَأَصْلَحْتُ مِنْ شَأْنِهِ ثُمَّ غَنَيْتُ

ما للنازل لَا يُجِيبَ حَرِينَا * أَصْمَنَ أَمْ قَدُمَ إِلَيَّ فَبَلِينَا؟

راحوا العِشِيَّةَ رَوْحَةً مذكورة * إِنَّ مُتَنَ مُتْنَا أَوْ حَيِّنَ حَيِّنَا

فَمَا اسْتَمْتَمْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى قَامَتِ الْجَارِيَةُ، فَأَكَبْتُ عَلَى رَجُلٍ تَقْبَلُهُمَا،

وَقَالَتْ : مَعْدِرَةٌ بِإِسِيدِي، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يُغْنِي هَذَا الصَّوْتَ غِنَاءَكَ، وَقَامَ

مَوْلَاهَا وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ، ففَعَلُوا كَفَعْلَهَا، وَطَرَبَ الْقَوْمُ وَأَسْتَحْثُوا الشَّرْبَ فَشَرَبُوا، ثُمَّ
أَنْدَفَعْتُ أُغْنِي

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَمْشِي وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرهَا الدِّمَا

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُحْلَهَا وَسِمَاحِي * لَهَا عَسَلٌ مِنِّي وَتَبَذَلَ عَقْلًا

فَرُدِّي مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتْلَتِهِ * وَلَا تَتْرُكِيهِ ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُقَرَّمَا

فَطَرَبَ الْقَوْمُ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ عَقُولِهِمْ، فَأَمْسَكَتْ عَنْهُمْ سَاعَةً حَتَّى تَرَجَعُوا، ثُمَّ
غَنَيْتُ الثَّالِثَ

هَذَا نُجَيْكَ مَطْوِيًّا عَلَى كَمِيدِهِ * عَبْرِي مَدَامُعَهُ تَجْرِي عَلَى جَسَدِهِ

لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ * مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبِيدِهِ

بِفَعْلَتِ الْجَارِيَةِ تَصِيحُ: هَذَا الْغِنَاءُ وَاللَّهُ بِإِسِيدِي، لَا مَا كُنَّا فِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ، وَسَكِرَ

الْقَوْمُ، وَكَانَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ حَسَنَ الشَّرْبِ، صَحِيحَ الْعَقْلِ، فَأَمَرَ غُلَامَانَهُ أَنْ يُخْرِجُوهُمَا

وَيَحْفَظُوهُمَا إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَخَلُوتُ مَعَهُ، فَلَمَّا شَرِبْنَا أَقْدَاحًا، قَالَ : بِإِسِيدِي، ذَهَبَ

مَا مَضَى مِنْ أَيَّامِي ضَيَاعًا، إِذْ كُنْتُ لَا أَعْرِفُكَ، فَمَنْ أَنْتَ؟ وَلَمْ يَزَلْ يَلِجُ عَلَيَّ، حَتَّى

أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، فَقَامَ وَقَبْلَ رَأْسِي، وَقَالَ: وَأَنَا أَعْجَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدَبُ إِلَّا لِلْمَلِكِ!

وَإِنِّي بِلِجَالِيسِ مَعَ الْخِلَافَةِ وَلَا أَشْعُرُ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي، فَأَخْبَرْتَهُ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى

صَاحِبَةِ الْكَفِّ وَالْمَعْصَمِ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : قَوْمِي فَقُولِي لِفُلَانَةٍ تَنْزِلُ، فَلَمْ تَزَلْ تَنْزِلُ

جواريه واحدةً واحدةً، فانظر إلى كَفَّها ومِعَصَمِها، وأقول : ليس هي هذه ! حتى قال : والله ما بقي غير أختي وأُمِّي، والله لا تُزِلُّها إليك، فعجبتُ من كرمه وسعة صدره، فقلت : جُعِلْتُ فداك، أبدأ بالأخت قبل الأُم فعسى أن تكون هي، فبرزتُ، فلما رأيتُ كَفَّها ومِعَصَمِها، قلت : هي هذه فأمر ! غلمانها، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّةِ جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر بيَدْرَتين فيهما عشرون ألف درهم، ثم قال للمشايخ : هذه أختي فلانة، أشهدكم أني قد زوجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي، وأموهبتها عنه عشرين ألف درهم، فَرَضِيَتْ وَقِيلَ التَّكاح، فدفع إليها بَدْرَةً، وفترق الأخرى على المشايخ وصرفهم، ثم قال : ياسيدي، أمهد بعض البيوت فتنام فيه مع أهلك، فأحشمني ما رأيت من كرمه، فقلت : أحضر عَمَّارِيَّةً^(١) وأحملها إلى منزلي، ففعل، فوالله يا أمير المؤمنين، لقد أتبعها من الجَهاز ما ضاقت عنه بيوتنا، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين، يشير إلى ولده، فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله، وأطلق الطفيل وأجازه .

٥

١٠

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني وهو الذي حاز قصبات السبق في فن الأدب على أتراكه، وفاز من البلاغة بِقِدْحِهَا الْمُعَلَّى في عُتُقُوان شبابه، رسالة وضعها في هذا الفن، وصار له بها على أهله غاية المَنِّ، مع نزاهة نفسه الأيَّة، وارتقاعه عن المطاعم الدنية، وإيماء وضعها تجربة لحاطره، وضماها إلى فوائد دقاتره، وهي :

١٥

هذا عهد عهده زارِد بن لاقم، لبالع بن هاجم، آسفتحه بأن قال : الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها، وناظم أسباب الخيرات ومُكثِّرها، وجاعل أسواق الأفرح قائمة على ساق، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق، أحده

٢٠

(١) العامريَّة : هودج يُجَلَس فيه .

- على أن أحلنا في منازل السادات، أرفع الدرجات، وأحل لنا من الأطعمة الفائقة الطيبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصنا بالمحل الحسيم المنيع، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام، ومعدن الجسارة والإقدام، الجامع بين فضيلتي الطعان والطعام، صلى الله عليه وعلى آله أهل السباحة والكرم والإكرام، صلاة تُحل قائلها في غُرَفَاتِ الحنان في دار السلام، وبعد، فإن صناعة التطفيل صناعةٌ مَهُوبَةٌ، وحِرْفَةٌ هي عند الظرفاء محبوبة، لا يلبس شعارها إلا كلُّ مقدام، ولا يرفع خافقَ علمها إلا من عُدَّ في حِرْفَتِهِ من الأعلام، ولا يتلو أساطير شهادتها إلا من أرتضع أفوايق الصِّفَاقَةِ، ولا يهتدى لمَنَارِ عَلَاقِهَا إلا من نزع عن منكبَيْهِ رِداءَ الرِّقَاعَةِ والحِماقَةِ، وكُنْتُ والقَوْدُ غَدَاقِي الإِهَابِ، والغصن رَيَّان من ماء الشباب، والقَدُّ يَمِيسُ في حُلَّةِ النَشَاطِ، والقَدَمُ تَدْرَعُ الأرضَ ذَرَعَ الاختِباطِ، لا يُقامُ سوقٌ وليمة إلا وأنا الساعى إليها، ولا ترفع أعلام نارِ مَادِبَةٍ إلا وكنت الواقف لديها، أتخذ الدروب شِباكًا للأصطياد، وجبائل أبلغ بها لذيق الأزدِراد، قد جعلت المعطس حليف الهواء، والقلب نزِيلَ الأهواء، فحيث عَبَقَتْ روائحُ الأَبَازِيرِ من أعلى تلك القصور، وتمددت تلك الشوارع بزعفران البَرَمِ والقُدُورِ، أَلْقَيْتُ عصا المِيسِيرِ على الباب، وَحَلَبْتُ بحسن أدبي قَلْبَ البواب، وأوسعت في وصولي أَلْفَ حيله، وجعلتها على ما عندي من حسن فنونها نَحِيلَه، فلا دعوة، إلا وكنت عليهم دعوة، ولا وليمة خِتَان، إلا وقد طلعت على أرجائها مثل الجحان، ولا سِمَاطُ تَانِيْبٍ، إلا وكُنْتُ إليه الساعى المنيب، ولا يَجْمَعُ ضِيافَةٌ، إلا وكنت عليه أشدَّ آفَةٍ، ولا ملاكُ عُرسٍ مشهود، إلا وأنتظمت في سلك الشهود، يحسن في قول القائل

لو طُبِخَتْ قَدْرَ بَمَطُورَةٍ * مَوْقِدُهَا الشَّامُ وَأَعْلَى الثَّغُورِ

وَأَنْتَ فِي الصِّينِ لَوَافِيتِهَا * يَا عَالَمَ الْغَيْبِ بِمَا فِي الْقُدُورِ

واليوم قد مال القويمُ إلى الأعوجاج ، وعزَّ بازى الشيب غُرَابَ الشعر الداج ،

وقيد الزمنُ أقداما ، ومنعت الشيخوخة إقداما ، وصرتُ لحما على وَصَمٍ ، بعد أن كنت

نارا على عِلَمٍ ، وقد أفادتني التجربةُ من هذه الصناعة فنونا ، وتلت على من محاسنها متونا ،

وقد أقيمت لكل مجمع بابا ، وفذلكت لكل مشهد حسابا ، وقد آقتضى حسن الرأى

أن أفوض إليك أمرها ، وأودع تأمورَ قَلْبِكَ وحِسَّك سِرَّها ، علمى بأنك الكيس

الفطن ، بل الأملئ الذربَ المَرِنَ ، لو عقدت أكلةً الولائم يقَابَ وجهه ، وأحسن بتأنيهِ

الجميل مدخله ومخرجه ، وقد شاهدتُ من أعمالك الصالحة ، ما يقال عند ذهابي :

ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد عَهِدْتُ إليك ، وأسخرتُ الله في التعويل عليك ،

فمثلك من يُخَطَّبُ للناصب ، ويتسَمَّ ذَرَوَةُ المراتب ، ودونك ما أنطق به من الوصايا ،

وأحفظ ما يَمرُدُّه لسانُ القلم من جميل المزايا ، إياك وموائد اللثام ، وأنزل بساحات

الكرام ، وأتخذ الشروع في الشوارع حرفة ، وأظهر على مشيك صِلَافَةً وَعِفَّةً ، وميَّز

بعينك حُسْنَ المساطب ونَقَشَ السُّتُور ، وجمال الخدم وقُعود الصدور ، وأقصد

الأبواب العالية ، والأكلة المنقوشة الحالية ، فإن دُلِّت على مأدبة نصبتها بعض

الأعيان ، وجمع إليها أصحابه الإخوان ، فالتبس من ثيابك الجميلة قشيبها ، وضوَّع

بالمندل الرطب طيبها ، وأتقن خُبَرَ صاحب الدار وأخباره ، وقف في صدر الشارع

من الحاره ، فإذا رأيت الجمع وقد تهادوا بالهوادي والأقدام ، وتهادوا فيما بينهم لذيدَ

الكلام ، تقدَّم إليهم بقلب قلب الأمور ، وعلم بحسن تطاعه وتضلعه داء الجمهور ، وقل

لهم : رب الدار قد استبطأكم ، فما الذى أبطأكم ؟ حتَّى إذا قاربوا صُعود العتبة ،

❦

٥

١٠

١٥

٢٠

- ولم تبقَ هنا لك مَعْتَبَةٌ ، تقدّم رافعا لم السُتُور ، ومعزّفا بمقدار أولئك الصدور ،
 فالأضياف ، يعتقدون أنك غلام المضياف ، وربُّ الحِلَّةِ ، يعتقد أنك رفيق السادة
 الحِلَّةِ ، وإن وَبَحَتْ مجتمع خُتان ، وقد نُصِبَتْ فيه موائدُ الألوان ، وَذُرِفَتِ الأبواب ،
 وَكَفَهَرَتْ وجوهُ المُجَنَّبِ ، فاجعل تحت ضِئْبِكَ المجمع ، وأخدع قلوبهم فمثلك من
 يَتَّخِذُ ، وقل : رفيق الأستاذ ومعينه ، ورجله التي يسعى بها بل يمينه ، فحينئذ تُرْفَعُ
 السُّتُور ، وتُقدَّمُ لك أطيبُ القُدُور ، وإن رماك القَدَرُ على باب غفل عنه
 صاحبه ، وسها في غفله حاجبه ، وقد مدّوا في أوانيه سِمْطًا ، وجعلوا لأوائل من
 يقدمه فِرَاطًا ، وقد تقاربت الزبادي ، وأمتدت الأيادي ، ورأيت السَّيَّاطَ رَوْضَةً
 تحالفت ألوانها ، وأمتدت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل
 بروج ثابتة تُشْعِرُ بسكونها ، فليج على غفلة من الرقيب ، وأبسُط بَنانَ الأكل وكُفِّ
 لسان الحبيب ، فإن قيل لك : أما غلّق دونك باب ؟ فقل : ما على الكرماء من حِجَاب ،
 وإِيَّاكَ والإِطالَةَ على الموائد ، فإنها مصايِدُ الشوارد ، وإِيَّاكَ والقَدَّارَةَ عليها ، فإنها إمارة
 الحِرْمان لديها ، وإن وقعت على وليمة كثيرة الطعام ، فليلة الأزدحام ، كَبَرُ اللقمة ولا تطل
 عَلَئِهَا ، ومُرُ الفِكِّ في سرعة أن يَفُكَّهَا ، فإنك ما تدرى ما تُحدث الليالي والأيام ، خِيفَةٌ
 أن يَمُرَّ عليك بعض الأقوام ، فتكتسى حُلَّةُ النَجَلِ ، وتظهر على وجهك صُفرة
 الوجَلِ ، وأجعل من آدابك ، تطلّع الى أثوابك ، ولا ترفع لمستجَلٍ وجهها وجبها ،
 وقل لمن يحادثك : إيه ولا تقل : إِيها ، وجاوب بنعم ، فإنها مُعِينَةٌ على اللَّقَمِ ، وأجعل
 لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومِلْ على أهل الولايم والمآدب مِيلَةً وَأَتَى مِيلَةً ،
 وأسأل عمن ورث من آبائه مالا ، وقد جمعه بوَعَاءِ السفر وعَتَائِهِ حراما وحلالا ،
 أهل يَعتقد مقاما ؟ أم يبلغ من دنياه بالقصف مراما ؟ فإن قيل : فلان الفلاني رَبَّ
 ٢٠

هذه المثابة ، وصاحب الدعوة المحابة ، فكن ثالثة الأثافي لِيَابِهِ ، وَاَتَتَّظَمُ في سلك
عشرائه وَأَتَرَّابِهِ ، وَتَفَقَّدِ الأسواقَ خصوصاً الخَّامِينَ ، وَمَوَاطِنَ الطَّبِخِ وَمَسَاطِبَ
المطربين ، وَتَجَمَّعِ القراءَ ومعهَدَ محالِّ الوَعَاظِ ، وَكُلَّ بقعة هي مَظَنَّةٌ فرح يعود عليك
نفعه وكن أوَّلَ داخلٍ وآخر خارجٍ ، وملِّ لِمَا الزوايا ، فهي أَجْمَلُ مالهذه الحِرْفَةِ من
المزايا ، وَتَقَلَّ رِكَابَكَ في كُلِّ يومٍ ، فسارة في سوق اللحم وتارة في سوق التَّوَمِ ، وَغَيْرَ
الحِلْيَةِ ، وَقَصْرِ الخِيَةِ ، وَأَبْرُزُ كُلِّ يومٍ في لباسٍ ، فهو أَكْثَرُ للالتباسِ ، وَجَدَّدِ البَهْتَ
حتى تَحْدِثَ عَصَاكَ ، وَتَجْعَلَهُ ذَرِيعةً لِمَنْ عَصَاكَ ، وَأَتَقِنِ الفنونَ المحتاجَ إليها من غنى
ونجامة ، وطب وشهامة ، وتاريخ وأدب ، وكرم أصل وحسب ، وحالتى التوقيت
والتزليل ، فاجعلهما دأبك ، فإذا عرفوك ، وحضر الجمعُ وكشفوك ، فَطَرَّزْ كُلَّ مَحْفَلٍ
بمحاسن أقوالك ، وَكُلِّ جِيدَ كُلِّ مَادُّةٍ ببجواهر أفعالك ، وَاعْلَمْ أنها صنعة دَثَرَتْ
معالمها ، وفلَّ عالمها ، ولو لم أَرَّ على وجهك محائلِ بَشَرِهَا ، وعلى أعطافِ أُرْدَاكَ روائجَ
نَشْرِهَا ، لما أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كِتَابَ عهدِها ، وَلَا حَمَلْتُ لِبَابِكَ رَايةً مَجْدِهَا ، فَتَلَقَّ رَايةً
هذا العهدِ بساعِدِ مُسَاعِدٍ ، وَعَضُدٍ في الوُلُوجِ على الأَشْمِطَةِ مُعَاوِدٍ ، فَوَضْتُ إِلَيْكَ أَمْرَ
مَنْ تَحُلَّى ببجواهرها المنظومة ، وَلَيْسَ حُلَّهَا القَشِيبةَ المرقومة ، وَبَسَطْتُ لِسَانَ
قَلَمِكَ في رَقْمِ عهدِها ، وَأَذَنْتُ لَكَ أَنْ تُجَرِّمَهُمْ على سَنَنِ معهودِها ، وَإِلَاكَ أَنْ تَعَهَّدَ
إِلَّا لِمَنْ مَلِكٌ خِصَالُهَا ، وَجَاسَ خِلَالُهَا ، وَأَسْتَجِلَّ هِلَالُهَا ، وَأَتَقِنَ أَحْوَالُهَا ، وَلا يَـ
عامةً ، وَكَلِمَةً مُبَرَّمةً تامةً ، حَرَسَ اللهَ بِكَ مَعْفَلَ الأَدَبِ وَاللَّطَافَةِ ، وَمَحَاكَ مَعَالِمَ
الثِقَالَةِ وَالْخَفَافَةِ .

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ
 إِنَّ كُنتُم بِآيَاتِهِ تَعْبُدُونَ) وَرَوَى أَن دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ،
 أَجْتَمِعُوا لِأَعْلَمِكُمُ التَّقْوَى ، فَاجْتَمِعُوا قِفَامَ فِي مَحْرَابِهِ ، فَبَكَى ثُمَّ حَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
 ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تُدْخِلُوا هَاهُنَا إِلَّا طَيِّبًا ، وَلَا تُخْرِجُوا مِنْهُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَأَشَارَ
 ٥ إِلَى فِيهِ . قِيلَ : أَوَّلُ آدَابِ الْأَكْلِ ، مَعْرِفَةُ الْحَالِلِ مِنَ الْحَرَامِ ، وَالْخَبِيثِ مِنَ
 الطَّيِّبِ .

وأما الآداب في هيئة المؤاكلة وأفعالها ، فَقَدْ رَوَى أَن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مَاعَابَ طَعَامًا قَطُّ ، إِنْ أَشْتَاهَا أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ . وَرَوَى أَن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 ١٠ قَالَ : « لَا تَسْمُوا الطَّعَامَ كَمَا تَسْمُو الْبَهَائِمَ ، مِنْ أَشْتَهَى شَيْئًا فَلْيَأْكُلْ ، وَمَنْ كَرِهَ
 فَلْيَسَدِّعْ » . وَقَالَ أَنَسٌ : قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ ،
 وَدَخَلَ دَارَنَا ، فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً ، فَشَرِبَ ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ ، وَأَعْرَاجِي عَنْ يَمِينِهِ ، فَقَالَ
 عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعْطَى أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْإِيمَنُ
 فَاَلْإِيمَنُ » وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ

١٥ صَدَدْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عُمَيْرٍ » وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا إِيْمَانًا

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ : أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ جُرْعَةً ، ثُمَّ قَطَعَ ،
 ثُمَّ سَمَّى ، ثُمَّ شَرِبَ جُرْعَةً ، ثُمَّ قَطَعَ ، ثُمَّ سَمَّى ، ثُمَّ قَطَعَ الثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ جَرَعَ مَصًّا ، حَتَّى
 فَرَّغَ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ . وَقَدْ نَدَبَ إِلَى غَسْلِ الْيَدِ قَبْلَ الْأَكْلِ فَإِنَّهُ يَنْفِي الْفَقْرَ ، وَيُنَقِّي اللَّعْمَ ،
 وَمِنْ السُّنَّةِ : الْبَدَاءَةُ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَحَمْدُهُ عِنْدَ الْإِتِهَاءِ .

رَوَى عن عمر بن أبي سَلمَةَ أَنه قال : مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل ، فقال « أَجْلِسْ يَا بُنَيَّ وَسَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بيمينِكَ مما يليك » .

وقال بعض السلف : إذا جَمَعَ الطعامُ أربعا ، فقد كَلَّ كلُّ شيء ، إذا كان حلالا ، وَذَكَرَ اسمُ الله عليه ، وَكَثُرَتْ عليه الأيدي ، وَحَمِدَ الله حين يُفَرِّغُ منه .

وَرَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « من قال عند مَطْعَمِهِ ومَشْرَبِهِ بِاسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الأَسْمَاءِ رَبُّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ لم يضره ما أَكَلَ وما شَرِبَ » وفي حديث عائشة رضي الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أَكَل أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسمَ الله فإن نَسِيَ في أولِهِ ، فَلْيَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ في أولِهِ وآخِرِهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أَكَل أَحَدُكُمْ فليأكل بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله » .

وَرَوَى : أَن المسيح عليه السلام كان إذا دعا أصحابه قام عليهم ، ثم قال : هكذا فاصنعوا بالفقراء .

ووصف شاعر قوما فقال

جُلُوسٌ فِي مَجَالِسِهِمْ رِزَاؤٌ * وَإِنْ ضَيْفُ أَلَمٍ بِهِمْ وَقُوفُ

قال سَهْلُ بن حُصَيْنٍ : شهدت الحَسَنَ في وليمة ، فَطَعِمَ ثم قام ، فقال : مَدَّ اللَّهُ لَكُمْ في العافية ، وَأَوْسَعَ عَلَيْكُمْ في الرزق ، وَأَسْتَعْمَلَكُمْ بالشكر .

وَرَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « تَحَلَّلُوا فَإِنَّهُ نِظَافَةٌ وَالنِّظَافَةُ مِنَ الإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ » .

وفي حديث عمر رضي الله عنه : عَلَيْكُمْ بِالْحَشْبَتَيْنِ : يَعْنِي السَّوَاكَ وَالْحِلَالَ .

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام : يَا بُنَيَّ، عَوِّدْ نَفْسَكَ الْاَثْمَةَ،
ومجاهدة الشهوة، وَلَا تَهْتَسْ نَهْسَ السَّبَاعِ، وَلَا تَخْضَمْ خَضَمَ الْبَرَاذِينِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَلَك
إِنْسَانًا، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ بَهِيمَةً .

- وحكى عن بعض الكتاب قال : تغديت مع المأمون فالتفت إلى وقال : خلال
قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرة مسح اليد، والآنكباب على الطعام، وكثرة أكل
البقل، ومعنى ذقه هذه خلال الثلاث: أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غمسه
في الطعام، والآنكباب يدل على شدة الحرص وزيادة الشره والنهم . قال الشاعر
لقد سترت منك الإخوان عمامة * دجوجية ظلماتها ليس تطلع
وأما البقل، فإن الحاجة إلى البلغة منه، وفي الإكثار منه تشبه بالبهائم، لأنه مرعاها .
- وقيل : الأكل ثلاثة: مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالأنبساط، ومع أبناء
الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : أى الأوقات أحمد للأكل ؟ فقال : أما من قَدَر فإذا
أشتهى، وأما من لم يَقْدِر فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها

- قال الله عز وجل : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من زاره أخوه المسلم فقترب إليه ما تيسر غفر له وجعل في طعامه البركة، ومن
قرب إليه ما تيسر فاستحق ذلك كان في مقته من الله حتى يخرج » . وقالت عائشة
رضي الله عنها : أَوَّلَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ مُدِينٍ مِنْ شَعِيرٍ .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : آعملوا ولا تعملوا لبطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا ، فإن فضولها رجزٌ ، هذه طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها من أرزاقها شيء ، لا تحرث ولا تحصد ، والله يرزقها ، فإن قلتم : بطوننا أعظم من بطونها ، فهذه الوحش تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .

(١٠٦)

وَرَوَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَمَّا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ كَانَ يَفْطِرُ لَيْلَةَ عِنْدَ الْحَسَنِ ، وَلَيْلَةَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ ، وَلَيْلَةَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، لَا يَزِيدُ عَلَى لَقْمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ ، فَقِيلَ لَهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلَائِلُ يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا نَحِيصٌ ، فَتَقْتُلُ مِنْ لَيْلَتِهِ .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” مَنْ قَلَّ طَعْمُهُ صَحَّ بَدَنُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ سَقِمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ “ . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : ” مَا زَيْنَ اللَّهُ رَجُلًا بِزِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ عَقَافِ بَطْنِهِ “ . قال حاتم

١٠

أَبَيْتُ نَحِيصَ الْبَطْنِ مُضْطَمِرًا الْحِشَا * مِنْ الْجُوعِ أَخْشَى الدَّمَ أَنْ أَنْضَلْعَا
فَإِنَّكَ إِنِ اعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ . وَفَرَجَكَ نَالَا مَتْنَى الدَّمِ أَجْمَعَا

وقال بعضهم : رأيت مجنوناً ببغداد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون ، وكنت ممن دُعِيَ ، فقلت : ألا تدخل فتأكل ؟ فإن الطعام كثير ، قال : وإن كثرت فإني ممنوع منه ، فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : أأكل طعاماً لم أدعَ إليه ؟ لقد أضطرتني إلى ذلك غير الجوع ، فقلت : ما هو ؟ قال : دناءة النفس وسوء الغريزة ، قال شاعر

١٥

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ مَطَائِمِ جَمَّةٍ * إِذَا زَيْنَ الْفَحْشَاءَ لِلنَّفْسِ جُوعُهُ

وقال آخر

وأعْرِضْ عن مَطَاعِمٍ قد أراها * فاتركها وفي البطن أنطواءُ
فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ * وفي الدنيا إذا ذهب الحياءُ!

قال الجنيد : مرةً بي الحارث بن أسد المحاسبي ، فرأيت فيه أثر الجوع ، فقلت :
يا عم ، تدخل الدار وتناول شيئاً ؟ قال : نعم ، فدخل ، وقدمت إليه طعاماً حُل
إلى من عُرْس ، فأخذ لقمة فلا كلها ونَهَضَ فألقاها في الدَّهْلِيز ومضى ، فالتقيت به
بعد أيام ، فقلت له في ذلك ، فقال : كنت جائعاً ، وأردت أن أسرك بأكل ،
ولكن بني وبين الله تعالى علامة ، أن لا يُسَوِّغَنِي طعاماً فيه شُبْهة ، فن ابن كان
ذلك الطعام ؟ فأخبرته ، ثم قلت له : تدخل اليوم ؟ قال : نعم ، فقدمت إليه كَسراً
كانت لنا فاكل وقال : إذا قدمت لفقر شيئاً ، فقدم مثل هذا .

رَوَى أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحَكِين : أَكثِرُوا لَهم الطعام ، فوائه
ما بَطْن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزْمَةٌ رجل بات بطينا ، فلما وجد
معاوية ما قال صحيحاً ، قال : البِطْنَةُ تُذهِبُ الفِطْنَةَ .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُبْتِئُوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب ، فإن القلوب تموت كالزَّرْع إذا كثُر عليه الماء » .

ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً فقال : ما هذا ؟ قال : قرمتنا
إليه ، قال : ويحك ! قرمت إلى شيء فأكلته ، كفى بالمرء شراً أن يأكل كل ما يشتهي .

قال ابن دريد : العرب تُعَيِّرُ بكثرة الأكل ، وأنشد

لستُ بأَكَّالٍ كأكل العبد * ولا بنوأم كنوهم الفَهْدُ

وقال عمر رضى الله عنه : ما أجمع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر .

وقال أبو سليمان الداراني : خير ما أكون إذا لصق بطنى بظهرى ، أجوع الجوعَ فأخرج تزججى المرأة فما ألقت إليها ، وأشبع الشبعة فأخرج فأرى عيني تطمحن .

ذكر أخبار الأكلة

قد نُسب ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوى الهِمَم ، فمن ذلك ما حكاه المحدثون في تذكرته : أن معاوية بن أبي سفيان أتى بعجل مشويٍّ ، فأكل معه دستا من الخبز السميد ، وأربع قراني^(١) ، وجدياً حاراً ، وجدياً بارداً ، سوى الأثوان ، ووضع بين يديه مائه رطل من الباقلاء الرطب ، فأتى عليه ، وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أكالات آخرهن أشدهن ، ثم يقول : يا غلام ، أرفع ، فوائه ما شيعت ، ولكنى مَلْتُ .

ومنها عبيد الله بن زياد ، كان يأكل في اليوم خمس أكالات آخرها جنبنة بغل ، ويوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عناق^(٢) أو جدى فيأتى عليه وحده .

ومنها الحجاج بن يوسف ، قال سالم بن قتيبة : كنت في دار الحجاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا جاء الأمير ، فدخل الحجاج وأمر بتَنُور ، فَنُصِب ، وأمر رجلاً بِتَهِزْ خبز الماء ودعا بسمك ، فأكل حتى أتى على ثمانين جاماً من السمك بثمانين رغيفاً من خبز الماء .

ومنها سليمان بن عبد الملك ، روى أنه شوى له أربعة وثمانون نحرُفاً ، فذّبه إلى كلّ واحد منها فأكل شحم أليته ونصف بطنه ، مع أربعة وثمانين رغيفاً ، ثم أذن للناس ، وقُدِّم الطعام ، فأكل معهم أَكْلَ من لم يَدُقْ شيئاً .

(١) الفرائي : خبزٌ شوى ويُرَى منا ولنا وسكرًا .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

وقال الشَّمرْدَل ويكل عمرو بن العاص : قَدِمَ سليمان بن عبد الملك الطائف ،
فدخل هو وعمر بن عبد العزيز ، بخاء حتى ألقي صدره إلى غصن ، ثم قال : يا شَمْرَدَل ،
ما عندك شيء تُطْعِمُنِي ؟ قلت عندى جَدْعٌ تغدو عليه حافِل وتروح أنحرى ، قال :

﴿١١٧﴾

نَجَلْ به ، فأتيته به كأنه عُكَّةُ سنن ، فجعل يأكل ، وهو لا يدعو عمر ، حتى بقي منه نخذ ،
قال : يا أبا حفص ، هَلَمْ ، قال : إني صائم ، فأتى عليه ، ثم قال : يا شمرْدَل ويليكَ !

ما عندك شيء ؟ قلت : دجاجات ست ، كأنهن رِثْلان النعام ، فأتيته بهن فأتى عليهن ،
ثم قال : ويليكَ يا شمرْدَل ! ما عندك ؟ قلت : سَوِيْقُ كأنه قُرَاضة الذهب ، فأتيته
بُعْسٌ^(١) يغيب فيه الرأس ، فشر به ، فلما فرغ تحشأ كأنه صارخ في جُبٍّ ، ثم قال :
يا غلام ! أفرغت من غدائنا ؟ قال : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : نَيْفٌ وثمانون قِدرًا ،

قال : فأت بقدر قدر ، وبقناع عليه رُقَاق ، فأكل من كل قِدر ثلاث لقم ، ثم مسح
يده وأستلقى على فراشه ، فوضع الخوان ، وقعد يأكل مع الناس .

ومن المشهورين بالأكل ، هلال بن الأسعر المازني ، قال المعتمر بن سليمان :
سألته عن أكله فقال : جعتُ مرةً ومعى بغيرُلى فنحرته وأكلته إلا ما حملتُ منه
على ظهري ، فلما كان الليل راودتُ أمةً لى فلم أصل إليها ، فقالت كيف تصل إلى
وبني وبينك جمل ؟ فقلت له : كم بلغت هذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام .

وحكى أبو سعيد منصور بن الحسن الأبي في كتابه المترجم بنشر الدر : أن هلالا
هذا أكل بعيرا ، وأكلت أمراءه فصيلا وجامعها ، فلم يتمكن منها ، فقالت له : كيف
تصل إلى وبني وبينك بعيران ؟ وله حكايات ذكرها الحمدوني في التذكرة ، والأبي
في نثر الدر تركها اختصارا .

(١) العُس : القَدْحُ العظيم .

ومنهم محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما
جنبي بكرِ شواء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالنهم ، أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون ، وكان
المأمون إذا وجهه في حاجة ، أمره أن يتغدى ويمضي فَرُجَح إلى المأمون في المظالم :
إن رأى أمير المؤمنين أن يجري على ابن أبي خالد نُزُلا ، فإن فيه كلبية ، إلا أن
الكلب يحرس المنزل بِكُسْرَة ، وابن أبي خالد يَقْتُل المظلوم ، ويُعِين الظالم بِأَكْلَة ،
فأجرى عليه المأمون في كل يوم ألف درهم لمائدته ، وكان مع ذلك يشرّه الى طعام
الناس . ولما آنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لأحمد بن أبي خالد :

امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقدم إليه بِجَل ما يحصل لنا عليه وأنفذ معه خادما
يُنْهِي إليه ما يكون منه ، وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد إلينا بما نكوه ،
ولما أتصل خبر أحمد بدينار ، قال للطباخ : إن أحمد أشره من نُفِخ فيه الروح ، فإذا
رأيتَه قتل له : ما الذي تأمر أن يتخذ لك ؟ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج
كسكرية بماء الرمان تقدم مع خبز الماء بالسמיד ، ثم هَاتِ بعدها ما شئت ، فابتدأ
الطباخ بما أمر ، وأخذ أحمد يُكَلِّم ديناراً ، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : إن لنا

قبلك ما لا قد حبسته علينا ، فقال : الذي لكم ثمانية آلاف ألف ، قال فاحملها ،
قال : نعم ، وجاء الطباخ فاستأذن في نصب المائدة ، فقال أحمد : تجلّ بها فإنى
أجوع من كلب ، فقُدِّمت وعليها ما اقترح ، وقدم الدجاج وعشرين فروجا كسكرية
فأكل أكل جائع نهم ، ما ترك شيئا مما قدم ، فلما فرغ وقدر الطباخ أنه قد شبع ،
لوح بطيفورية فيها خمس سمكات شبابيط كأنها سباتك الفضة ، فانكر أحمد عليه
إلا قدمها ؟ وقال : هاتها ، وأعاد أحمد الخطاب ، فقال دينار : أليس قد عرفتك

١٠

١٥

٢٠

أن الباقي لكم عندى سبعة آلاف ألف؟ قال أحسبك أعترفت بأكثر منها، فقال: ما أعترفت إلا بها، فقال: هات خطك بما أعترفت به، فكتب بستة آلاف ألف فقال أحمد: سبحان الله! أليس قد أعترفت بأكثر من هذا؟ قال: ما لكم قبلى إلا هذا المقدار، فأخذ خطه بها وتقدم الخادم، فأخبر المأمون بما جرى، فلما ورد أحمد ناوله الخط، فقال: قد عرفنا ما كان من الألف ألف بتناول الغداء، فبال الألف ألف الأخرى، فكان المأمون بعد ذلك يقول: ما أعلم غداء قام على أحد باله ألف إلا غداء دينار، وأقتصر على الخط ولم يتعقبه كرمًا ونبلًا.

ومنهم أبو العالية، حكى أن امرأة حملت خلقت إن ولدت غلاما لأشيعن أبا العالية خبيصا، فولدت غلاما، فأطعمته، فأكل سبع جفان، فقيس له: إنها خلقت أن تشبعك خبيصا، فقال: والله لو علمت لما شيعت إلى الليل.

١٠

ومنهم أبو الحسن بن أبي بكر العلاف الشاعر دخل يوما على الوزير المهلبى ببغداد، فأنفذ الوزير من أخذ حماره الذى كان يركبه من غلامه، وأدخل المطبخ وذبح وطبخ لحمه بماء وملح، وقدم بين يديه، فأكله كله وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج طلب الحمار، قيل له: قد أكلته، وعوضه الوزير عنه ووصله، فهذا كافي في أخبار الأكلة.

١٥

ذكر ما قيل في الجبن والفرار

ومن أقبح ما هيى به الرجل أن يكون جبانًا فرارًا، وقد نهانا الله عز وجل عن الفرار، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دَرُءُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ

وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَبُسَّ الصَّيْرِ). وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ). وقالت عائشة رضي الله عنها: إن الله خلقنا قلوبهم كقلوب الطير، كلما خَفَقَتِ الرِّيحُ خَفَقَتْ معها، فَأَفَّ للجناء، أَفَّ للجناء.

وقال خالد بن الوليد عند موته: لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدی موضع إلا فيه طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم، وهانذا أموت على فراشي حنف أنفي، كما يموت العير، فلا نامت أعين الجناء.

وقيل كتب زياد إلى ابن عباس: أن صف لي الشجاعة والجن والحد والبخل فكتب إليه: كتبت تسألني عن طبائع ركب في الإنسان تركيب الجوارح، أعلم أن الشجاع يقاتل عن لا يعرفه، والجنان يقر عن عرسه، وأن الجواد يعطي من لا يلزمه، وأن البخيل يمسك عن نفسه؛ وقال شاعر

يَقْرُ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عَرَسِ نَفْسِهِ * وَيَجِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مِنْ لَا يَنَاسِبُهُ
وقالوا: الجن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه.

قال المتنبي

يرى الجناء أن الجن حزم * وتلك خديعة الطبع اللثيم

وقالوا: حد الجن الضن بالحياة، والحرص على النجاة.

وقالت الحكماء في الفراسة: من كانت فزعته في رأسه، فذاك الذي يقر من أمه وأبيه، وصاحبته وأخيه، وفصيلته التي تؤويه.

ويقال: أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار. وقال هاني الشيباني لقومه يوم ذي قار يحرضهم على القتال: يا بني بكر! هالك معذور، خير من نأج

فُرُور، المنيّة، ولا الدّنيّة، آستقبال الموت خير من آستدباره، الثغر في ثغور النحور، خير منه في الأنجاز والظهور، يابّي بكر ! قاتلوا، فما من المنايا بُدّ، الجبان مُبَغِّض حَتَّى لَأَمَهُ، والشجاع مُحَبَّبٌ حَتَّى لَعَدَوَهُ .

ويقال : الجُبْنُ خيرٌ أخلاق النساء، وشرُّ أخلاق الرجال .

وقال يَعْلَى بن مُنَبِّه لقومه حين فروا من علىّ يوم صِفِّين : إلى أين ؟ قالوا : ذهب الناس ، قال : أُوَفِّ لكم ! فِراراً واعتذاراً ! قال : ولما قوتل أبو الطيّب المنّنى ورأى الغلبة عليه فتر، فقال له غلامه : أترضى أن يُحدّث بهذا الفِرار عنك ؟ وأنت القائل

الخيْلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُنِي * والطَّعنُ والضَّربُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

فكرّ راجعاً، وقاتل حتى قُتِلَ، وآستقبح أن يُعيَّرَ بالفِرار .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفّره : أخبرني عن أصحابي، أيهم كان أشدَّ إقداماً في المبارزة، قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أفقيتهم مُدِيرين، فقلّ لهم : يُدِيرُوا لأعرفك أيّهم كان أشدَّ فِراراً .

وقال ابن الرُّوميّ في سليمان بن عبد الله بن طاهر

قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَهُ * شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيِّدِنَهُ

لا يعرف القِرْنَ وَجْهَهُ وَيَرَى * قَفَاهُ مِنْ فَرَسِيخٍ فَيَعْرِفُهُ

وقال حسان بن ثابت يُعيِّرُ الحارث ابن هشام بفِراقه يوم بدر

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي * فَنجوتِ مَنجَى الحارثِ بْنِ هِشَامٍ

تَرَكَ الْأَحْبَةَ لَمْ يُقَاتِلْ دُونَهُمْ * وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِحَامٍ

مَلَأَتْ بِهِ الْفَرَجَيْنِ فَأَرَمَدَتْ بِهِ * وَتَوَى أَحَبَّهُ بِشَرِّ مَقَامٍ

وقال أبو الفرج الأصفهاني: وكان أبو حبة النيرى وهو الهيثم بن الربيع
 ابن زُرارة جباناً بخيلاً كذاباً، قال ابن قتيبة: وكان له سيف يسميه: لعاب المنية،
 ليس بينه وبين الخشبة فرق، قال: وكان أجبن الناس، قال: فحدثني جاره،
 قال: دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً، فأشرفت عليه، وقد أنتضى سيفه،
 وهو واقف في وسط الدار يقول: أيها المغترُّ بنا، المجترئ علينا، بلئس والله
 ما آخرتَ لنفسك، خيرٌ قليل، وسيُفْ صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به،
 مشهورة ضربته، لا تُخاف نبوته، أخرج بالعمى عنك قبل أن أدخل بالعقوبة
 عليك، إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تقم لها، وما قيس؟ تملأ والله القضاء خيلاً
 ورجلاً، سبحان الله! ما أكثرها وأطيبها! فيينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج،
 فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفانا حرباً.

٥

١٠

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم، قول الشاعر
 ولو أنها عُصْفُورَةٌ لحسبتها * مسومةٌ تدعو عبيداً وأزماً^(١)

ومثله قول عروة بن الورد
 وأشجعُ قد أدركتهم فوجدتهم * يخافون خَطَفَ الطير من كلِّ جانب
 وقال آخر

١٥

مازلت تَحْسَبُ كلَّ شيءٍ بعدهم * خيلاً تَكُرُّ عليهم ورجالا

وقول أبي تمام
 مَوْكَلٌ بيفاع الأرض يشرفه * من خِفة الخوف لا من خِفة الطَّربِ

وقال ابن الرومي

(١)
وفارس أجبن من صَفَرِيد * يحول أو يغور من صَفَرَةٍ
لوصاح في الليل به صَائِحٌ * لكائت الأرض له طَفَرَةٍ
يرحمه الرحمن من جُبْنِه * فيرزق الجند به النصرة

ومن أخبار الفرّارين الذين حَسَّنوا الفرار على قبضه

❦

قال صاحب كلیلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بدا منه ، لأن النفقة فيه من النفس ، والنفقة في غيره من المال .
وقالوا : من تَوَقَّى سَلَمَ ، ومن تَهَوَّرَ نَدِمَ .

وقال عبد الله بن المقفّع : الشجاعة متلفّة ، وذلك أن المقتول مُقبلاً أكثَر من المقتول مُدبراً ، فمن أراد السلامة فَلْيُؤْثِرِ الجُبْنَ على الشجاعة .
وليم بعض الجبناء على جنبه ، فقال : أول الحرب شَكْوَى ، وأوسطها نَجْوَى ، وآخرها بَلْوَى .

وقال آخر : الحرب مقتلة للعباد ، مذهبة للطارف والتلاد .
وقيل لجبان : لِمَ لَا تقاتل ؟ فقال : عند النطاح يُغَلَّب الكبش الأجم .
وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته طَفَر .
وقالوا : الشجاع ملقٌ ، والجبان موقى . قال البديع الهمداني
ماذاقهما كالشجاع ولاخلا * بمسرة كالعاجز المتواني
وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .

(١) الصمرد : طائر يقال له : أبو المليح وهو طائر جاح .

(٢) الأجم : الذي لا قرن له ، وهو مثل يصرب لمن عليه صاحبه بما أعد له .

وقالوا : السِّلْمُ أَرْكَى لِسَالٍ ، وَأَبْقَى لِأَنْفُسِ الرِّجَالِ .

وقالوا : الحِمَامُ فِي الْإِقْدَامِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي الْإِحْجَامِ .

وقال المتوَكِّلُ لِأَبِي الْعِيَاءِ : إِنِّي لِأَفْرَقَ مِنْ لِسَانِكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْكَرِيمُ ذُو فَرْقٍ وَإِحْجَامٍ ، وَاللَّيْمُ ذُو وَقَاحَةٍ وَإِقْدَامٍ .

وقيل لِأَعْرَابِيٍّ : أَلَا تَعْرِفُ الْقِتَالَ ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْرَكَ بِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُبْغِضُ الْمَوْتَ عَلَى فِرَاشِي فِي عَافِيَةٍ ، فَكَيْفَ أَمْضِي إِلَيْهِ رَكْضًا ؟ قَالَ شَاعِرٌ

تَمْشِي الْمَنَايَا إِلَى قَوْمٍ فَأُبْغِضُهَا * فَكَيْفَ أَعْدُو إِلَيْهَا عَارِي الْكَفَنِ ؟

وقيل لِزَيْدٍ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا بِاللَّيْلِ ، فَكُنْ لِلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ أَوْلَى مِنْهُ عَلَيْكَ » فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ قَبْلِي ، فَأَقْعُ مَعَهُ فِيمَا أَكْرَهَ ، وَإِنَّمَا الْهَرْبُ خَيْرٌ . ١٠

وَسَمِعَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَارِئًا يَقْرَأُ (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) فَقَالَ : ذَلِكَ الْقَلِيلَ زَيْدٌ .

وَلَمَّا قَرَأَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ بْنُ أَسَدٍ يَوْمَ مَرَدَاءَ هَجَرَ بِالْبَحْرَيْنِ مِنْ أَبِي قُدَيْكٍ الْخَارِجِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَدَحَلَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا ، فَلَمْ يَدْرُوا كَيْفَ يَكْتُمُونَهُ وَلَا مَا يَقُولُهُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ ، أَهْنَثُونَهُ بِالسَّلَامَةِ أَمْ يَعْزُونَهُ بِالْفِرَارِ ، حَتَّى دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْأَهِمِّ ، فَاسْتَشَرَفَ النَّاسَ لَهُ ، ثُمَّ قَالُوا : مَا عَسَى أَنْ يَقُولَ لِمَنْهَزِمٍ ؟ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالصَّابِرِ الْمَخْذُولِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَظَرَ لَنَا عَلَيْكَ ، وَلَمْ يَنْظُرْ لَكَ عَلَيْنَا ، فَقَدْ تَعَرَّضْتَ لِلشَّهَادَةِ جِهْدَكَ ، وَلَكِنْ اللَّهُ عِلْمُ حَاجَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَيْكَ فَأَبْقَاكَ لِمَنْ يَخْذُلَانِ مِنْ مَعَكَ لَكَ ، فَقَالَ أُمَيَّةٌ : مَا وَجَدْتُ أَحَدًا أَخْبَرَنِي عَنْ نَفْسِي غَيْرَكَ . ١٥

وقال الحارث بن هشام وأحسن في اعتذاره عن الفوار ٢٠

الله يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قَتَالَهُمْ * حتى عَلَوْا مُهْرِي بِأَشْقَرٍ مُزَبِدٍ
وعِلِمْتُ أَنِّي إِنِ افْتَأْتُلْ وَاحِدًا * أَقْتُلْ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَفْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجْبَةُ فِيهِمْ * طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ سَرْمَدٍ
وقال زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ وَقَدْ فَرَزَ يَوْمَ مَرْجٍ رَاهِطٌ عَنْ رَفِيقِهِ

أَيَذْهَبُ يَوْمَ وَاحِدٍ إِنْ أَسَانُهُ * بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحَسَنِ بَلَائِي؟
فَلَمْ تُرْمَى زَلَّةٌ قَبْلَ هَذِهِ * فِرَارِي وَتَرَكِي صَاحِبِي وَرَائِي

وهي أبيات نذكرها إن شاء الله في التاريخ، ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب
من أبيات يخاطب بها أخته رَيْحَانَةَ، وقد فر من بني عَبْسٍ

أَجَاعِلُهُ أُمُّ النُّوَيْرِ خَرَايَةً * عَلَى فِرَارِي إِذْ لَقِيتُ بَنِي عَبْسٍ
وَلَيْسَ يُعَابِ الْمَرْءُ مِنْ جَبْنِ يَوْمِهِ * إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الْحِمَايَةُ بِالْأَمْسِ

وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وكان قد فر يوم الحرة
من جيش مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ، فلما حاصر الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة جعل يقاتل
أهل الشام ويرتجز

أَنَا الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ * وَالشَّيْخُ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً
فَالْيَوْمَ أَجْزَى كَرَّةً يَفِرَّةً * لَا بَأْسَ بِالْكَرَّةِ بَعْدَ الْفِرَّةِ

ولم يَزَلْ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ؛ قَالَ الْفَرَارِ السَّلَامِيُّ

وَفُورِيسُ لَبَسَتْهَا بِفُورِيسٍ * حَتَّى إِذَا أَتَبَسَتْ أَمَلْتُ بِهَا يَدِي
وَتَرَكْتُهُمْ نَقْضَ الرَّمَاكِ ظُهُورِهِمْ * مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَآخِرِ مُسْنَدٍ
هَلْ يَنْفَعُنِي أَنْ تَقُولَ نَسَاؤُهُمْ * وَقُتِلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ : لَا تَبْعُدِ؟

وقال آخر

قامت تُشَجِّعِي هِنْدُ فَقُلْتُ لَهَا : * إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطْبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ * مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَرْبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ * إِذَا دَعَّاهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُّوا
وَقِيلَ لِبَنَانٍ فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ : تَقَدَّمَ، فَقَالَ

وَقَالُوا : تَقَدَّمَ قُلْتُ : لَسْتُ بِفَاعِلٍ * أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ تَحْطُمَا
فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتَلَفْتُ وَاحِدًا * وَلَكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا زَالَ أَعْمَا
وَأَوْتِمَ أَوْلَادًا وَأَرْمَلُ نِسْوَةً * فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّقَدُّمَ؟

ذكر ما قيل في الحق والجهل

قَالُوا : الْحَقُّ قِلَّةُ الْإِصَابَةِ، وَوَضْعُ الْكَلَامِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَقِيلَ : هُوَ فُتْدَانٌ
مَا يُجَدُّ مِنَ الْعَاقِلِ، وَقِيلَ لِعَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ : مَا حَدَّ الْحَقُّ؟ قَالَ : لَأَحَدُهُ كَالْعَقْلِ .
وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «الْأَحْمَقُ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ،
لَأَنَّهُ حَرَمَهُ أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَقْلُ» .



وَقِيلَ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى، أَتَدْرِي لَمْ رَزَقْتُ الْأَحْمَقَ؟ قَالَ : لَا يَارَبِّ،
قَالَ : لِيَعْلَمَ الْعَاقِلُ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَيْسَ بِالْأَجْتِهَادِ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُزِيلَ عَنْ عَبْدٍ نِعْمَةً، كَانَ أَوَّلُ مَا يُعِدُّهُ عَقْلَهُ .
وَقَالُوا : الْحَقُّ دَاءٌ دَوَاوُهُ الْمَوْتُ . وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ مَنْ لَمْ يَعْقِلْ بِقَوْلِهِ (لِيُنْذِرَ
مَنْ كَانَ حَيًّا) قِيلَ : عَاقِلًا، وَبِقَوْلِهِ (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْأَشْعِيرِ) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَثْنَى قَوْمٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَاتُوا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ عَقَلَ الرَّجُلُ ؟ » فَقَالُوا : تُخْبِرُكَ عَنْ أَجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَتَسْأَلُنَا عَنْ عَقْلِهِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْأَحْمَقَ يَصِيبُ بِجُمُوحِهِ أَعْظَمَ مِنْ جُفُورِ الْفَاجِرِ ، وَتَرْفَعُ الْعِبَادَةُ غَدَا فِي الدَّرَجَاتِ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ » .

وَمِنْ كَلَامٍ لِقَهَّانَ لَابَنِهِ : أَنْ تَكُونَ أُخْرَسَ عَاقِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَطُوقًا جَاهِلًا ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ ، وَدَلِيلُ الْعَقِيلِ النُّقْلُ ، وَدَلِيلُ النَّقِيلِ الصَّمْتُ ، وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَنْهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ وَتَرْكِبَهُ .

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَالَجْتُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ فَأَبْرَأْتُهُمَا ، وَعَالَجْتُ الْأَحْمَقَ فَأَعْيَانِي ؛ قَالَ شَاعِرٌ

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ بِهِ * إِلَّا الْحِمَاقَةَ أَعَيْتَ مِنْ يَدَاوِيهَا

وَقَالَ آخَرُ

وَعِلَاجُ الْأَبْدَانِ أَيْسَرُ خَطِيئَةٍ * حِينَ تَعْتَلَّ مِنْ عِلَاجِ الْعُقُولِ

وَقَالَ آخَرُ

الْحَقُّ دَاءٌ مَالَهُ حِيلَةٌ * تُرْجَى كِبَعْدِ النِّجَمِ مِنْ مَسِّهِ

وَقِيلَ : إِذَا قِيلَ لَكَ إِنَّ فَقِيرًا اسْتَفْنَى ، وَغَنِيًّا آفَقَقَرَ ، وَحَيًّا مَاتَ ، أَوْ مَيِّتًا عَاشَ ، فَصَدَّقَ ، وَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ أَحْمَقًا اسْتَفَادَ عَقْلًا فَلَا تَصَدِّقْ .

وَقَالُوا : الْأَحْمَقُ يُنْتَحَى أُمُّهُ أَنَّهَا بِهِ مُشْكَلَةٌ ، وَيُنْتَحَى زَوْجُهُ أَنَّهَا مِنْهُ أَرْمَلَةٌ ، وَيُنْتَحَى جَارُهُ مِنْهُ الْعِزْلَةُ ، وَرَفِيقُهُ مِنْهُ الْوَحْشَةُ ، وَأَخُوهُ مِنْهُ الْفُرْقَةُ .

وقال سهل بن هارون: وجدتُ مودةَ الجاهل، وعداوةَ العاقل، أسوءَ في الخطر،
ووجدتُ الأُسَّ بالجاهل، والوحشةَ من العاقل، سيِّئَ في العيب، ووجدتُ غشَّ
العاقل أقلَّ ضرراً من نصيحةِ الجاهل، ووجدتُ ظنَّ العاقل أوقعَ بالصواب من
يقينِ الجاهل، ووجدتُ العاقلَ أحفظَ لما لم يُستَكَم من الجاهل لما أَسْتُكِمَ .
وقال لقمان لأبيه : لا تُعَاشِرِ الأحمقَ وإن كان ذا جمال ، وأنظر إلى السيف
ما أحسنَ مَنْظَرَه وأفجعَ أثرَه ! .

وقال عليُّ رضي الله عنه : قَطِيعَةُ الجاهلِ تَعْدِلُ صِلَةَ العاقلِ ؛ وقال : صديقُ
الجاهلِ في تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلْعَاقِلِ الْمُدِيرِ ، أَرْجَى شَيْءٍ مِنَ الْأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ ، وقال شاعر
عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ

والبيت المشهور السائر

وَلَا نَ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ * مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ

وقيل : الحق يَسْلُبُ السلامة ، ويورث الندامة ؛ وقد ذموا مَنْ له أدب
بلا عقل .

ووصف أعرابي رجلاً فقال : هو ذو أدبٍ وافر، وعقل نافر؛ قال شاعر
فَهَبْكَ أَخَا الْأَدَابِ ، أَيَّ فَضِيلَةٍ * تَكُونُ لَدَيْ عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ ؟



ومن صفات الأحمقِ وعلاماته، قيل : ما أَعْدَمَكَ مِنَ الْأَحْمَقِ فلا يعدُّمُك
منه كثرة الالتفاتِ وسرعة الجوابِ، ومن علاماته الثقةُ بكلِّ أحد .

وَيُقَالُ: إِنَّ الْجَاهِلَ مُوَلَّعٌ بِمَجْلَاوَةِ الْعَاجِلِ، غَيْرُ مَبَالٍ بِالْعَوَاقِبِ، وَلَا مُعْتَبَرٍ بِالْمَوَاقِظِ، لَيْسَ يُعْجِبُهُ إِلَّا مَا صَرَّهَ، إِنْ أَصَابَ فَعَلَى غَيْرِ قَصْدٍ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ الَّذِي لَا يَحْسُنُ بِهِ غَيْرُهُ، لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْإِسَاءَةِ، وَلَا يَفْرَحُ بِالْإِحْسَانِ .

وقالوا: سِتُّ خِصَالٍ تُعْرِفُ فِي الْجَاهِلِ، الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ، وَالْفِطْنَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَلَا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ، وَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

وقالوا: غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ، وَالْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا مَثَلًا، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا خُلْفًا، الْأَحْمَقُ إِذَا حَدَّثَ ذَهَلًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ عَجَلًا، وَإِذَا حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ فَعَلَ .

وقال أبو يوسف: إِبْثَاتُ الْحِجَةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ، وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .
وقال وهب بن منبه: كَانَ يَقَالُ لِلْأَحْمَقِ إِذَا تَكَلَّمَ: فَضَحَهُ حَقُّهُ، وَإِذَا سَكَتَ فَضَحَهُ عَيْهِ، وَإِذَا عَمِلَ أَفْسَدَ، وَإِذَا تَرَكَ أَضَاعَ، لَا عِلْمَهُ يُعِينُهُ، وَلَا عِلْمُ غَيْرِهِ يَنْفَعُهُ، تَوَدَّ أُمُّهُ أَنَهَا تَكَلَّتْهُ، وَتَمَنَّى أَمْرًا أَنَّهُ عَدِمَتْهُ، وَيَتَمَنَّى جَارُهُ مِنْهُ الْوَحْدَةَ، وَتَأْخُذُ جَلِيسَتُهُ مِنَ الْوَحْشَةِ .

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَحْمَقِ بِأَشْيَاءَ، قَالُوا: مَنْ طَالَتْ قَامَتُهُ، وَصَغُرَتْ هَامَتُهُ، وَأَنْسَدَلَتْ لَحِيَتُهُ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى مَنْ يَرَاهُ أَنْ يُقَرِّبَهُ عَنْ عَقْلِهِ السَّلَامَ .
وَيُقَالُ فِي التَّوَرَاةِ: اللَّحْيَةُ تَخْرِجُهَا مِنَ الدِّمَاغِ، فَمَنْ أَفْرَطَ عَلَيْهِ طَوْلُهَا قَلَّ دِمَاغُهُ، وَمَنْ قَلَّ دِمَاغُهُ قَلَّ عَقْلُهُ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ .

وقالت أعرابية لقاضٍ قضى عليها: صَغُرَ رَأْسُكَ، فَبَعْدَ فَهْمُكَ، وَأَنْسَدَلَتْ لَحْيُكَ، فَتَكُونُ سَجَّ عَقْلُكَ، وَمَا رَأَيْتُ مَيْتًا يَقْضِي بَيْنَ حَيِّينِ غَيْرُكَ .

❦

وقال مَسَامَةُ بْنُ عُبَيْدِ الْمَلِكِ لِحَلَسَانِهِ : يُعْرِفُ حَقِّي الرَّجُلَ فِي أَرْبَعٍ ، طُولَ لَحْيَتِهِ ،
وَبِشَاعَةِ كَنِيَّتِهِ ، وَإِفْرَاطَ شَهْوَتِهِ ، وَنَقْشَ خَاتَمِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ طَوِيلُ اللَّحْيَةِ ،
فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ أَتَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ ، فَانْظُرُوا أَيْنَ هُوَ مِنَ الثَّلَاثِ ؟ فَبَيَّنَ لَهُ : مَا كُنَيْتُكَ ؟
فَقَالَ : أَبُو الْيَاقُوتِ ، فَبَيَّنَ لَهُ : مَا نَقَشَ خَاتَمُكَ ؟ فَقَالَ : (وَتَقَدَّ الْأَطْيَرُ فَقَالَ مَالِي
لَا أَرَى الْهَذْهَذَ) قِيلَ : فَأَيُّ الطَّعَامِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْجَلَنْجَبِينَ ^(١) ، فَقَالَ مَسَامَةُ :
فِيهِ مَا بَعْدَ كَنِيَّتِهِ ، مَعَ طُولِ لَحْيَتِهِ ، مَعَ نَقْشِ خَاتَمِهِ ، شَكٌّ لِمُعْتَبِرٍ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ : خَطَبَ الْحَجَّاجُ يَوْمَ جَمْعَةِ فَاطِمَةَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ الْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ وَإِنَّ الرَّبَّ لَا يَعْذَرُكَ ، فَأَمَرَ بِهِ خُبَسَ ، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ يُشْفَعُونَ فِيهِ
وَقَالُوا : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : إِنَّ أَقْرَبَ بِالْجَنُونِ خَلِيتُ سَبِيلَهُ ، فَأَتَوْهُ وَسَأَلُوهُ
ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ آتِلَانِي وَقَدْ عَافَانِي . فَبَلَغَ كَلَامُهُ الْحَجَّاجَ ،
فَعُظِمَ فِي نَفْسِهِ وَأُطْلِقَهُ . ١٠

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِعَلَّامٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ : أَيْسَرُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِائَةُ أَلْفٍ
وَأَنْتَ أَحَقُّ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ يَجْنِيَ عَلَيَّ حَقِّي جَنَائِيَةً ،
فَتَذْهَبَ مِنِّي ، وَيَبْقَى حَقِّي .

وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمُثَلَ فِي الْحَقِّ بِعَجَلِ بْنِ جُلَيْمٍ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : إِنَّ لِكُلِّ
فَرَسٍ جَوَادٍ اسْمًا ، وَإِنَّ فَرَسَكَ هَذَا سَابِقٌ فَسَمِّهِ ، فَقَفَّأَ عَلَيْهِ وَقَالَ : سَمِّئْتُهُ الْأَعْوَرَ ،
وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ

(١) قَالَ صَاحِبُ أَقْرَبِ الْمَوَارِدِ : الْجَلَنْجَبِينَ : مَعْجُونٌ يَعْمَلُ مِنَ الْوَرْدِ وَالْعَسَلِ ، فَارِسِيٌّ مَعْزَرَبٌ عَنْ

كَلِمَةِ ”كَلْبٍ“ وَمَعْنَاهَا وَرْدٌ ، وَعَنْ طَبِئَةِ ”أَنْكَبِينَ“ وَمَعْنَاهَا عَلِيٌّ .

رَمَتْنِي بَنُو عَجَلٍ بِدَاءِ أَبِيهِمْ * وهل أَحَدٌ فِي النَّاسِ أَحَقُّ مِنْ عَجَلٍ؟

أليس أبوهمْ عَارٍ عَيْنَ جَوَادِهِ ^(١)؟ * فسارت به الأمثالُ فِي النَّاسِ بِالْجَهْلِ!

ويضربون المثلَّ فِي الحقِّ يَهْبَتَقَهُ الْقَيْسِيُّ، وهو يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ، ويكنى أبا نافع،
حكى أَنَّهُ شَرَدَ لَهُ بَعِيرٌ، فقال : من جاء به فله بَعِيرَانِ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَجْعَلُ فِي بَعِيرِ
بَعِيرَيْنِ؟ فقال : إِنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ فَرَحَةَ الْوَجْدَانِ .

وقد رَضِيَ قَوْمٌ بِالْجَهْلِ فقالوا : ضَعُفَ الْعَقْلُ أَمَانٌ مِنَ النِّعَمِ ؛ وقالوا : مَا سُرَّ
عَاقِلٌ قَطُّ ؛ قال أَبُو الطَّيِّبِ المُنَجِّبِيُّ

ذُو الْعَقْلِ يَسْتَقِي فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ * وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

وقال حكيمٌ : ثَمَرَةُ الدُّنْيَا السُّرُورُ، وَلَا سُرُورَ لِلْعُقَلَاءِ ؛ وقال المَغْبِرَةُ بْنُ شُعْبَةَ :

مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي إِقَاءِ الْحِشْمَةِ . وَقَالَ بَكْرُ بْنُ الْمَعْتَمِرِ : إِذَا كَانَ الْعَقْلُ سَبْعَةَ أَجْزَاءٍ
أَحْتَاجَ إِلَى جُزْءٍ مِنْ جَهْلِ لِيَقْدَمَ عَلَى الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ أَبَدًا مُتَوَانٍ مُتَقَبِّبٌ مُتَوَقِّفٌ
مُتَخَوِّفٌ ؛ قال النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بِوَادِرْتَحْيَ صَفْوَهُ أَنْ يُكَدِّرَا

وقال آخر

مِنْ رَاقِبِ النَّاسِ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ * وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاسِكُ الْهَلْجُ

أَخَذَهُ آتَرَ فَقَالَ

مِنْ رَاقِبِ النَّاسِ مَاتَ غَمًّا * وَفَازَ بِاللَّدَّةِ الْجَسُورُ

وقالوا : الْجَاهِلُ يَنَالُ أَغْرَاضَهُ، وَيَظْفَرُ بِأَرَائِهِ، وَيَطِيعُ قَلْبَهُ، وَيَجْرَى فِي عِنَانِ

هَوَاهُ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللُّوْمِ، سَلِيمٌ مِنَ الْعَيْبِ، مَغْفُورُ الزَّلَّاتِ .

(١) عَارَهُ : صَيَّرَهُ أَعْوَرًا .

وقالوا : الجاهل رَنَى الذرع، خالى البَال، عازبُ الهم، حسنُ الظن، لا يَحْطُرُ خوفُ الموت بفكره، ولا يَجْرى أَلْمُ الإِشفاق على ذكره .

وقالوا : الجهل مَطِيَّةُ المِراج والمسرة، ومسرحُ المِزاج والفُكاهة، وحليفُ الهوى والتصابي، وصاحبُه في ذِمَامٍ من عهدة اللوم والعُتب، وأمانٍ من قوارِصِ الذم والسبِّ ؛ قال بعضُ الشعراء

ورأيتُ الهمومَ في صحَّةِ العقلِ قَدَاوِئُهَا بِإِمْرَاضِ عَقْلِي

وقالوا : لو لم يكن من فَضيلةِ الجهل، غيرُ الإقدام، وورودِ الحمام، إذ هما من الشجاعةِ والبسالة، وسببُ تحصيلِ المهابة والجلالة، لكفاه؛ قال أبو هلالٍ العسكري: سألتُ بعضَ الأدباءِ أَىَّ الشعراءِ أشدُّ حقاً، قلتُ الذى يقول

أتيهُ على إِنْسِ البلادِ وَجَنِّها * وَلَوْ لم أَجد خَلْقاً لَتَهْتُ على نَفْسِي ١٠
أتيه فلا أدري من التَّيِّهِ مَنْ أَنَا * سِوَى ما يَقولُ النَّاسُ فِيّ وَفِي جَنْسِي
فإنَّ صدقوا أَنى من الإِنسِ مِثْلُهُم * فإِ فى عَيْبٍ غَيْرِ أَنى من الإِنسِ

ذكر ما قيل فى الكذب

قال الله عزَّ وجلَّ : (وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ) . وقال : (إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكُذِّبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) وقال فى الكاذبين : (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) . ١٥

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والكذب فإنَّ الكذبَ يَهْدِي إلى الفُجُور، والفُجُور يَهْدِي إلى النَّارِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الكذبُ مُجَانِبُ

الإِيمَانِ . وقال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مَنَافِقٌ ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي جَدٍّ وَلَا هَزْلٍ » وقال : « لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا » .

وقالت الحكماء : ليس لكاذِبٌ مُرَوِّعٌ .

وقالوا : مَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يَحْسَنَ صِدْقُهُ .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : خُلِفَ الْوَعْدُ ثَلَاثُ النِّفَاقِ .

وقال بعض الحكماء : الصَّدْقُ مُنْجِيكَ وَإِنْ خِفْتَهُ ، وَالْكَذِبُ مُرْدِيكَ وَإِنْ أَمْتَهُ . قال عمرو بن العلاء القارِي : سَادَ عُنْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَكَانَ مَمْلُوقًا ، وَسَادَ أَبُو جَهْلٍ وَكَانَ حَدَّثًا ، وَسَادَ أَبُو سَفْيَانَ وَكَانَ بَخَالًا ، وَسَادَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ وَكَانَ عَاهِرًا ، وَسَادَ كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ وَكَانَ ظَلُومًا ، وَسَادَ عُيَيْنَةُ وَكَانَ مُحَقِّقًا ، وَلَمْ يَسُدْ قَطُّ كَذَابًا ، فَصَلَحَ السُّؤْدُدُ مَعَ الْفَقْرِ وَالْحَدَاثَةِ وَالْبَخْلِ وَالْمَهْرِ وَالظُّلْمِ وَالْحَقِّ ، وَلَمْ يَصْلَحْ مَعَ الْكَذِبِ ، لِأَنَّ الْكَذِبَ يَعْمُ الْأَخْلَاقَ كُلَّهَا بِالْفُسَادِ .

وقال يحيى بن خالد : رَأَيْتُ شَرِيبَ خَمْرٍ نَزَعَ ، وَلَصَبًا أَقْلَعَ ، وَصَاحِبَ فَوَاحِشٍ رَجَعَ ، وَلَمْ أَرْ كَذَّابًا رَجَعَ .

ويقال : الْكَذِبُ مِفْتَاحُ كُلِّ كَبِيرَةٍ ، وَالْخَمْرُ جَمَاعُ كُلِّ شَرٍّ .

وقيل : لَا تَأْمَنَنَّ مَنْ يَكْذِبُ لَكَ أَنَّ يَكْذِبَ عَلَيْكَ .

وقيل : الْكَذِبُ وَالنِّفَاقُ وَالْحَسَدُ أَثَافِي الدَّلِّ .

وقال ابن عباس : حقيق على الله أن لا يرفع للكاذب درجةً ، ولا يُثبت له حجة .
وقال سليمان بن سعيد : لو صحبني رجلٌ وقال : لا تشترط على إلا شرطاً واحداً
لقلت : لا تكذبني .

وقال أبو حيان التوحيدى : الكذب شعار خلق ، ومورد رفق ، وأدب سيئ ،
وعادة فاحشة ، وقل من آسترسل فيه إلا ألقه ، وقل من ألقه إلا ألقه .

وقال غيره : الكذب أوضع الرذائل خطية ، وأجمعها للذمة والمحطة ، وأكبرها ذللاً
في الدنيا ، وأكثرها خزيًا في الآخرة ، وهو من أعظم علامات النفاق ، وأقوى الدلائل
على دناءة الأخلاق والأعراف ، لا يؤتمن حامله على حال ، ولا يُصدق إذا قال .
وقيل : لكل شيء آفة ، والكذب آفة النطق .

وقال بعض الكرماء : لو لم أَدع الكذب تأمناً ، لتركته تكبراً .

وقال أرسطاطاليس : فُضِّل الناطق على الأخرس بالنطق ، وزين النطق الصدق ،
فإذا كان الناطق كاذباً ، فالأخرس خير منه .

وقال بعض الحكماء لولده : يا بُنى إياك والكذب ، فإنه يُزرى بقاتله ، وإن كان
شريفاً في أصله ، ويذلُّه وإن كان عزيزاً في أهله .

وقال الأحنف بن قيس : آثان لا يجتمعان : الكذب والمروءة .

وقال بزرجهر : الكاذب والميت سواء ، لأن فضيلة النطق الصدق ، فإذا
لم يُوثق بكلامه بطلت حياته .

وقال معاوية يوماً للأحنف : أنكذب؟ فقال : والله ما كذبت منذ علمت أن
الكذب شين .

وقيل : لا يجوز للرجل أن يكذب لصلاح نفسه ، فما عجز الصدق عن إصلاحه
كان الكذب أولى بفساده . قال بعض الشعراء

ما أحسن الصدقَ والمغبوطُ قائلهُ * وأقبحَ الكذبَ عند الله والناسِ

وقالوا : أحذر مصاحبةَ الكذاب ، فإن اضطُررتَ إليها فلا تصدقه ولا تعلمه
أنك كذبتَه ، فينتقل عن مودته ، ولا ينتقل عن كذبه .

وقال هُرمس : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإنك لستَ منه على شيء يُحصِّل ،
وإنما أنت معه على مثل السَّراب يلمع ولا ينفع .

وقيل : الكذاب شرُّ من النَّمَام ، فإن الكذاب يخلق عليك ، والنَّمَام ينقل
عنك . قال شاعر

إنَّ النَّمومَ أُعْطِيَ دونه خَبْرِي * وليس لي حيلةٌ في مفترِي الكَذِبِ

وقال آخر

لي حيلةٌ فيمن يَنمُ وليس في الكذابِ حيلةٌ
من كان يخلق ما يقو * لُ خيلتي فيه قليلةٌ

ووصف أعرابي كذابا فقال : كَذِبُهُ مِثْلُ عُطَاسِهِ ، لَا يُمْكِنُهُ رَدُّهُ .

وقال بعض الأعراب : عَجِبْتُ مِنَ الكَذَابِ المُشِيدِ بِكَذِبِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ يَدُلُّ النَّاسَ
عَلَى عَيْبِهِ ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ ، فَالْأَنَامُ لَهُ عَادَةٌ ، وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ مُتَضَادَّةٌ ،
إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ ، وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَقَّ ، فَهُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ ،
وَالدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهَا بِمَقَالِهِ ، فَمَا صَحَّ مِنْ صَدَقَةٍ تُسَبِّإِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبٍ
غَيْرِهِ تُسَبِّإِ إِلَيْهِ .

ويقال : الكذب جماع النفاق ، وعماد مساوئ الاخلاق ، عار لازم ، وذل دائم ، يخيف صاحبه نفسه وهو آمن ، ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن ، وقال بعض الشعراء

لا يكذب المرء إلا من مهانته * أو عادة السوء أو من قلة الورع

وقال الأصمعي : قيل لرجل معروف بالكذب . هل صدقت ؟ قال : أخاف أن أقول : ” لا “ فأصدق . وآفة الكذب النسيان . قال شاعر

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه * وتلقاه ذا دهي إذا كان كاذبا

وقال علي بن اللحام شاعر اليتمة

تكذب الكذبة يوما * ثم تنساها قريبا

كن ذكورا يا أبا يحيى إذا كنت كذوبا

وقال أبو تمام

يا أكثر الناس وعدا حشوه خلف * وأكثر الناس قولاً حشوه كذب

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه

صحيفة أُنيت ” ليت “ بهاو ” عسى “ . عنوانها راحة الراحي إذا يتسّا

وعده له هاجس في القلب قد برمت * أحشاء صدرى به من طول ما هجسا

يراعة غرّني منها وميض سنّا * حتى مددت إليها الكف مقتبسا

فصادقت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه يعصا موسى لما أنجسا

وقال آخر

وتقول لي قولا أظنك صادقا * فاجئ من طمع اليك وأذهب

فإذا اجتمعت أنا وأنت يجلس * قالوا مُسَيِّبُهُ وهذا أشعب

ذكر ما قيل في الغدر والخيانة

قال الله عز وجل: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ).

- وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من آمنَ رجلا ثم قتله وجبت له النار وإن كان المقتول كافرا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا جمع الله الأولين والآخرين رُفِعَ لكل غَادِرٍ لِيَوَاءُ وقيل: هذه غَدْرَةُ فلان ».

وقالوا: من نقض عهده، ومنع رِفْده، فلا خيرَ عنده.

وقالوا: الغالب بالغدر مغلول، والناكث للعهد ممقوت مخذول.

- وقالوا: من علامات النفاق، نقضُ العهد والميثاق.

وقالوا: لا عذر في الغدر. والعذر يصلح في كل المواطن، ولا عذر لفاذر ولا خائن.

وفي بعض الكتب المنزلة: إن مما تُعَجَّلُ عقوبته من الذنوب ولا يؤخر: الإحسان يُكْفَرُ، والذمة تُخْفَرُ. قال شاعر

- أَخْلَقَ بِنِ رَضَى الْخِيَانَةَ شِيمَةً * أَنْ لَا يُرَى إِلَّا صَرِيحَ حَوَادِثِ
مَا زَالَتِ الْأَرْزَاءُ تُلْحِقُ بِؤْسَهَا * أَبَدًا بِغَادِرِ ذِمَّةٍ أَوْ نَاكِثِ

وقالوا: الغدر ضامن العثرة، قاطع ليد النصرة.

ويقال: من تعدى على جاره، دلَّ على لُؤْمٍ يَجَارِهِ.

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرّ برجل وهو يُطارِد حيةً وهي تقول له :
والله لئن لم تذهب عني ، لأنفخنّ عليك نفخةً أقطّعلك بها قطعاً ، فضى عيسى
عليه السلام في شأنه ، ثم عاد فرأى الحية في جُونة الرجل محبوسة ، فقال لها :
ويحك ! أين ما كنت تقولين ؟ قالت : يا روح الله ، إنه حلف لي وغدر ، وإن سُمّ
غدره أقتل له من سُمّي .

ذكر أخبار أهل الغدر والغدراتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب ، وقد عدت لهم
غدرات ، فمنها : غدر قيس بن معد يكرب بمراد ، وكان بينهم عهد أن لا يغزوه
إلى أنقضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد يكندة ، وجعل يحمل عليهم ويقول
أقسمت لا أنزل حتى يهزموا * أنا ابن معد يكرب فاستسلموا
* فارس هيجا ورئيس مضدّم ..

١٠

فقتل قيس بن معد يكرب وأرتد الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث ببنى
الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأسروه ، ففدى نفسه بمائتي بعير ، فأعطاهم
مائة وبقى عليه مائة ، فلم يؤدّها ، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية .

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عَقِيل بن أبي طالب ، وغدر أيضا
بأهل طبرستان وكان عبيد الله بن زياد ولّاه إياها ، فصالح أهلها على أن لا يدخلها ورحل
عنهم ، ثم عاد إليهم غادرا ، فأخذوا عليه الشعاب ، وقتلوا ابنه أبا بكر .

١٥

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالهجاج لما ولّاه خراسان ، ونرج
عليه وأدعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره في التاريخ في أخبار الهجاج

إن شاء الله تعالى ، وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكلّهم ورثوا الغدر عن معديكرب ، فإنه غدر مهرة ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فغزاهم ناقضا لعهدهم ، فقتلوه وبقرؤا بطنه وملأوه بالحصى .

وغدرت أبنسة الضيّز بن معاوية بأبيها صاحب الحصن ودلت سابور على طريق فتحه ، ففتحه وقتل أباه وتزوجها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول .
 من هذا الكتاب في المباني . ومن ذلك ما فعله النعمان بسنمار ، وقد ذكرناه أيضا في خبر بناء الخورنق .

ومن أشهر الغدر عمرو بن جرموز : غدر بالزبير بن العوام ، وقتله بوادي السباع ، ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجمل .

ومن الغدر الشنيع ما فعله عَضَل والقارة ، روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما وخيرا فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخالد بن البكير حليف بن عديّ ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عديّ أخو بني جحجج بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله للأمة ، وأمر عليهم مرثد ابن أبي مرثد ، وقيل أمر عليهم عاصما ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع :
 — ماء لهذيل — غدروا بهم وأستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم وهم في رحاهم إلا

الرجال في أيديهم السيوف، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيبَ بكم شيئا من أهل مكة ، فاما مرثد وخالد وعاصم ومُعتَب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا ولا عَقدا ، فقاتلوا حتى قُتلوا ، وأما زيد وحُبيَّب وعبد الله فلانوا ورغبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بمر الظهران ، آتَرَ عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه وآستأخر عن القوم ، فرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَقَدِمُوا بِحُبَيْبٍ وَزَيْدٍ إِلَى مَكَّةَ فَبَاعَوْهُمَا فَبَتَّاعَ خُبَيْبًا مُجْرِبُنُ أَبِي إِهَابِ التَّيْمِيِّ حَلِيفَ بَنِي نُوْفَلٍ لِعُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نُوفَلٍ لِيَقْتُلَهُ بِالْحَارِثِ ، وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَنِ فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَرُوي أَنَّ خُبَيْبًا لَمَّا حَصَلَ عِنْدَ بَنَاتِ الْحَارِثِ آسْتَعَارَ مِنْ إِحْدَاهُنَّ مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَمَارَعَ الْمَرْأَةَ إِلَّا صَبَى لَهَا يَدْرُجًا ، وَحُبَيْبٌ قَدْ أَجْلَسَ الصَّبِيَّ عَلَى نَحْضِهِ ، وَالْمُوسَى فِي يَدِهِ ، فَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ ، فَقَالَ خُبَيْبٌ : أُنَحْسِيَنَّ أُنَى أَقْتَلُهُ ؟ إِنْ الْغَدْرُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَا رَأَيْتُ بَعْدُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ ، وَأَنْ فِي يَدِهِ قِطْفًا مِنْ عَنَبٍ يَأْكُلُهُ ، إِنْ كَانَ إِلَّا رِزْقًا رَزَقَهُ اللَّهُ خُبَيْبًا ، وَلَمَّا خُرِجَ بِحُبَيْبٍ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ : دَرُونِي أَصِلِّي رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنْ يَقَالَ : جَزَعُ لِرِذَّتْ ، وَمَا أَبَالِي عَلَى أَى شَيْءٍ كَانَ مِصْرَعِي ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ نَذَرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ أَسْطَرُّ مِنْ هَذَا فِي السَّيْرِ النَّبَوِيِّ فِي سِيرَةِ مَرْتَدٍ إِلَى الرَّجْعِ .

قيل : أَغَارَ خَيْشَمَةُ بْنُ مَالِكِ الْجُهَنِيِّ عَلَى حَتَّى مِنْ بَنِي الْقَيْنِ فَاسْتَأْنَقَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمَ فَلَحِقُوهُ لَيْسَتْ تَقْدُوهَا مِنْهُ ، فَلَمْ يَطْمَعُوا فِيهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ يَدَاكَ كَانَتْ لِبَعْضِهِمْ عِنْدَهُ ، فَخَلَّى عَمَّا كَانَ فِي يَدِهِ ، وَوَلَّى مَنْصَرَفًا ، فَنَادَوْهُ وَقَالُوا : إِنْ الْمَازَاةَ أَمَامَكَ ، وَلَا مَاءَ مَعَكَ ، وَقَدْ فَعَلْتَ

جِيلاً، فَأَنْزَلَ وَلَكَ الذَّمَّامَ وَالْحَبَاءَ فَتَزَلَّ فَلَمَّا أَطْمَأَن وَسَكَنَ، وَاسْتَمَكَّنُوا مِنْهُ غَدَرُوا بِهِ
فَقَتَلُوهُ، فَقِي ذَلِكَ تَقُولُ عَمْرَةَ أَبْنَتُهُ

غَدَرْتُمْ بِنِ لَوْ كَانَ سَاعَةً غَدَرَكُمْ * بِكَفْيِهِ مَفْتُوقُ الْغَرَارِينَ قَاضِبُ
أَذَادَكُمْ عَنْهُ بِضَرْبٍ كَأَنَّهُ * سَهَامُ الْمَنَايَا كُلَّهِنَّ صَوَائِبُ

٥. وَتَلَا حَىٰ بَنُو مَقْرُونٍ بَنُ عَمْرٍو بَنُ مُحَارِبٍ، وَبَنُو جَهْمٍ بَنُ مُرَّةٍ بَنُ مُحَارِبٍ، عَلَى
مَاءٍ لَهُمْ فَعَلِبَتُهُمْ بَنُو مَقْرُونٍ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ فِي بَنِي جَهْمٍ شَيْخٌ لَهُ تَجْرِبَةٌ وَسِنٌ،
فَلَمَّا رَأَى ظُهُورَهُمْ، قَالَ: يَا بَنِي مَقْرُونٍ، نَحْنُ بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ، فَلِمَ تَتَفَانُونَ؟ هَلُمُّوا
إِلَى الصَّلَاحِ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّةُ آبَائِنَا، أَنْ لَا نَهَيِّجَكُمْ أَبَدًا وَلَا نَزَاحِمَكُم
فِي هَذَا الْمَاءِ، فَاجَابَتُهُمْ بَنُو مَقْرُونٍ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا أَطْمَأَنُوا وَوَضَعُوا السَّلَاحَ عَدَا
عَلَيْهِمْ بَنُو جَهْمٍ فَتَالُوا مِنْهُمْ مَنَالًا عَظِيمًا، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَقِي ذَلِكَ يَقُولُ
١٠. أَبُو ظَفَرٍ الْحَارِثِيُّ

هَلَّا غَدَرْتُمْ بِمَقْرُونٍ وَأَسْرَيْتَهُ * وَالْبَيْضُ مُصْلَتُهُ وَالْحَرْبُ تَسْتَعْرِ
لَمَّا أَطْمَأَنُوا وَشَامُوا فِي سِيُوفِهِمْ * ثُرْتُمْ إِلَيْهِمْ وَعُرِّ الْغَدْرُ مُشْتَهَرُ
غَدَرْتُمُوهُمْ بِأَيِّمَانٍ مُؤَكَّدَةٍ * وَالْوَرْدُ مِنْ بَعْدِهِ لِلْغَادِرِ الصَّدْرُ

١٥. هَذَا مَا قِيلَ فِي الْغَدْرِ .
وَأَمَّا الْخِيَانَةُ، فَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ
وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

٢٠. وَقِيلَ: مِنْ ضَيْعِ الْأَمَانَةِ، وَرَضِيَ بِالْخِيَانَةِ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الدِّيَانَةِ .

وقال حكيمٌ : لو علم مُضَيِّعُ الأمانَةِ ، ما فى النَّكثِ والخِيانَةِ ، لَقَصَّرَ عَنْهُمَا عَنانَهُ .
وقالوا : من خان مانَ ، ومن مانَ هانَ ، وتبرَّأ من الإحسان .

قيل دخل شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ وهو من جِلَّةِ القُرَّاءِ وأصحابِ الحديثِ على معاويةَ ،
وبين يديه خرائطُ فيها مالٌ ، قد جمعت لتوضع فى بيتِ المالِ ، فقعدَ على خريطةٍ
منها ، وأخذها ، ومعاويةَ ينظرُ إليه ، فلما رُفِعَتِ الخرائطُ ، قُفِدَ من عددها خريطةٌ ،
فأعلم الخازنُ بذلك معاويةَ ، فقال : هى محسوبةٌ لك فلا تسألَ عن أخذها ، ففيه يقول
بعض الشعراء

لقد باعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ * فَنَ يَأْمَنُ القُرَّاءَ بِعَدِكَ ياشهرُ؟

وقال المنصورُ لِعامِلٍ بلغه عنه خيانتُهُ : يا عدوَّ الله ، وعدوَّ أميرِ المؤمنين ، وعدوَّ
المسلمين ، أَكَلْتَ مالَ الله ، وَخُنْتَ خَلِيفَةَ الله ، فقال : يا أميرِ المؤمنين ، نحنُ عيالٌ
الله ، وَأنتَ خَلِيفَةُ الله ، والمالُ مالُ الله ، فمن أين نأكلُ إذا ، فضحك وأطلقه ،
وأمرَ أن لا يُؤلَّى عملاً بعدها .

وسرق رجلٌ فى مجلسِ أُنُوشِرْوانَ جاماً من ذهبٍ وهو يراه ، فتفقده الشرايى ،
فقال : والله لا يخرجُ أحدٌ حتى يُفْتَشَ ، فقال له أُنُوشِرْوانُ : لا تتعرضُ لأحدٍ ،
فقد أخذه من لا يردُّه ، ورآه من لا يَمُنُّ عليه .

وحكى أن بعضَ التجارِ أودعَ عندَ قاضٍ بَمَعةَ النِّعمانِ ودِيعَةً ، وغابَ مَدَّةً ، فلما
رجع ، طالبَ بها ، فأنكرها القاضى ، فقتلَ إلىهِ برُؤساءَ بلده فى رَدِّها ، فما زالوا به
حتى أقرَّبَها ، وأدعى أنها سُرِقَت من حُرْزِهِ ، فاستحلفه المودعُ لحلفٍ ، فقال ابنُ
الدَّويْدَةِ فى ذلك

لَا يَصْدُقُ القاضى الخَسُونَ إِذا أَدعى * عَدَمَ الدِويعةِ من حصينِ المودعِ

(١١٩)

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا * ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ بَعْضُ لَوْ تَعَى !
أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا * وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ

وَقَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ

وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْقَاضِي عَسَاهُمْ * إِذَا وَقَعَ الْيَمِينُ يُخْلَفُونِي
وَأَضِيعُ مَا يَكُونُ الْحَقُّ عِنْدِي * إِذَا عَزَمَ الْغَرِيمُ عَلَى الْيَمِينِ

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) . وَقَالَ تَعَالَى : (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) . وَقَالَ : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) . وَقَالَ : (كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) . وَقَالَ : (سَاصِرُفُ
عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) .

وَنَاهَيْكَ هَذَا زَجْرًا .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ نَحْوِيلٍ
مِنْ كِبَرٍ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَعَزَّظَ فِي نَفْسِهِ ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لِقَى
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ
لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ » .

وَرَوَى : أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ، مَرَّ بِالسُّوقِ يَحْمِلُ حُرْمَةً حَطْبٍ ، فَقِيلَ لَهُ :
أَلَيْسَ قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : بَلَى ! وَلَكِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أَقْعَ بِهِ الْكِبَرُ ،
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلَّ لُبُّهُ ، كَثُرَ عُجْبُهُ .

وقالوا : تُحِبُّ المرء بنفسه ، أحد حساد عقله .

وقال أزدشير بن بابك : ما الكبر إلا فضل حُمق لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه إلى الكبر .

ومن كلام لابن المعتز : لما عَرَفَ أهل التقصير حالهم ، عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ، ويرفع حقيراً ، وليس بفاعل .

وقال أكرم بن صيني : من أصاب حظاً من دنياه ، فأصاره ذلك إلى كبر وترفع ، فقد علم أنه نال فوق ما يستحق ، ومن أقام على حاله فقد علم أنه نال ما يستحق ، ومن تواضع وغادر الكبر ، فقد علم أنه نال دون ما يستحق .

وقال على رضى الله عنه : عجبت للتكبر الذى كان بالأمس نطفة ، وهو غداً جيفة .
وقيل : مرَّ بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يحيط ، فقال له : يا بُنَى ، لو خَفَضْتَ بعض هذه الخيلاء ! ألم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التى قد شهرت بها نفسك ؟ فقال له الفتى : أو ما تعرف من أنا ؟ قال : بلى ! والله أعرفك معرفة جيدة ، أولك نطفة مِذْرَه ، وآخرك جيفة قَذْرَه ، وأنت بين ذلك حامل عِذْرَه ، فارنى الفتى رُدَيْنَه وكَفَّ مما كان يفعله ، وطأطأ رأسه ، ومضى مسترسلاً .

وقال الواقدي : دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه وهو يتبختر في مشيته ، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخل والجهل مع الواضع ، أزينُّ بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ، فإلها من حسنة غطت على عيَّين عظيمين ، وإلها

مِنْ سَيِّئَةٍ غَطَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْماً إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ وَقَالَ: أَحْفَظْهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَدَبٌ كَبِيرٌ أَخَذَنَاهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ .

وَمِنَ الْكِبَرِ الْمُسْتَهْجَنَ مَا رَوَى : أَنَّ وَائِلَ بْنَ مَجْرَأٍ أَنَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْطَعَهُ أَرْضًا، وَقَالَ لِمَعَاوِيَةَ : أَعْرِضْ هَذِهِ الْأَرْضَ عَلَيْهِ وَأَكْتُبْهَا لَهُ ، فَخَرَجَ مَعَ وَائِلَ فِي هَاجِرَةٍ شَاوِيَةٍ، وَمَشَى خَلْفَ نَاقَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَرْدَفْنِي عَلَى عَجْزِ رَاحِلَتِكَ ، فَقَالَ : لَسْتُ مِنْ أَرْدَافِ الْمُلُوكِ ، قَالَ : فَأَعْطِنِي نَعْلَيْكَ، فَقَالَ : مَا بَخْلٌ يَمْنَعُنِي يَا بَنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ يُلْغَ أَقْيَالُ الْإِيْمَنِ أَنَّكَ لَبَسْتَ نَعْلِي، وَلَكِنْ أَمْشُ فِي ظِلِّ نَاقَتِي، فَحَسْبُكَ بِهَا شَرَفًا . وَقِيلَ : إِنَّ وَائِلًا أَدْرَكَ زَمَنَ مَعَاوِيَةَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَقْعَدَهُ مَعَهُ عِلمَ السَّرِيرِ وَحَدَّثَهُ .

وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ جَذِيْمَةَ الْأَبْرَشِ الْغَايَةِ فِي الْكِبَرِ، وَرَوَى : أَنَّهُ كَانَ لَا يَنَادِمُ أَحَدًا تَرْفَعًا وَكِبَرًا، وَيَقُولُ : إِنَّمَا يَنَادِمُنِي الْفَرَقْدَانُ . وَمِنْهُ قَوْلُ مَتَمٍّ :

« وَكَلَّا كَنْدَمَانِي جَذِيْمَةَ حَقْبَةٍ * »

قِيلَ : إِنَّمَا أَرَادَ الْفَرَقْدَيْنِ ، لَا كَمَا ذَكَرَهُ الرَّوَاهُ أَنَّهُمَا مَالِكٌ وَعَقِيلٌ .

وَقِيلَ : كَانَ أَبُو ثَوَابَةَ أَقْبَحَ النَّاسِ كِبَرًا ، رَوَى : أَنَّهُ قَالَ لِعَلَامَةٍ أَسْقَنَى مَاءً، فَقَالَ : نَعَمْ، قَالَ : إِنَّمَا يَقُولُ : ”نَعَمْ“ مِنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : ”لَا“ وَأَمْرٌ بِضَرْبِهِ ، وَدَعَا أَكْثَرًا فَكَلِمَهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ دَعَا بِمَاءٍ، وَتَمَضَضَ أَسْتَقْدَارًا لِمَخَاطَبَتِهِ .

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ

وَلَا تَعْجَبَا أَنْ تُؤْتِيَا فُتُكَلَّمَا * فَمَا حُشِيَ الْأَفْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش ، بنو مخزوم ، وبنو أمية ، ومن العرب ، بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن عُدَس ، وأما الأَكاسرة فكانوا لا يَعدّون الناس إلا عبيداً ، وأنفسهم إلا أرباباً ، والكِبَرُ في الأجناس الذليلة أرفعُ ، ولكن القِلّة والذَلّة مانعتان من ظهور كبرهم ، ومن قَدَر من الوضعاء أدنى قُدرة ، ظهر من كبره ما لا خفاء به ، ولم أر ذا كبر قطّ علا من دونه ، إلا وهو يذل لمن فوقه .
بمقدار ذلك ووزنه .

قال : أما بنو مخزوم ، وبنو أمية ، وبنو جعفر بن كلاب ، وأختصاصهم بالتيه ، فإنهم أبطَرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة ، ولو كان في قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعي الحيّة فيهم ، لكانوا كبنى هاشم في تواضعهم وإنصافهم من دونه .
وقال أبو الوليد الأعرابي

ولستُ بتيّاه إذا كنت مُتربّياً * ولكنه خُلِقَ إذا كنت مُعديماً
وأن الذي يُعطى من المال ثروة * إذا كان نذلّ الوالدين تعظماً

ومن المتكبرين ، عُمارَةُ بن حمزة ، حُكي عنه : أنه دخل على المهديّ ، فلما استقر به الجلوس ، قام رجل كان المهديّ قد أعدّه له ليَتَمَتَّعَ به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، قال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عُمارَةُ غضبني ضيقي ، وذكر ضيعة من أحسن ضياع عُمارَةَ وأكثرها تحراجاً ، فقال المهديّ لِعُمارَةَ قم فأجلس مع خَصَميك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هو لي بخَصْم ، إن كانت الضيعة له ، فلستُ أنأزعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبْتُها له ، ولا أقومُ من مجلس شرفني به أمير المؤمنين ، فلما أنصرف المجلس ، سأل عُمارَةُ عن صفة الرجل ، وما كان لباسه ، وأين كان موضع

جالوسه ، وكان من تيمه أنه إذا أخطأ يتر على خطئه تكبرا عن الرجوع ويقول :
نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون منه .

- ومنها من أهلكه الكبر وأذله . كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري
أميرا على العراق ، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلا رفيعا ، فأفسد أمره العجب
والكبر ، وأدناه إلى الهلكة ، وعذب حتى مات ، وذلك أنه كان إذا ذُكر هشام
عنده ، قال : أبن الحمقاء ! فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا
البطر الأشر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك ، ذكرك بأسوأ الذكر ، قال :
لعله يقول : الأحمق ، قال : لا ، ولكنه يقول : مالا تلتقي به الشفتان ، قال : لعله
يقول : أبن الحمقاء ، فأمسك الشامي ، فقال هشام قد بلغني كل ذلك عنه ؛ وكان
خالد يقول : والله ما إمارة العراق مما تشرفني ، فبلغ ذلك هشاما ، فكتب إليه :
بالغنى ألك يابن النصرانية تقول : إن إمارة العراق لأتشرّفك وأنت دعيّ بجيلة القليلة
الدليلة ، والله إنني لأظن أن أول من يأتيك صيفي بن قيس فيشد يدك إلى عنقك ،
قال خالد بن صفوان بن الأهم : لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذبه ، وقتل
أبنة يزيد بن خالد ، فرأيت في رجله شريطا قد شده به الصبيان يمزونه ، فدخلت
إلى هشام يوما ، فحدثته فأطلت ، فتنفّس ، وقال : يا خالد ! كان أحبّ إلى قُرْباً وألذّ
عندي حديثا منك ، يعني خالد القسري ، قال : فاتهمزها ورجوت أن أشفع فتكون
لى عند خالديدا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يمنعك من استئثاف الصنيعة ، فقد
أدبته بما قرط منه ، فقال : هيهات ! إن خالد أوجف فأعجف ، وأدلّ فأمل ، وأفرط
في الإساءة ، فأفرطنا في المكافاة ، فحلم الأديم ، ونغل الجرح ، وبلغ السيل الزبى ،
والجزام الطنين ، ولم يبق فيه مستصلح ، ولا للصنيعة عنده موضع ، عُذ إلى حديثك .

ومنهم : من أفرط به الكبر إلى الكفر، حكي : ان سعيد بن زُرارة مرّت به امرأة فقالت له : يا عبد الله، كيف الطريقُ إلى مكان كذا؟ فقال لها : أمثلي يكون من عبيد الله .

ومنهم : عبيد الله بن زياد بن ظبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه : كثر الله فينا مثلك، فقال : لقد كلّتم الله شططا .

ومن أشعار المتكبرين التباهين قول بعضهم

* أتبه على جنّ البلاد وإنسها *

الآيات، وقد تقدّمت في الحمقى .

وقال آخر

أَلْفَنِي فِي لَظَى فَإِنْ أَحْرَقْتَنِي * فَنَقِّنَ أَنْ لَسْتُ بِالْيَاقُوتِ

صَنَعَ النَّسَجَ كُلَّ مَنْ حَاكَ لَكُنْ * لَيْسَ دَاوُدُ فِيهِ كَالْعَنْكَبُوتِ

قال ابن جُبارة الخوافي المنجنيق يردّ عليه

أَيُّهَا الْمَدْعَى الْفَخَّارَ دَعِ الْفَخْصَرَ لَدَى الْكِبْرِيَاءِ وَالْجَبْرُوتِ

نَسَجُ دَاوُدَ لَمْ يُفِدْ لَيْلَةَ الْغَا * وَكَانَ الْفَخَّارُ لِلْعَنْكَبُوتِ

وَبَقَاءُ السَّمْنِدِ فِي لَهَبِ النَّاسِ * رِ مَرْيَلُ فَضِيلَةَ الْيَاقُوتِ

وكذلك التّعام يلتقم الجمـ * وما الجمرُ للتّعام بقوّة!

♦ ♦

ومما هُجّي به أهل التكبر، قول جعفر بن سفيان يهجو سعيد بن مسلم بن قتيبة

أَمْ سَعِيدٌ لَمْ وَلَدْتِهِ * مَلَوْنَا بِالْكَبْرِ وَالْتِيهِ ؟

لَيْتَكَ إِذْ جِئْتَ بِهِ هَكَذَا * حِينَ نَحَرْتَهُ أَكَلْتِهِ

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَا بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَتِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربعٌ من الشقاء الخ ... عُذُّ منها الحرص
والأمل» وقال : «ما ذئبان جائعان أرسلا في غم فافسداها أشد من حرص المرء على
المال»^(١) . وقال : «يُشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبَّ مِنْهُ آثَتَانِ : «الحرص على المال،
والحرص على العمر» وقال : «إِيَّاكُمْ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ» .

- ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الطمعُ مُورِدٌ غير مُصْدِرٍ، وضامن
غير وافي، وكلام عظم قدر الشيء المتنافس فيه، عظمت الرزية لفقده، والأمانى تُعْمَى
البصائر. أزرى بنفسه من آستشعر الطمع، وآستولت عليه الأمانى .

- وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان، ولا يزيد في رزقه .
وقال قتيبة : إن الحريص آستعجل الدَّلة، قبل إدراك البغية .
وقيل : لا راحةً لحريص، ولا غنىً لذي طَمَع .

- وقيل : إن كعباً لقيَ عبد الله بن سلام، فقال : يا بن سلام، مَنْ أرباب العلم ؟
قال : الذين يعملون به، قال : فما أذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذ علموه
ووعوه؟ قال : الطمع، وشره النفس، وطلب الحوائج إلى الناس . قال الأصمعي :
سمعتُ أعرابياً يقول : عَجِبْتُ للحريص المستكبر، المستقل لكثير ما في يده، المستكثر

(١) هكذا في الأصل : والذي في الجامع الصغير : (ما ذئبان جائعان أرسلا في غم فأفسد لهما من حرص
المرء على المال والشرف لدينه) .

لقليل ما في يد غيره ، حتى طلب الفضل ، بذهاب الأصل ، فركبَ مفاوز البرارى ،
وبلجَ البحار ، معرضاً نفسه للمات ، وماله للآفات ، ناظراً إلى من سَلِمَ ، غيرَ معتبر
بمن عَدِمَ .

قال يزيد بن الحكم التقيّ

رَأَيْتُ السَّخِيَّ النَّفْسَ ، يَأْتِيهِ رِزْقُهُ * هَنِئًا ، وَلَا يُعْطَى عَلَى الْحِرْصِ جَائِعُ
وَكُلَّ حَرِيصٍ لَنْ يُجَاوِزَ رِزْقَهُ * وَكَمْ مِنْ مُوقٍ رِزْقَهُ وَهُوَ وَادِعُ

وقالوا : مصارعُ الأبواب تحت ظلال الطمع . ويقال

الحر عبد ما طمع * والعبد حرُّ ما قنع

وقالوا : أخرج الطمع من قلبك ، تحل القيد من رجلك . وقال عمرو بن مالك الحارثي

الْحِرْصُ لِلنَّفْسِ فَقْرٌ وَالْقَنُوعُ غِنَى * وَالْقَوْتُ إِنْ قِنَعَتْ بِالْقَوْتِ يُجْزِيهَا
وَالنَّفْسُ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ حِزَلَهَا * مَا كَانَ إِنْ هِيَ لَمْ تَقْنَعْ بِكَافِيهَا

وقال ابن هرمة

وَفِي الْيَأْسِ عَنْ بَعْضِ الْمَطَامِعِ رَاحَةٌ * وَيَأْرُبُّ خُسَيْرٍ أَدْرَكَتْهُ الْمَطَامِعُ

وقال هرمة بن خشرم

وَبَعْضُ رَجَاءِ الْمَرْءِ مَا لَيْسَ نَائِلًا * عَنَاءٌ وَبَعْضُ الْيَأْسِ أَغْنَى وَأَرْوَحُ

وقال مكيف بن معاوية التيمي

تَرَى الْمَرْءَ يَأْمُلُ مَا لَا يَرَى * وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ رَبُّ الْأَجَلِ

وَكَمْ آيِسٍ قَدْ أَتَاهُ الرَّجَاءُ * وَذِي طَمَعٍ قَدْ لَوَاهُ الْأَمَلُ

وقال آخر

طَمِعْتَ فَمَا وَعَدْتُكَ الْمَنَى * وَلَيْسَ فَمَا وَعَدْتُ مَطْمَعُ

وَبَقِيَ بِالْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهَا * وَلَيْسَ حَقًّا كُلُّ مَا تَسْمَعُ
وَأَمَّا مَوْعِدُهَا بَارِقٌ : فِي كُلِّ حِينٍ حُلْبٌ يَمْعُ

ويضرب المثل في الطمع "بأشعب". قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال للقاتل له : لم تقل هذا إلا وفي نفسك خير تصنعه بي ؛ وقيل : إنه لم يمت شريف قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب على وصيه أو وارثه وقال له : أحلف أنه لم يؤص لي بشيء قبل موته ؛ ووقف على رجل يعمل طبقا من الخبز ران ، فقال له : وسعه قليلا ، قال الخيزراني : كأنك تريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيهدي إلى فيه شيئا ؛ وسأله سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن طمعه ، قال : قلت لصبيان مرة : أذهبوا ، هذا سالم قد فتح بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمرا ، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم ، فعدوت في إثرهم ؛ وقيل له : ماذا بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخان جاري فأترد عليه ؛ وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عروسا بالمدينة تُزف إلا كنت يتي ورشته طمعا أن تُزف إلي ؛ وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، كلب أم حومل ، تبغى فرسخين ، وأنا أمضغ كُنْدَرًا ، ولقد حسدته على ذلك .

ذكر ما قيل في الوعد والمطل

١٥

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْعِدَّةُ دَيْنٌ » .
وقال بعض القُرَشِيِّينَ : مَنْ خَافَ الْكَذِبَ ، أَقَلَّ مِنَ الْمَوَاعِيدِ .
وقيل : أَسْرَانُ لَا يَسْلَمَانِ مِنَ الْكَذِبِ : كَثْرَةُ الْمَوَاعِيدِ ، وَشِدَّةُ الْإِعْتِذَارِ .

(١) ثرد الخبز : فته .

(٢) الكُنْدَرُ : ضربٌ من العلك وهو اللبان المذكور .

وقالوا : خُلف الوعد، خُلِقُ الوعد .

وقال المهلب لبنيه : يَا بَنِيَّ، إِذَا غَدَا عَلَيْكَ الرَّجُلُ أَوْ رَاحَ مُسَلِّمًا، فَكَفَى بِذَلِكَ تَقَاضِيَا .

قال الشاعر

أروح لتسليم عليك وأَعْتَدِي * فحسبك بالتسليم منى تقاضيا
كفى يِطْلَاب المرء ما لا يِنَاله * عَنَاءً وباليأس المصْرَح ناهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يُحَقِّقْهُ، كان كلفِظ لا معنى له ، وجسم لأروح فيه . وقالوا : الخلف الأُمُّ من البخل ، لأنه من لم يفعل المعروف ، لزمه ذمُّ الأُمِّ ، وذمُّ الخلف ، وذم العجز . قال بعض الشعراء

وعدتَ فاكذبت المواعيدَ جاهدا * وأقلعت إقلاع الجَهَامِ بلا وبَل
وأجرتَ لى جَبَلًا طويلا تَبَعْتَهُ * ولم أدْرِ أن اليأس فى طَرْفِ الجبل
وقال أبو تمام

وما نفع من قد مات بالأمس صَادِيًا * إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ أَنَهَمَارُهَا
وما العُرفُ بالتسويف الا تَكَلَّهَ * تَسَلَّيْتَ عَنْهَا حِينَ شَطَّ مَزَارُهَا

والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرقوب ، وكان رجلا من العاليق وله فى ذلك حكايات، فنها : أنه أتاه أخ له ، يسأله شيئا ، فقال له عرقوب : إِذَا أَطْلَعْتَ هَذِهِ النَّخْلَةَ فَلكَ طَلْعُهَا ، فلما أطلعت ، أتاه الرجل للعدّة ، فقال : دعها حتى تصير بَلَحًا ، فلما أبلحت ، أتاه ، فقال : دعها حتى تصير زَهْوًا ، فلما أزهت ، قال : دعها حتى

(١) فى العقد الفريد : ذم الأُمِّ وحده ، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذمات : ذم الأُمِّ وذم الخلف وذم الكذب .

تصير رطباً ، فلما أرطبت ، قال : دعه حتى تصير تمراً ، فلما أتمرت ، عمد إليها عرقوب ، بخذها ولم يعط أخاه منها شيئاً .

وفيه يقول الأنشجى

وعذت وكان الخلف منك سجيّة * مواعيد عرقوب أخاه يسيّر^(١)

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً * وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال السّكيت للمهدى : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستنزَل بالإهمال والسكون ، لشكرتك القلوب بالضمير ، ولنظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ، فقال المهدى : هذا جزء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ، وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابي : العذر الجميل ، أحسن من المطّل الطويل ، فإن أردت الإنعام فأُنجح ، وإن تعدّرت الحاجة فافصح .

وقال بعض كرماء العرب : لأن أموت عطشاً ، أحبُّ إلى من أن أخلف موعداً . وقالوا : من وعد فأخلف ، لزمته ثلاث مذقات : ذمُّ اللؤم ، وذمُّ الخلف ، وذم الكذب ؛ وقال بعض الشعراء

ولا خير في وعْدٍ إذا كان كاذباً * ولا خير في قول إذا لم يكن فعلاً

فإن تُجمَع الآفاتُ بالبخلِ شرّها . وشرُّ من البخلِ المواعيدُ والمطلّ

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيد عواقبها المطّل ، وثمارها الخلف ، ومحصولها اليأس .

(١) كذا بالأصل بالناء المثلثة وقال في اللسان وفي القاموس : إنها بالناء المثناة وفتح الراء وهي قرية باليمامة .

وقال آخر : فلاب له وعد مُطْمَع ، ومُظْل مُؤْس ، وأنت منه أبدا بين يأس
وطمع ، فلا بَذْلٌ مُرِيح ، ولا مَنَعٌ صَرِيح .
وقال الثعالبي : أَوَّل من أخلف المواعيد ولم يَفِ بشيء منها : إسماعيل بن صبيح
كاتب الرشيد ، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل في العي والحصر

قال الله عز وجل : (أَوَّ مَن يُنَشَأُ فِي آلِ حِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) وقال تعالى
إخبارا عن فرعون عند افتخاره على موسى بالبيان : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
مَبِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول
قال : (رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)
الآية ، فقال الله تعالى : (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) .

وقيل : حد العي معنى قصير ، يحويه لفظ طويل . وقال أكرم بن صيفي : هو أن
نتكلم فوق ما تقتضيه حاجتك . وقالوا : الفقير الناطق ، أغنى من الغني الساكت .

وقال كسرى : الصمت خير من عي الكلام .

وقالوا : فضل الإنسان على ما عداه من الحيوان بالبيان ، فإذا نطق ولم يفصح
عاد بهيما .

وقالوا : العي داء دواؤه الخرس . ومن علامات العي الاستعانة ، وهي أن ترى
المخاطب إذا كلَّ لسانه عند مقاطع كلامه ، يقول للمخاطب : اسمع مني ، أو سمعت
لي ، وأفهم غني ، وأشباه ذلك .

ومنهم من يقول : قولي كذا، أعني به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول ليفهم عنه .

ومن عيوب اللسان، التَّمَتُّةُ، وَالْفَأْفَاءُ، وَالْعُقْلَةُ، وَالْحُبْسَةُ، وَاللَّفْ، وَالرُّتَةُ، وَالْغَمْغَمَةُ، وَالطَّمْطَمَةُ، وَاللُّكْنَةُ، وَالْغَنَّةُ، وَاللُّغَنَةُ . فالتَّمَتُّةُ ، قال الْأَصْمَعِيُّ : إذا تَعَتَّعَ في التاء فهو تَمْتَامٌ ، وإذا رَدَّدَ في الفاء فهو فَأْفَاءٌ، قال الراجز

ليس بَقَاءً ولا تَمْتَامٌ * ولا كثيرِ المَجْزِرِ في الكلام

والْعُقْلَةُ : ألتواء اللسان عند الكلام ؛ وَالْحُبْسَةُ : تعذُّر النطق ، ولم تبلغ حدَّ الفَأْفَاءِ ولا التَّمْتَامِ ، ويقال : إنها تعرض أول الكلام ، فإذا مرَّ فيه أُنْقِطِعَتْ . وَاللَّفْ : إدخال بعض الكلام في بعض ؛ قال الراجز

كانَ فيه لَفًّا إذا نَطَقَ * من طول تَحْيِيسٍ وهَمٍّ وأَرْقٍ ١٠

وَالرُّتَةُ : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة ؛ والغمغممة : أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيعُ الحروف . ولا تفهم معناه ؛ والطمطممة : أن يكون الكلام شبيهاً بكلام العجم ، وهي حَمِيرِيَّةٌ ، وقالوا : هي إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد ، فيقول : السَّائِتانِ وَالشَّيْتانِ ، وأشبه ذلك ، قيل : وكانت في لسان زياد بن سَلَمَى ، وكان خطيباً شاعراً كاتباً ؛ وَاللُّكْنَةُ : إدخال بعض حروف العرب في حروف

العجم ، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية ، وهي إبدال الهاء حاءً ، وأقلاب العين همزة ، وكانت في لسان عُبَيْدِ اللهِ بن زياد ، وصَهِيبِ الرُّومِيِّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مَوْلَى لزياد ، قال له : أيها الأمير، أهدوا لنا هِمَارًا وَهَيْسًا : يريد : أهدوا لنا حمارًا وحيسًا ، فلم يفهم زياد عنه ، وقال : ويلك ! ماذا تقول ؟ قال : أهدوا لنا آيَرًا : يريد عَيْرًا ، فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير ؛ وَالْغَنَّةُ : ٢٠

أن يشرب الصوتَ الخِشُومُ ؛ والخِشَّةُ : ضرب منها ؛ والترخيم : حذف بعض الكلمة لتعدّل النطق بها ؛ واللَّغَّةُ : إبدال ستة حروف بغيرها ، وهى الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام ، فالتى تعرض للهمزة ، فهى إبدالها عينا ، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عَنَتَ وهى مستعملة فى لسان التَّكْوُر ، وأما التى تعرض فى الراء ، فهى ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها غينا معجمة فيقول (عَمَغ) : يريد عُمَر ، وهى غالبية على لسان أهل دمشق ، وإذا آجتهعت الراء والغين فى كلمة كقولهم : رَغِيفٌ ، قال : (غريف) ، وفَقَرْتُ بمكانٍ فرغت : فيبدلون كلّ حرف بالآخر ، قيل : وكانت فى لسان محمد بن شبيب الخارجى ، وواصل بن عطاء المعتزلى ، وكان لاقتداره على الكلام ، وغزارة مادته ، يتجنب النطق بها ، وفيه يقول الشاعر

من أبيات ١٠

ويجعل البرقحاً فى تصرفه * وجانب الرأى حتى أحتال للشعر
ولم يطق مطراً والفلول يعجله * فعاد بالغيث إشفاقاً من المطر

ومنهم من يجعلها عينا مهملة ، فيقول فى أزرق : أزْعَق ، وهى فى لسان عوام أهل دِمَشْق ، ومنهم من يجعلها ياءً ، فيقول فى عُمَر : عُمَى ، ومنهم من يبدلها بالطاء أخت الطاء ، ومنهم من يبدلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : أَأَيْتُ ، وأما التى تعرض للسين ، فإنهم يبدلونّها ثاء ، فيقولون : بسم الله ، ويؤثر الله : إذا أرادوا بسم الله ، ويُسرة الله ، أو أشباه ذلك ، وهى مستحسنة فى الجوارى والغلمان . قال الشاعر

وأهيف كاهلال شكوتٍ وحدى * إليه لحسنه وأطلت بئى
وقلت له فذلك النفس صِلْنى * تحزّ فى الشواب فقال بئى

وأما التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قال ، وقلت ، نطق : يَطَالَ ، وَطُلْتُ ، وهي نبطية ، وكانت في لسان أبي مُسلم صاحب الدعوة ، وعبيد الله بن زياد ؛ ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْتُ ؛ وأما التي تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : أَأَف ، ومنهم من يبدها تاء ، فيقول : تَان ، إذا أراد : كان ، وأما التي تعرض في اللام ، فمنهم من يبدها ياءً ، فيقول : أَعْتَيْتُ ، بمعنى : أعتلت ، ويقول في جَمَل : جَمِي ، وإذا أقسم بالله ، يقول : وَيَاه ، ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة ، فيقول في خوخ : حُوح ، وتُسْتَحْسِن في الغلمان والحواري ، ومنهم من يبدل الجيم ضاداً ، فإذا اجتمع لأحد في كلمة جيم وضاد ، مثل سَجَر ، ونَضِج ، قال : جَضِر ، ونَجِض . والحمد لله وحده !

كل الجزء الثالث

١٠

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الرابع منه :
 ”الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والملح“
 والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
 وحسبنا الله ونعم الوكيل

